

اليتيم

رواية

محمد نور



إهداء

إلى (يوسف)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(أنا و كافل اليتيم في الجنة كهاتين ..)

صدق رسول الله

جميع حقوق النشر الورقي و الإلكتروني محفوظة
للناشر.

رواية : اليتيم

الكاتب : محمد نور

تاريخ الاصدار الالكتروني: سبتمبر 2017

الناشر:

"دار أدباء 2000 للنشر والتوزيع"

المدير العام: منة عامر.

Mobile: 01099654718

E.mail:

Odabaa2000@gmail.com

Website:

<http://entashaaer.wix.com/odabaa2000>

Facebook:

https://www.facebook.com/Odabaa2000/?ref=br_rs&pnref=lhc

<https://www.facebook.com/odabaa2000.Publishinghouse>

تصميم الغلاف : محمد علي.

تصحيح لغوي: منة عامر .

الايميل الخاص بالكاتب :

<https://www.facebook.com/mohamed.nor.73932>

(الرابعة صباحا ..)

دوي صوت متعالي من مئذنة قريبة من المنزل , معلنة حلول فجر يوم جديد و بداية لصلاة لا تنتهي بانتهاء ركوعها ولكنها بداية ليوم جديد دائما . أفاق الرجل الذي يجلس بجوار زوجته , كانا يشاهدان أحد أفلام مصر القديمة التي لا تخلو من السعادة في بساطها و لا في ميدانها الفسيح الممتد , أفلام السعادة كما كان يطلق عليها في الماضي ريثما تأتي أفلام تضاهيها عمقا و لا تتخطاها فلسفة .

قام من مقعدة الوثير من جوار زوجته التي ظن أنها غطت في نوم عميق , من تأثير المشاهدة الطويلة التي ربما أرهقتها جفونها الرقيقة و جعلتها تنغلق علي مقلتيها العسليتين الصنع و الهيئة ! أرثدي الحذاء الخاص بالمنزل , الذي لا يتوفر علي امكانيات الحذاء من حيث هو ! ولكن يكفي للسير في طرقات المنزل فقط , سار حتي وصل الي باب الحمام المتوسط في حجمه و الذي بالتأكيد سيتحمل الفترة التي سيقضيها في الداخل , يقضي فيها جزء يسيرا من الوقت ثم يخرج الي حياته الطبيعية .

أغلق الباب خلفه ثم أنطلق في إفراز ما تبقي من جسده علي هيئة كرات صغيرة لا يتجاوز حجمها المتر و لا يصغر حجمها عن عشرون سنتيمترا . ثم بعد فترة ليست بالطويلة يقوم متنهدا من علي مرحاضه الممهد لاستقبال أشنع ما تخرجه النفس و الجسد .

من افرازات داخلية الي افرازات في الخارج تفضي بصاحبها الي الراحة النفسية لبعض الوقت ! , ثم وقف يتوضأ في الحوض المتوسط الحجم الذي يتكأ عليه بكوعين متماثلين في المسافة , محاقطتان علي توازن ذلك الشخص المائل , يبدأ في غسل يديه حتي المرفقين بعنايه و يتأكد أن الماء قد وصل اليهما ثم يقوم بتمشيط أذنيه حتي يزيل بقايا الذباب من الداخل . ثم يقوم بأخذ رقعة من الماء في كفيه و يقوم بتمشيط شعره بالماء حتي يتأكد من أن البعوض لن يصل لهنالك مجددا من أثر الرائحة الكريهة التي تنفذ من شعره الكث . ثم يضع ذراعه اليمني أمام الصنبور و يغسلها ثلاث مرات و اليسري يفعل بها نفس الشئ تقريبا , ثم يقوم بغسل وجهه مرة واحدة عناية بالبشرة و من

جهة أخرى عناية بأداب الصلاة و شروطها , من ثم ينتهي برفع قدمه اليمنى علي المرحاض و يقوم بتمشيّطها جيّدا بل و يتأكد أكثر و أكثر من ازالة بواقي التراب المتناثر في أرجاء قدميه جيّدا . حتي لا يسير بقدم شبه متسخة من الوضوء . و اليسري يفعل بها مثلما فعل في أختها " التوأم " .

أغلق الصنبور في تنهد و أقترّب من باب المرحاض و فتحه ببطء و في تناقل و خرج ليتفقد زوجته , هل لا تزال نائمة بهذا التأثير ؟ أم أنها أستفاقت لتؤدي الصلاة ؟ أم شئ غير ذلك من المحتمل أن تفعله لأنك يا صديقي لا تدري كيد النساء و لا أحد أفكارهن حتي تعلم ما يردن فعله . أقترّب من باب الغرفة التي كانا يجلسان فيها منذ قليل , دخل محييا بتحية الإسلام لعلها قد أستيقظت :

- السلام عليكم , هل أستيقظتي يا زوجتي العزيزة ؟

سمع صوتا دافئ يأتي من الداخل :

- تفضل يا عزيزي !

دخل الغرفة بعد السماح له , و جدها مرتدية الزي الاسلامي " النسائي
" المخصص للصلاة , و كانت تلملم سجادة كان فيما يبدو أنها كانت
تصلي منذ وقت وجيز و قد أنهت من صلاتها منذ قليل ,

و أنتظر قليلا وقال لها في تبسم :

ما هذا الجمال يا أمي .

فبدت علي ملامحها السرور و قالت :

أتشبهني بأمك , لم أري شخصا في هذا الوجود مثل جمال و الدتك
الفاتنة .

فهقه بصوت عالي ثم قال :

أتعلمين لو سمعت أمي تلك الكلمات منك . لقبلك أشد تقبيل بالتأكيد .

فأجابت و قد وضعت السجادة علي حافة الـ " كنبه " :

لقبلتها أنا أكثر تقبيل , فهي بمثابة و الدتي مثلما تكون والدتك .

أقترب " حسن " من زوجته متمتما بصوت خفيض لها , صوت يريح
الأهداب الثائرة و وضع كفيه علي وجهها سائرا بلهف علي قطع
وجنتيها قائلا :

سأذهب الآن لأداء الصلاة في المسجد , لذلك أطلب منك أن

تستريح قليلا و لكي يستريح الطفل الذي ينتظر الخروج بداخلك ,

حسنا ؟

وافقته الرأي قائلة :

نعم . بالطبع يا حسن . فهو بالتأكيد يتلهف كثيرا و هو يكاد يؤذي معدتي من الداخل رغبة في الخروج مع مرور كل دقيقتين , أشعر بأنامله الصغيرة تدغدغ جدار بطني من الداخل ولا أريد أن أضحك حتي لا يزداد الألم . أنه مشاكس مثل والده أليس كذلك يا حسن ؟

قال حسن و هو ينظر إليه من الخارج :

لا تتعب أمك يا صغيري فهي لا تريد أن تكون مشاكسا مثل أبيك المغوار هذا , أسمعني ؟!

تمتت الأم وكأنها تجيب الأب عن لسان الأبن الذي يرقد في الداخل قائلة :

بالتأكيد لن ترث منه ذلك الشيء .

قهقهه الأثنان لبعض الوقت ثم أستاذن " حسن " بالذهاب الي الصلاة , ثم خرج في براح الصلاة الواسع قاصدا البابا المرتكن في الزاوية الأمامية للشقة التي تقبع في الدور الثاني , هي قريبة من الأسفل لذلك

لا يجد أي مشقة في هذا البيت علي الاطلاق ! نزل علي درجات السلم في هدوء , يخطو درجة خلف الأخرى بثبات لا بارتجال مصطنع يضيف له سيرا أكثر سرعة , هذه الحالة أفضل !

حتي وصل الي باب العمارة الكبير نظرا لما يحتويه من زيادة في نسبة الحديد , و بعض قطع من الذهب " الزائف " , الذي يخدع المارة ببهاء لونه و درجة صفائه البلاستيكية الذي يسطع منه . خرج من العمارة الي الشارع الواسع نسبيا بعض الشئ يكفي للسير بالقرب من أوسطه دون أن تخذشك سيارة في وسط الطريق . وصل الي المسجد الذي يتواجد ببضع أميال بجانب بيتهم . كان يسمى هذا المسجد بـ " مسجد بلال " , أتضح هذا من اللافتة الخضراء التي تعلق فوق هذا المسجد . الذي يطلق عليه مسجدا " زاوية " , أو مسجد يختلس في أحد الزوايا الخاصة بأحد العمارات , لذلك يسمى مسجد زاوية . علي اللسان التقليدي يطلقون عليه هذا اللقب الغير محبب لمن يعتادون زيارة مثل تلك المساجد , لأنها لا تضيف له شئ ولا تنقص منه شئ . تلك بيوت الله فأطلقوا عليها أسم " بيت الله " .

بني المسجد " الصغير " أسفل مبني سكني كبير يعيش فيه ما يقارب من عشرون عائلة . متفرقين في كل زاوية من ذلك المبني . طبقة فوق طبقة , شقة صغيرة بجوار شقة أكثر كبرا , ذلك مبني يستحق بجدارة وسام العنصرية .

أقترب من درجاته المنخفضة المرصوفة في الشارع . بني هذا الدرج الصغير قريبا فكان لونه مزيج بين الأرجواني و الأبيض . تبدو كأحادي أحجيات البازل المدهشة في شلالات نهريّة غير منتظمة المنفذ , تفسير لشكل خماسي غير منتظم الحواف علي الاطلاق . خلع حذائه و ألتقطه في يده اليمني , عادة قبل الدخول الي المسجد . حاول تطبيقها , ثم دلف الي المسجد و جاء علي ملمح بصره أحد اصدقائه و هو ينهي " تحية المسجد " و يقوم بالتسليم علي جانبه الأيمن ثم علي جانبه الأيسر . ثم ألتفت بنظره الي " حسن " الذي فيما يبدو أنه قد أتى الآن و قام من مجلسه و أقترب منه في تبسم فرحب به حسن قائلا :

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته .

أجابه الرجل بابتسامة و هو يقبل عليه :

و عليكم السلام و رحمه الله .

ثم أردف قائلاً بينما كانا يتصافحان بالأيدي المليئة بالعضلات الكثة و
الذي فيما يبدو أنها مخزنة ببعض البروتينات :

كيف حالك يا حسن ؟

أجابه حسن :

في حال جيد , الحمد لله .

فسأله الرجل من جديد :

ما هي أخبار المولود الجديد ؟

أجابه حسن في أبتسامه بلغت أفق أذنيه :

يتشوق ليراك يا صديقي .

وكان صديقه من الرجال الملتزمين في الدين . يداول في كل صلاة
الي المسجد ولا يكاد يفرغ من صلاة حتي يتهياً نفسياً و " روحياً "
الي الصلاة الأخرى , كانت لحيته ينمو بها بعض الشعر المسترسل
قليلاً و المنظم بعناية علي جوانب وجهه , وكان يعتاد علي ارتداء
الجلباب الأبيض . هيئة عامة لرجل دين ملتزم ..
أجابه في سرور يبرز أسنانه الناصعة :

بإذن الله يا حسن , سيكون رجلا صالحا .. فقط لا تنسي بأن تجعله من روادى الصلاة فى المساجد .. حتى يعتاد على ذلك الطقوس الروحى من صغره , و حين يكبر سىظل عاكفا على تلك الحالة الروحىة التى يشعر بها كل ملتزم فى الصلاة , منتفع بها , متأثر بروحانيتها . ستجعله حقا رجلا ذا خلق . و بالتأكىء ىتبع ذلك كله علم قىم .

أجابه حسن :

بالتأكىء , سأضمن أن ىكون من رواد المسجد و خاصة و أنت إمام المسجد هذا , هنا حىث نشأنا سويا .

نظر " الشىخ " إلى اللوحة التى تعرض عليها أوقات الصلاة . فوجد العء التنازلى قد قارب على الانتهاء , فأستعجل صدىقه قائلا : معذرة يا حسن , على الآن أن أقىم للصلاة .

فأجابه قبل أن ىبتعد :

تفضل يا شىخ محمد .

ذهب الشىخ محمد أمام المىكروفون و أنتظر بضع ثوانى حتى أنتهى العء تنازلى , و بدأ صوته ىصدح بإقامة لا أجمل منها صوتا و أداء جمع بىن خلىط الیمام فى الصبأح و ترنىم البلبل فى فترة الظهيرة .

(الله أكبر .. الله أكبر)

(أشهد ألا اله إلا الله)

(أشهد أن محمد رسول الله)

(حي علي الصلاة .. حي علي الفلاح)

(قد قامت الصلاة .. قد قامت الصلاة)

(الله أكبر .. الله أكبر)

(لا اله إلا الله)

أنتظم الرجال جميعهم في صف واحد مأمومين خلف الشيخ " محمد " وهي لحظات حتي بدأ صوته بالعلو تدريجيا في المكبرات الداخلية و الخارجية , كانت صلاة الفجر يحييها هو يوميا بصوته الدافئ . الذي يميل الي صوت أسماء البعض صوتا ملائكيا , صوتا يخرج من ملاك و ليس بشرا , هل من الممكن أن يخرج مثل هذا الصوت منه . نعم و لضرب المثل هناك الشيخ عبد الباسط عبد الصمد , صوت ملائكي خرج من جوف السماء !

أنتهت صلاة الفجر بعد خشوع دام لأكثر من نصف ساعة , وكادت تقارب الساعة . كان يظهر علي وجوه المصلين الرغبة في الاستمرار أكثر و أكثر . لكن الشيخ محمد من عادته رغم قوة صوته . و حنجرته الذهبية لا يحب أن يطيل في صلاته . تأسيا بالرسول الكريم (محمد) سلم الناس عن ميامنهم ثم توجهوا بوجوههم و أرواحهم الساكنة نحو اليسار . أنتهت صلاة الفجر . أنهى حسن الصلاة و بدأ في ذكر الله و الاستغفار و بدأ في قراءة الأذكار المستحبة بعض الصلوات . عادة فليدعها الله علي كل من أقتنع بها في حياته . و في الآخرة يا رب العالمين .

صار يردد علي مسامع قريبة من عقله و أقرب إلي قلبه عن أي شئ آخر . أستغفر الله . و الحمد لله , و لا اله إلا الله . و الله أكبر . ثم رفع ذراعيه في الهواء . مثنية و كأنها تستقبل الغيث الالهي , غيث من السماء يمدد الانسان بحاله نوعية أخرى تختلف عن مايعطية لك بنو جنسك من البشر و الأناسي . السماء تعطي بأمر . و البشر لا يعطون الا العطاء الشحيح , قليل النفع كثير الضرر . لكن العلاقة العكسية ما بين السماء و الأرض توضح مدي الفارق الكثير بين

السماء و الأرض . و كأن أهل الأرض اجتمعوا جميعا علي النفي في العطاء . أو (-) في العطاء . و لكن السماء و أهلها قد أجمعوا علي شئ واحد . (+) في العطاء !

بدأ في الدعاء و الابتهاال الي الله تعالى بما أكرمه عليه من نعم , و الحمد علي ما هو فيه و ما سيؤول اليه في المستقبل عما قريب . دعا من قلبه بالذرية الصالحة . و أن يكون رجلا صالحا لا رجلا طالحا . أن يكون برا بوالديه . ليس عاقا بوالديه ! أن يكون محافظا علي الصلاة . محبا لها , شغوبا بالقبول الروحاني و المدد الإلهي الذي يتنزل بالسعادة علي أهل الأرض .

دعا الي زوجته بأن يلهمها الصبر في الأونة الحالية . و الصبر علي الألم . و التحمل القويم . و أن تكون عوناً لولدها في ما سيأتي في المستقبل . يا الله . يا الله .

أنزل أكفا الضراعة ووضعه في استرخاء علي ساقه . و أقترّب منه الشيخ " محمد " و هو يربط علي كتفه :

لا تقلق يا حسن , ما دمت تعبد الحق . فأنت علي حق إلي يوم القيامة و الله في عون العبد . مادام العبد في عون أخيه .

نظر اليه حسن في تفضل . و أبتسم له و هو يقوم واقفا . و تبادلوا
النظرات الهادئة ثم سارا معا إلي الخارج .

وكان المسجد قد فرغ تماما من المصلين . تأكد الشيخ محمد من عدم
وجود أحد في الداخل و أغلق الأضواء و المراوح , ثم أغلق الباب
بقوة ليتأكد من احكام اغلاقه . و كان " حسن " ينتظره بالخرج .
وضع حسن حذائه علي الدرج الملون . أرجواني مع أبيض . و أرتمي
الحذائين و تبعه الشيخ محمد . و وقف الاثنان يتبادلان الحديث قليلا
حتي سأل الشيخ محمد :

اذن , ومتي سيكون باذن الله قدوم المولود . و ماذا قال لكما الطبيب .
أجاب حسن :

قال الطبيب بأنها حاليا في الشهر السابع , و قاربت بشكل شديد علي
أنها ستلده عما قريب . و نحن ننتظر بفارغ الصبر قدومه علينا , ان
شاء الله .

تمتم بعلامة الايجاب :

خير باذن الله يا حسن . خير باذن الله .

ثم أردف :

و الآن أستأذنك في العودة الي منزلي . طابت ليلتك .

أبتسم حسن :

طابت ليلتك شيخ محمد .

تصافحا بالأيدي سويا ثم سار الشيخ محمد بعيدا . و أبتعد حسن عائدا الي منزله . وكانت الشمس قد بدأت في السطوع و كان ضوءها يزين السماء و ينبسط بشكل مبهج علي الأرض . دلف حسن الي العمارة التي يسكن فيها و صعد علي درجات السلم بهدوء . حتي وصل الي باب المنزل و أخرج مفتاحا منتظم الشكل . شكله يوحي بأن أسنانه المدببة المطلية لدرجة تخيف الطفل الصغير ! وضع المفتاح بداخل القفل و بدأ في تحريكه لليمين حتي فتح الباب قليلا مصدرا لصوت صغير في التردد . بالكاد يسمعه , ثم دلف الي الداخل و أغلق الباب من خلفه . و سار في مشيته المعتادة الي الغرفة التي يخرج منها ضوء و يُدّ يظهر أن زوجته الحنونة لا تزال مستيقظة . تنتظر قدومه بفارغ الصبر . كعادة المتزوجين . حتي أقترب الي مشارف الغرفة فسمع صوت أمراته تصرخ بشدة . كانت تناديه بينما هي تصرخ :

حسن .. حسن , ساعدني بسرعة يا حسن , سألده الآن !

دخل بسرعة الي الغرفة , و جد أمراته جالسة تحاول التماسك , تضع قطعة قماش علي فمها تحاول كتم الألم . الأم الولادة لا أحد يشعر بها

سوي الأم فقط ! أسرع الي الهاتف و قام بالاتصال علي المستشفى
التي تقرب منهما بأمطار قليلة . ثم طمأنها بأنهم سيأتون عما قريب . و
أقترب منها . و جعل يهدأ من روعها . و يبشرها بالخير . و صار
يردد علي مسامعها آيات من القرآن الكريم بصوت هادئ ..

(و من يتوكل علي الله فهو حسبه و ما ربك بظلام للعبيد)

هدأ روعها قليلا بعد قرائته الجميلة . بصوت أقرب الي الشيخ محمد .
صوت يخطف القلوب خطفا ! أسترخت قليلا بين أحضانه و أرتكنت
برأسها علي ذراعيه , و معدتها الكبيرة تضخ بنبض الطفل الذي لا
يتوقف عن الهز الشديد لأوصال أمه بالداخل , ولا يتوقف عن اللعب
بأيديه الصغيرة في جدار بطنها . ينتظر لخروج بفارغ الصبر الي
الدنيا . بالتأكيد سيسعد بها , و سيسعد به أكثر و لديه الزان كافحا حتي
يصل الي الخروج من عنق " الرحم " للوصول الي أحضان الحياة .
بين أب مثالي و أم محبة . قال لها حسن في تودد :

أصبري يا زوجتي قليلا . الصبر مفتاح الفرج . و الله سيأتي بالفرج
عما قريب . كوني واثقة بالله . و كوني قريبة منه , ان الله يحب
التوابين و يحب المستغفرين

أجابت الزوجة وهي تضغط علي أسنانها :
أهين يا حسن , لو شعرت بكم الألم الذي أشعر به الآن . لأنسحبت
تلقائيا من الجولة الأولى ولن تكمل علي الاطلاق .
أجاب حسن في حزن :

هذا قضاء الله و قدره يا عزيزتي . و تلك المرة الأولى لك في تلك
التجربة " الصعبة " لذلك فقط تحملوها قليلا . هناك الملايين حول
العالم قد مروا بتلك التجربة مثلك . بل و أحيانا كانت حالتهم أشدا قسوة
منك .

ثم أردف :

عليك بالذكر في هذا الوقت . و سيجعل الله الصخرة التي في حلقك
كزبد اللبن الذي يسيل فيروي أجزاء جسدك بالنعيم و الراحة .
هدأت و لم تصدر صوتا . يبدووا أنها بدأت في الاسترخاء و الاستسلام
للأمر الواقع . شعور أغرب من حالة غير طبيعية , لأول مرة تشعر

بها , أنهكها هذا الشعور جدا . و أستنفز منها طاقتها فلم تعد قادرة علي تحريك أصبعها الصغير في أسفل قدمها . و لا حتي أن تحرك جزء من السنتيمتر من ساقها الممدة علي الأرض . الحالة تزداد في الهدوء . في ثوان لم يعد هناك صوت لهما هما الأثنان .

سمع حسن صوت سيارة الاسعاف في أسفل الشارع . كان يعلوا صوته تدريجيا يدل علي اقترابهم من المنزل . قام مسرعا لينظر من شرفة المنزل المطلة علي الشارع , رأي سيارة الاسعاف قادمة من بعيد ثم في لحظات كانت تقف أمام المنزل , و ينزل من الباب الخلفي رجلين يرتديان معطفين يمتازان باللون الأبيض الناصع . بشرة حسنة ! أسرع علي درجات السلم و سمع حسن صوت جرس الباب فأسرع لفتحه . و قال لهما قبل أن يدخلوا :

أتبعاني .

سار الطبيبان خلفه حتي دخلا الي الغرفة . و كانت مستلقية ممددة الذراعين . و ساقاها لا تتحركان . أشبه بمن أقرب منه الموت جدا فلا يصدر أي صوت منتظرا لقدم ملك الموت . أقرب حسن منها و جعل يلكمها برقة علي وجنتيها قليلا لتستفيق من غيبوبتها , فبدأت

تلقائيا في فتح جفניה بتثاقل كانت عليه و رأت زوجها يجلس بجوارها , و هناك يقف رجلان يرتديان معاطف بيضاء و أحذية بنية اللون . تميل الي الأسود . بدأت في فتح عينيها أكثر و أكثر حتي أدركت ملامحهما جيدا . قال حسن لهما :

ها قد أفاقت قليلا ! فلنذهب بها الآن .

مد حسن ذراعيه لها لتستند عليه . نظرت الي ذراعه الممددة فأقبلت بوضع يدها و ذراعها علي يديه و قامت بتوكأ صعب . تشعر بالأم رهيبة كلما تحركت . تقف ببطأ و عيونها تدمع قطرات كل ثانية بل و تزداد أحيانا الي قطرتين كل " فيمتو ثانية " , وقفت و هي تحاول تقويم ذراعها المثني . و قأمسكت ببطونها تتحسس أثار الطفل و تطمأن علي حاله . هل يلعب جيدا ؟ هل يتعب أمه الآن أم أنه يغط في ثبات عميق ؟ . أمسك حسن بها جيدا و ربط علي يدها و هما يسيران ببطء علي سجادة مزخرفة الحواف . في الوسط مطلية بأجمل الزخارف " الحديثة " . كموضة هذا العام المنتشرة في ربوع مصر ! سار معها بينما كان الطبيبان يقفان في انتظارهما في الخارج , حاملان منصة توضع عليها حالات الحمل . صممت خصيصا لتحمل الأوزان الزائدة . ظهرت و هي تخرج من باب الغرفة و علامات العرق ترسم

علي جبينها . مضيف للون سمرتها جمال الشمس في يوم كسوفها . و جمال القمر في يوم خسوفه . وطأت قدماها الي الخارج فتحسست البلاط البارد الذي لا يميل الي الدفاء . بل حرارة التهاب الأقدام هي ما أشعلته و جعلته يوقد نارا و اشتياقا . لا أكثر من ذلك ولا أقل . أقترب الطبيبان بسرعة اليها و أستاذنا من " حسن " بأنهما سيكملان الباقي حتي يصلان الي المستشفى . تبعهما حسن و هما يضعان زوجته علي حامل زين خصيصا لها . و لغيرها ممن يحملون طفلا أو أكثر . كانت تجلس ببطء حتي تكاد تشعر و أنت تراها بالملل في جلوسها . ولكنها تحمل حملا علي أحمالها , فالمنطق يعفوا عن من يحمل نفسا فوق نفسه , و هذا ما لا يتحمله أحد في العالم سوي . من خلقت من ضلع أعوج .

تمددت علي " منصة " الحوامل في استرخاء و حملاها الطبيبان في الخروج من باب المنزل . و تبعهما حسن في الخروج و أخذ معه مفتاح شقته و أغلق معه الأضواء في شتي أنحاء المنزل , لكن غرفة واحدة لم يغلق نورها . غرفة سهرة الليلة ! رأي حسن علي ملامح الطبيبان علامات التعب بشدة . و خصوصا قطرات العرق التي بدأت في التساقط علي درجات السلم . قطرة تلو قطرة أخري . شعر حسن

بالخزي و هو يقف يشاهدهما يحملان زوجته بمفردة . لسببين , الأول
لأنه رأى تعبهما الشديد , الثانية لأنه لم يأتي ليحملها معهما ؟ كان
يبدوا علي ملامحها أثر ذلك . فأقرب حسن منهما و قال :
يدا واحدة لا تصفق يا رجال .

و أقبل بالإمساك في طرف موازي لهما حتي تتساوي القوتان . فأبتسم
له الرجلان . ردا لمعروف هو أحق به في ذلك الوقت . أقربوا من
الباب الأمامي لباب " العمارة " الكبير . حتى صدر صوتا خفيف من
أمراته . لم يكن صراخ بل كان صياح بسيط تترجي به حسن :

أسرع يا حسن , لقد تعبت جدا . من فضلك .. من فضلك !
تحركت قدما حسن من كلمات زوجته . وكان ينظر لها بعين الشفقة
من تلك التجربة التي مرت بها . كان طموحا في الماضي انجاب طفل
, يعيش معهما أحلاما سعيدة , و يبعد عنهما الكوابيس بابتسامة صافية
من قلبه الصغير . الرقيق . الشفاف . تلك هلي علامات الأطفال . بل
بإمكاننا القول من أبرز الملامح التي يختلف فيها الأطفال عن الكبار
فيها . أجابها حسن و قد اقتربا من سيارة الإسعاف :

ها نحن ذا يا زوجتي . أصبري قليلا .

تأملت زوجته فيه قليلا بينما كانا يرفعانها داخل العربة . قالت بحزن :

أنت لا تعرف شيئاً يا حسن !

نظر حسن لها . و قال في محاولة للتبرير :

كل ما أعرفه في عالم الطب قليل إلي ما تعرفينه يا زوجتي , لذلك

من المفترض أن تكوني علي علم أكثر مني .

أجابت و باب السيارة يغلق و قد صعد " حسن " للجلوس بجوارها :

عالم الطب ليس كما تعرف . لا أحد يتوقع كم الألم الرهيب الذي

تعيشه المرأة بسبب الحمل .

ثم أردفت :

أدعوا لي يا حسن .

الشمس بدأت في السطوع أكثر . و بدأت في مد ضوءها المريح

علي بساط الأرض . تخرج كل طاقاتها في ذلك المد فتشعر العينين براحة كبيرة لانحلال الضوء المتضخم من الشمس الكبيرة , و مجئ ضوء يرح المقلتين بضوء خافت . لا بضوء شاذ عن الطبيعة - طبيعة العينين - في الطريق الواسع . العريض من يمين الشارع لوجود محلات كثيرة هنا , و علي اليسار . أحدث أسواق الموضة و الذوق الرفيع . و الكافيهات المنتشرة للذوق الرفيع عند الناس . كان كل ذلك في شارع " علي الب دراوي " الممتد من طريق جسر السويس . في أحد ضواحي القاهرة .

أقتربت سيارة الاسعاف من المستشفى . يطلق عليها " السعودي الألماني " , بنيت مؤخرًا و لحسن الحظ أنها تتشابهه في صفاتها مثل الدول الأوروبية . مبنية علي الطراز الحديث . يوجد موقف للسيارات في مقدمة المستشفى أمام بوابة الدخول . و توجد الحدائق الغفيرة و الممتلئة بأزهار أرجوانية الشكل التي تتبع منها روائح تكسب للمستشفى بعدا أعمق من الحيز الجغرافي التي تتواجد فيه , وفي الداخل ساحة استقبال مبلطة بزخارف بيضاء اللون . بيضاء خالصة .

مع المعلقة الذهبية في السقف و النقوش العثمانية القديمة التي كانت ولا تزال محط اهتمام في مصر الي الآن . وكان العثمانيين خلدوا في مصر بعضا من ذكراهم بنقوش دائرية لا تزال محفورة في ذاكرة كل مصري خالص . علا صوت سيارة الاسعاف و هي تتخذ موضعا خاصا لسيارات الاسعاف في جراش مخالف للذي يتواجد في الأمام . جراش مهياً خصيصا لها . توقفت عربة الاسعاف و صعد منها الطبيبان يهرولان بقدم و ساق الي الخلف . علي مقدار سرعتها كان باب السيارة الخلفي يفتح في هدوء و خرج " حسن " منه .

وجد الطبيبان يسرعان اليهما قدوما . فأسرعا بحملها الي الأرض علي حاملة خاصة . حتي دخلا بها بعد سير أستغرق الكثير من الوقت , لأن المسافة بين الجراش و المبنى الرئيسي للمستشفى . قد يكون أكثر اتساعا من طابق الاستقبال ذاته , دلفا و هما يأمران موظفة الاستقبال بتعجيل الحالة لتهيأة غرفة العمليات . لأن الموقف لا يحتمل المزيد من الوقت . كانا في غضون دقائق علي مشارف دخول غرفة العمليات . في الطابق العلوي . الطابق الثاني . وكأنها اقرب الي المرضي حتي يعجلان من العمليات التي تجري هنا ! أسرعت موظفة الاستقبال مع الطبيبان إلي الأعلى . كانت وظيفتها إخبار العاملين

بغرفة العمليات بقدم حالة جديدة . ولادة طفل جديد في محافظة القاهرة ! لم تستغرق الكثير من الوقت حتي كانت الغرفة مهيأة لاجراء فحوصات الولادة عليها . للتأكد من وجه . ومن وجه آخر للاطمئنان علي حالة الأم و الرضيع الذي يسكن بداخلها ! فتح باب الغرفة بسرعة ارتطام الحاملة ببابها العريض . قام الطبيبان بوضعها علي السرير ببطء شديد . فكانت تصدر أصوات تأوهات كلما تحركت . فكان من الأفضل لها أن تحمل برفق أكثر . لكن للرجال أيادي لا تعرف الرقة .

وضعت أخيرا علي السرير و تم إمدادها بمصل لإمداد الغذاء و الطاقة لجسدها الذي بدا علي ملامحه التعب و الإرهاق . ملامح طريق طويل و ملامح ولادة يبدو أنها الأولى في حياتها ! وصلت يدها و غادر الطبيبان بسرعة و عادا معهما الطبيبة . محجبة ترتدي الحجاب الأبيض علي لونها في تساجم مع لون البالطوة الخاص بها , كانت عينيها ما تحيل لي دائما بالخضرة , لكنها أختلطت مع ذلك اللون العسلي لون أخضر قليلا . كأن لونه في بعض الأحيان يكون قانيا شديدا الخضرة و في بعض الأحيان يكون أسودا شديدا السواد . لكن هذا ما أكسبها مع طرحة بيضاء و قلب ظهر من بين ضلوعها متجسدا في

ذلك " البالطوة " . بأنها من الشخصيات المحترمة في هذا المكان .
راقت لي تلك الحسنة المصرية جدا . أقتربت منها ووقفت بجانب
السريـر , تتبسم في وجهها حتي تشعرها بأنها بجانبها , لذلك لا تقلق .
هن من نفس الفصيلة . ضلع أعوج ! ثم أشاحت بنظرها الي التقرير
الموضوع علي الطاولة بجانب السريـر , أمسكته و جعلت تتفحصه
قليلا بنظرها و أحيانا يظهر علي وجهها الصرامة . رغم عينيها
العسليتين . ولكن أحيان ما تبـتسم وكأن شيئاً ما يسـعدها من داخل قلبها
, و يحركها شوقا لأن تفتح فمها للتبسم الرقيق . بضع دقائق حتي
أنتهت من التصفح الجاف . ونظرت اليها و قالت :

أري أن التحاليل التي لدي هنا تشير الي أنك في حالة ممتازة ,
بالرغم من أنك في الشهر السابع في الولادة . ولكن فقط كنت أريد أن
أعرف . أنت في أي أسبوع الآن ؟

نظرت اليها بارهاق قائلة :

الخامس و العشرون .

أجابت الطيبة :

اذن لازلنا في البداية , هذا شئ جيد الي الآن , سنحاول في الأيام المقبلة أن نستمر في متابعة الجنين . لذلك ستبقين هنا بعض الوقت . حسنا .

أجابت قائلة :

حسنا .

قالت الطبيبة :

هذا سيفيدك جدا يا ...

أمسكت الورق من جديد لتري ما الأسم , ثم أردفت :

بالطبع يا .. نيهال . أمم أسمك جميل يا نيهال !

ثم أردفت بعد وضعها للورق علي الطاولة :

لا قلق عليك هنا , سنتولي نحن رعايتك و الطفل . و الغذاء اليومي و الدوري سيأتي اليك و أنت تجلسين علي فراشك فقط . لا أطلب منك سوي الراحة . فقط !

نظرت لها " نيهال " قائلة :

متي تتوقعين يا دكتورة مجيء الجنين ؟

تأملت قليلا في السقف ثم أجابت :

أظن أنه علي وشك القدوم . علي كل سنجري غدا الفحوصات للتأكد من وضع الجنين , و سنحدد بالضبط متي سينزل الجنين من الرحم . لا تقلقي فقط كل ما عليك فعله . الاسترخاء .

أعتادلت " نيهال " في فراشها . أشاحت بنظرها الي السقف . في أعلي شيء يواجه وجهها , و صارت تبتعد عن الواقع لتحلم بكل ما تشتهييه النساء في العالم قاطبا ! طفل صغير يلهو بين يديها , و هي تساعد في رفعه الي أعلي و الطفل يصدر أسنانه الصغيرة التي لا تزال في مقدمة أعلي فكه . ولكن عما قريب ستصتف السنون علي فكه الأعلي ومن ثم تنتشر في الأسفل بالتدريج ليكون طفلا وسيما !

أستفاقت من كل ذلك , حين سمعتها تقول مبتعدة :

اه , لقد نسيت أن اذكرك بشئ لا تحلمي كثيرا , فما تعرفين أن ما ستحلمين به من الممكن أن يختلط الأمر بالواقع فيصدر منتجا لا يستحب علي الاطلاق .

نظرت لها بنصف عين و هي تخرج من الغرفة , و أغلقت الباب خلفها و سارت مبتعدة . لم تتوالي الثوان أكثر حتي أغلقت " نيهال " عينيها هي الأخرى و غاطت في نوم لم تهناً به منذ وقت . ولم تشعر بشعور الاسترخاء الجميل هذا منذ أيام طويلة . و أحيانا يمتد الأمر الي

شهور أيضا . ليست كمثّل حالتها الآن , لو طالت أن تفرج عن
ابتسامتها و تخرج ما بقلبها لعلت كل هذا . ولكن حين تستيقظ بالتأكد
لن تفعل ذلك .

صعدت الشمس بحرقه , في النافذه القريبه من وجهها .

تتوغل فيها و تتلامس مع أطراف وجهها من جهة اليسار . فأضاءت وجهها الأبيض بنعومة . و بشرة ملمسها كحرير صافي في يوم مقيت . كانت تنام علي الجانب الأيسر لها حفاظا علي حالة الجنين , تلك من أساليب و أسباب التقويم في الطب الحديث . النوم علي الجانب الأيسر يسمح بمرور الغذاء و الأكسجين للطفل الراقد بسهولة و يسر . بلا أي صعوبات علي الإطلاق . هذا نص الطب الحديث . فتحت عينيها قليلا لتجد عينيها تغلق مرة أخرى بتلقائية لاذعة , شعرت بحرارة الشمس تتدخل في مكونات عينيها . و مقتلتيها لم تسمح بمرور المزيد من " فوتونات " الشمس الدخيلة فأغلقتها كنظام دفاع . فبدأت في الحراك بعينين مغلقة للاعتدال في الجلسة قليلا . قامت تستند بيدها اليسري و أعتدلت في جلستها واضعة رأسها للخلف . لتتظر أمامها قليلا لتجد الباب يفتح . ذلك الباب العريض حيث يتجاوز حدود المتر عرضا . و أقل منها بقليل طولا . أنه حقا باب ضخم !

دخلت ممرضة من اللوات يعملن هنا . تحمل طبق الفطور لليوم . طعام يمتلئ بل و يعج بحمض الفوليك , و البعض من الخضروات , و

هناك البعض من الأسماك الدهنية كالتونة و السردين , وكان هناك بعض البيض في جانب الطبق . وضع في طبق صغير الحجم حيث لا يزداد عدد البيضات فيه عن أربع بيضات . قربته منها علي طاولة ثم وضعتها في متوسط السرير , و قربت لها الطعام و بدأت في أخذ قطع متفرقة من التفاح المقطع بعناية , و المغسول أيضا حفاظا علي سلامتها من أي أمراض قد تتلزم مع عملية الولادة , فتحت لها فمها و أخذت تتذوق طعم التفاح الرائع , و مذاقه الخصري الذي يفتح شهية من أمتنع عن الطعام لمدة لا تقل و لا تزيد عن ثانية واحدة , لأن للطعام حالة . اذا ما تذوقتها لم تلبث أن تقع مغشيا عليك من فرط الجوع !

و توالى علي فمها قطع السردين . بجانبها بعض قطع التونة الشهية , ثم أختتم الفطور , بأغرب ما يختمه الانسان في العادة , بيض دائري الشكل يميل الي اللون الأبيض أكثر منه الي اللون الأصفر , و بالمناسبة لم يكن بيضا عاديا ! كان بيضا مسلوقا ' فكانت هي – بنفس مصرية – لا تشتهي الكثير من البيض , خاصة في الأيام التي تتضمن فيها جوعا . من شدة الجوع و النهم علي بعض الطعام . اذا وجدت كرات البيض تباعد عنها كل الابتعاد . ولا تريد بل لا ترغب في أن

تتذوقها لتري ما طعمها حتي , غريب هؤلاء المصريون ! ولكن في وقت من الأوقات حين تزداد الحاجة الي شئ ما , لسبب ما مرغم أنت علي فعله , ليس باختيارك كذات لا ترغب فيه . لكن لأسباب مادية لا تريد أن تتحري عنها شيئاً , السبب الذي دفعها لذلك هو نصح الأطباء لها بأكل البيض في مراحل الحمل تلك . نعم البيض هو من أهم مصادر (الأوميغا 3) , التي يجب أن تتحصل عليها المرأة في ذلك الوقت . لأحتواء مواده علي الفوائد الجمة التي تساعد في تسهيل عملية الولادة في وقت لاحق . و تمدد الجسم بالطاقة . لأن الجنين في مراحل حياته يأخذ الكثير من الطاقة من خلال جسد أمه . و المشيمة التي تغذيه من أكل أمه . و مأواها اليومي من الغذاء , لذلك ما يجب أن تتحصل عليه في تلك الأيام هو حقا أكثر شئ يستحق أن تأخذ منه الكثير و الكثير , أعطتها الممرضة بيضة واحدة , فتذوقتها ببعض من المقت منها , و الابتعاد عنها . ولكن ما أن توالدت عليها البيوض . و بدأت في أكل واحدة تلو الأخرى , حتي أعتادت علي هذا , وبشدة ! كأن الأكل المستمر يفيد أكثر من ما يضر . بدأت الممرضة في تنظيف ما تبقي من الطعام علي جوانب فمها . بقطعة من القماش المزخرفة . و المزينة , و الملونة في ذات الوقت . ثم حملت الطبق و خرجت من

الغرفة لتتركها قليلا و قبل أن تخرج قالت لها و هي تقف بجوار السرير :

الدكتورة ستأتي الآن , ستخبرك عن نتيجة فحوصات الأمس .
هزت رأسها بالإيجاب , ثم أكملت الممرضة سيرها الي الخارج .
حاملة معها ما تبقي من قطع التونة المتناثرة علي الطبق المزخرف ,
بعض مرورو لحظات سمعت صوت أزيز الباب ففتحت جفניה
فوجدت " حسن " قد أتى يحمل في يديه باقة من الزهور , مغلفة
بحاملة قماشية متناسقة تماما في روعتها . و أقترب منها ووضع
بجانبيها لتشتم رائحة الورد الزاهية . المنبعثة من أخدود حقل النبات .
حقا مملكة النبات تعطي أكثر مما تأخذ !

و قرب من أحدي الزوايا الخاصة بالغرفة كرسيًا صغيرا ليجلس
بجانبيها . منذ يوم لم يجلس بجانبها . شعر ببعد الفتور في قلبه و الوهن
حين أختفي عن نظرة لون بشرتها و عينيها العسلية المائلة الي اللون
الأخضر أحيانا . ارتسم علي وجهة ابتسامة خفيفة ثم بدأ في الكلام
قائلا :

السلام عليكم ورحمة الله .

نظرت اليه بجانب من وجهها و هي تضع رأسها علي مخدة صغيرة
قائلة :

و عليكم السلام و رحمة الله .

قال حسن :

ما حال أميرتي اليوم ؟

قالت في تأوه :

مثلما تري يا حسن . لا زلت كما أنا لم أتغير .

نظر لها أدهم في استنكار :

بل اني أري علي وجهك بعض ملامح التغير , ألم تلحظيها بعد !

قالت :

لا , لم ألحظها ما هي ؟

أقبل علي مقدمة رأسها و قبلها في هدوء و عاد جالسا من جديد و هو

يقول :

أخبرتني الطبيبة بأنكي في الوارد ستنجبين الولد الذي نحلم به اليوم .

أشتعلت شظايا عيونها . و أنبثق منه شرارة تنبع من قلب أنيق . مهذب

لا به ضراوة في الكلام و لا اعوجاج قائلة :

يا سعادتي .. يا هنائي بهذا الخبر .

ذرفت دموعا من عينيها و هي تنطق بتلك الكلمات . من الجائز أن نقول بأن دموع النساء تختلف اختلافا جذريا عن دموع الرجال . فهناك سر الهي و ضعه الله تعالى في التركيب الحمضي لعيون النساء , جعل من الفوارق الكبيرة بين النساء عن الرجال . بأن قطرة الدمع عند النساء دائما ما يكون درجة الأس الهيدروجين تقترب من ١ أس هيدروجيني , لكن عند الرجال تقترب درجة الأس هيدروجيني عند الرجال الي ٧ أس هيدروجيني ..

ذلك الفارق الكبير في معدل الأس الهيدروجيني جعل من الأنثي أنثي بحق , و جعل من الذكر ذكرا بتعادل الأس الخاص به ! رأي في عينيها السعادة تغمر أحاسيسها , و الدموع تنهمر في انسياب علي وجنتيها فقال لها و هي يزيل الدمع من وجنتيها : لا تبكي , بل نحن الآن لنفرح , السعادة ليس من الممكن أن تختلط بالحزن , و ليس من حق الحزن أن يختلط بالسعادة , هذا التناقض لا يجب أن نأرثه فينا , بل يجب أن نجعل لكل حالة مقالا خاصا بها . أو كما يقال (لكل مقام , مقال !) .

أومأت بالايجاب قائلة :

بالطبع يا حسن , بالطبع .

ثم أردفت بعد أن توقفت دموعها قليلا :

لكنك لا تعرف كم الألم الرهيب الذي نعانيه نحن السيدات من هذه العملية , التي لا يتحملها أحد في العالم أسره سوانا نحن الإناث .

أجابها حسن متفهما :

أعلم هذا يا عزيزتي , ولكن من الواضح أن لهذا تعظيما لكم معشر الإناث , هذا من وجه نظري .

أجابته " نيهال " :

ولكن كيف يكون العذاب الأليم , مجدا عظيم يا حسن ؟

أجابها في ثقة :

نعم هذا مجد عظيم لكم . يكفي شرفا لكم أن السيدة مريم العذراء ولدت نبي الله عيسي عليه السلام ولم تتزوج قط !

تفهمت الأمر قائلة :

منطقتك صحيح يا حسن , أنت الآن ألهمتنى شيئا ربما قد غفلت عنه في كلامك .

أجابها حسن في تساؤل :

وما هو ؟

أجابته قائلة :

الصبر عند الابتلاء يا حسن .

كان خيرا منها أن تعطي لنفسها أملا . ولو كان صغيرا بعض الشيء ,
ولو تبددت فيه قطع الظلام و تلاشت فيه كل الكلمات المتناغمة ,
ولكنه رغم كل هذا التفكك , و الابتعاد عن المألوف و المعهود , لا
زال كما هو . أمل يطل من النافذة !

دخلت في تلك اللحظة الممرضة . كانت تسير ببطء مقتربة منها علي
حافة السرير . وقفت تنظر لها بتأمل . و كأنها تخطط ماذا ستقول لها
, قبل أن تتفوه بكلمة واحدة , ثم أبتسمت و هي تفسح عن أسنان
مبتسمة قائلة :

ستلدين اليوم مساء إن شاء الله , كما حددنا لك .

المشاعر أختلطت علي وجهها و قلبها فجأة . اذ ترغب في أن تبكي
لعلمها باقتراب قدوم صغيرها . الذي كانت تحلم به ليل نهار . و في
الأحلام كان يأتيها شابا ناصع البياض علي بشرته أحسن ما يبدو عليه
قلبه . يهوي معها كل شيء يحبانه ! و من جهة أخرى تسعد للتخلص

من هذا الألم الشديد . وكتلة التضخم الذي تلبث منكوبة علي بطنها .
كانها تدل علي كثرة الطعام في معدتها . بدأت معها دموع الفرحه
تتنزل تارة علي وجهها , ثم تتابع ةخلفها دموع السعادة . وجه سعيد و
وجه لا يلبث أن يحزن بين الحين و الآخر , أقترب منها حسن مهدئا
لها وواضعا يده علي وجنتها , بعدما غلظت الدموع علي وجنتيها و
كثر احمرارهما حزنا . كان ملاحظا عليها الحزن الشديد . فأقتررب
منها أكثر و قال :

لا تحزني . لا تدمعي , فدموعك تلك تحطم قلبي , و تشعل في قلبي
حرقة ما شهدتها من قبل . لشعوري و أنا معك بالسعادة دائما . و
بالفرحة حين أراك . و بالسرور حين أراك تتبسمين في وجهي . و
بالغضب حين أراك تعبسين , مشاعري صارت مع مشاعرك شيئا
واحدا . صرنا جزء واحدا يا نيهال . لسنا نصفين نحن فرد واحد .
يكمل بعضنا بعضا . و يمد بعضا ببعض . فوالله ان لم تتوقفي عن
البكاء لذهبت و القيت نفسي في البحر طوعا لقلبك . فقلبك اذا انكسر
انكسرت . و اذا حزن حزنت .

أنسابت الدموع أكثر و أكثر , و هي تنظر بعينيها الي زوجها . حسن ,
الذي بدأ في البكاء و هو يقول لها ما قال . لا تعرف أي الشعورين
تكتم . و أي الشعورين تصدره لمن يراها ! بعد لحظات توقفت عن
البكاء تدريجيا . قلت الدموع من علي جفنيها و قل الحزن , و قالت
لحسن و هي تزيل الدموع من علي عينيها :

ولأن كلانا واحد يا حسن . فها أنا ذا توقفت عن البكاء .

نظرت له و هي تري ملامح تتغير علي وجه . كانت الدموع تندثر و
تختبئ في جحرها من جديد بعد أشد دموع الحياة ذرفها . و أشد
الكلمات التي سمعتها منه من قبل , كان التأثير البالغ الذي ظهر علي
حسن في تلك اللحظات يبدي من علامات و نواحي في قلبه و خطوط
منبعثة من قلبه أكثر مما يخفيه قلبة من مشاعر تلفظ ببعضها . فكانت
من أعذب الألحان التي سمعتها . كلانا قلب واحد . كلانا جسد واحد !
تدخلت الطبيبة قائلة :

هيا الآن يا مدام " نيهال " , فقد حان الوقت لا يجب أن نتأخر أكثر
من ذلك !

نظرت لها نيهال و قالت في دموع قليلة ظلت علي وجنتيها :

حسنا . أنا مستعدة .

ثم أمسكت بيد زوجها بشدة . كأنها تطلب منه في رسالتها الأخيرة بأن يبقى معها مهما طال الأمر . و الصبر علي كل شئ , علي تلك اللحظات القادمة . و ليس مافات و مضي , فما فات قد " مات " , ولكن التركيز الكلي الآن علي ما سوف يأتي إلينا في هذا اليوم . بشدة لحظها في مسكة يدها و نظر إليها بثقة و ربط علي يديها هو الآخر قائلا بكل يقين و ثبات :

إن الله قريب من المحسنين .

رددت خلفه قائلة :

اللهم ألهمنا صبرا . و أجعلنا من الصابرين .

خرجت الممرضة لبعض الوقت ثم عادت و معها رجلان يرتديان معطفان المستشفى , يسحبان خلفهما الحامل الذي ستنقل عليه الي غرفة الولادة مباشرة . و قالت لها و هي تقف بجوارها :
هيا الآن .

ثم أشارت الي الرجلين بنقله علي الحامل . و الاستعداد للذهاب في رحلة بامكاننا أن نطلق عليها رحلة " العمر " , لأنها لا يسبقها حجز

ولا يسبقها دفع مال للدخول , لا . هي فقط رحله لا تتكرر الا مرات قليلة في الحياة . و بالمناسبة ليس هناك رحلة أصعب من هذه الرحلة ! في لحظات خرجا من الغرفة و كان حسن يتابع كل هذا بقلب حزين . هو يتأمل خير في كل ما سيأتي . ولكن في قلبه حزن . في صوته غصة ألم , و اشتياق الي العودة لها و تقبيلها مرة و مرتين و ثلاثة . هو يعلم كم أن هذا الموضوع من الصعب عليها أن يتحمله أحد , و لكن هذه فقط سنه الحياة . و السنة الحياة ليست نظام . ولا سياسة تلحق بنا جميعا . انما هي عدالة تهبط علي كل شخص منا فتعطه قدره كما يبذل من الجهد . تلك هلي السنة الحقيقية للحياة . ظل يردد في قلبه و هو يتابع مغادرتها و قبل أن يدلف من باب الغرفة . في قلبه تكلم , اللهم ألهمنا صبرا , و أجعلنا من الصابرين . دخلت الممرضة تسحب خلفها " نيهال " علي تلك العربة و الرجلان الطبيبان خلفها يتبعان خطواتها . و يساعدانها في كل شئ , وقف حسن في الخارج يتابع كل شئ . يتابع زوجته التي أحبها . و يتابع أحد أعظم مخلوق علي وجه الأرض . يستبشر به الناس خيرا حين يأتهم . و يصبح ضيفا جديدا علي عائلاتهم . و بين أقاربهم و ذويهم . شخص حير العلماء في وصفه , فمنهم من وصفه بأنه الجمال لذاته , ولكيانه الخاص . ومنهم

من قال أن الطفل ليس يقارن بجماله شئ علي وجه الأرض . هذا هو
من أهم ما ستخلده عيناه في تلك اللحظات ..

بدأت تصرخ بصوت عالي قائلة :

أمر صعب . أمر صعب يا دكتورة .

وتصيح فيها الدكتورة قائلة :

تحملني قليلا فقط . تحملي قليلا !

بدأت " نيهال " في لفظ أنفاسها تدريجيا . و بهدوء لتحاول التماسك قليلا , و هي تضغط بأنفاسها بقوة علي الرحم الذي بدأ في الانكماش و بقسوة . ضاغطا علي الطفل الصغير . دافعا اياه للخروج . الي عنق الرحم و الانحلال عن الرحم الي الأبد . أمسك الطبيبان " نيهال " , و بدأت في أخذ شهيق آخر من جديد أتسعت في أنفاسها و أكملت الشهيق لثلاث ثواني . و بدأت في الضغط من جديد , بدأ المخاض في الخروج . سائل أبيض يتواجد في عنق الرحم , ثم بدأ بعد السائل المتواجد في الرحم بالخروج . كان كالشلال في أوج قوته ! ثم أمرتها الطبيبة بصوت عالي :

لقد حان الوقت , أدفعيه الآن !

أمسكت بقوة في الغطاء الذي كان يكسوها . و شهقت مجددا ولكن أخذت أكثر هواء ممكن . و ضغطت بقوة علي عنق الرحم . بدأ الجنين في الخروج تدريجيا برأس مائل نحو اليمين قليلا . ما أن رآته الطبية حتي أمسكت برأسه حتي لا يفلت من فرط زحلقة الكبيرة بفضل ذلك السائل الذي سكن فيه شهورا عديدة ! أمسكت برأسه حتي بدأ في ديناميكية جعلها الله مهياة له حين يخرج . بالاستدارة برأسه تجاه الأسفل . أمسكت به الطبية جيدا حتي تأكدت من خروج كتفه الأيمن . ثم تبعه الكتف الأيسر حتي ما أوشك علي الخروج بقدميه . أمسكت كلتا قدميه في يد واحدة . قبل أن يتزحلق هاربا بفعل السائل المشيمي الذي كان يتعايش معه .

بدأ في الصراخ . نعم قد أتى الفتى الذي سيحمل أسم أبيه " حسن " , لقد أتى الفتى الذي سيعيش معهما سويا . و يمرحوا سويا . و يستمتعوا بالأفلام " الكلاسيكية " سويا أيضا ! سمع " حسن " من الخارج صوت بكاء طفل يأتي من الداخل . فهرول للنظر من النافذة فوجد الطبية . " عائشة " , تحمل في يديها طفلا صغيرا مغطي بقماشة بيضاء ققلبه الذي ينبض بالأبيض . و أقتربت من الباب بهدوء ثم ألقتت الي " حسن " , الذي يكاد يلهث بقوة حتي يري أبنه الصغير .

لم ينشأ له أسما بعد , بل لم يرد أن يفكر في تلك اللحظات في تخطيط أسم له . تلك مرحلة ليست بموجب أن يتم التخطيط لها الآن . أخذه من يديه بعينين تتلألأ بقوة . يشع منهما نور الفرحه و السعادة . و أخذه برفق علي ساعديه و بدأ في التطلع الي وجهه . تراكيب وجهه البسيطة . أنفه المنتفخ قليلا . وجنتيه الحمراءوتان . و كأنه يذكره بأمه . و أنتفاخهما كمن كان في جولة ملاكمة . طفل جميل ملامحه . و تراكيب وجهه تتناسب " تلقائيا " مع تراكيب أمه الجميلة . الحسنة هي أيضا ! شكر الطبيبة قائلا و هو ينظر للطفل :

شكرا لكي .

ثم نظر لها و قال :

هل من الممكن أن أدخل لأزورها ؟

قالت :

بالطبع , من الممكن .

ثم أردفت :

لكن لا تتكلم معها كثيرا , فمثل تلك العمليات من الصعب جدا علي المرء منا أن يتحملها . لذلك لا تطل الكلام معها كثيرا .

نظر لها بابتسام :

علم و ينفذ يا سيادة الطيبة .

ثم تركته و دلفت الي باب الغرفة مجددا , تبعها حسن و هو يحمل
الطفل الصغير بين يديه . ما أجمل هذا الشعور في أن يكون لك ابن .
من دمك . من صلبك . من عنانك . من دم قلبك . و تحمله بين يديك
الآن و هو بشري مثلك . يكاد القلب يبكي من فرط الحزن جدا حين
تري ابنك لأول مرة في حياتك .

دلف و الدموع تنهال علي عينيه ببطأ . و هو ينظر الي زوجته الممددة
علي السرير . تتنهد بتأوهات ينكسر لها القلب . أقترب منها و هو
يحمل يديه , فبدأت في البكاء تلقائيا و هو يريها الطفل قائلا :

لقد رزقنا الله اياه أخيرا يا زوجتي . لقد أتى من سيحمل أسمى . أتى
من سيرعانا حين يشتعل رأسانا شيئا من الكبر و العجز .

ثم نظر الي اليقف و كأنه يناجي ما خلف السقف . و ما وراء كل شئ .
و هو خالقه . قال بصوت مسموع :

اللهم انا نشكرك علي خير ما اتيتنا اياه . و خير ما أكرمتنا به . و
أرزقنا بره و ارزقه برنا . و أرزقنا احسانه و ارزقه احساننا . و
أرزقنا التيمن به و ارزقه التيمن بنا . اللهم اذا كان خيرا فأدم علينا
نعمته الي أن نموت . و اذا كان شرا فأجعله رحيمنا بنا . أجعله بارا لا

ساخطا بوالديه . أجعله بمقام النبيين و الصديقين و الشهداء و حسن أولئك رفيقا .

ثم ما أن أنتهي حتي نظر لها قائلا بكل سرور :
لقد أتخذت له أسما .

ثم أكمل :
يوسف .

قالها بكل ثقة من جديد و هو ينظر للطفل الصغير :
يوسف حسن الكومي . أيعجبك هذا الأسم يا صغير ؟
أبتسمت " نيهال " قائلة :
أعتقد أن " يوسف " معجبا جدا بوالد مثلك .

نظر لها :
و أعتقد أكثر , بل و أوقن بأنه يحبك أكثر مني , بل أعظم الحب هو
لديك .

ضحكت قليلا . و عادت لتغلق عينيها لتستريح قليلا , ثم أقبلت عليه
الطبيبة و هي تقول :

هل بإمكانني أن أخذه لأضعه في الحضانة الخاصة به ؟
سمح لها قائلا :

تفضلي . ها هو يوسف بين يديك .

قالت بابتسامة :

يوسف أسم جميل حقا .

أجاب " حسن " :

بالطبع انه جميل .

غادرت الغرفة , و ذهبت لتضعه الي غرفة الحضانات في الغرفة
المقابلة للتي يجلسان فيها الآن . جلس علي الكرسي ليتأمل زوجته
التي كان من الجلي علي تجعدات وجهها التعب , بل و النهم الشديد من
فرط قوة هذا الطفل . و صوتها الذي سمعه مرارا و تكرار و هي
تصرخ . تستنجد . بأي شخص بجوارها أن يدعو لها . حتي كنت
واقفا بالخارج فنظرت لي نظرة . لا أكاد أنساها . الدموع كانت
تتساقط علي وجهها بقوة و كأنها تودعني . كأنه كان اللقاء الأخير , لم
أكن لأشك بمدي تحملها علي ذلك الموقف . و مثل تلك العمليات
تحتاج مخزوننا كاملا من الطاقة . بل و ليس طاقة عادية . بل طاقة
تقضي علي الانسان أي قضاء حين يستخدمها . لذلك العذر و كل
العذر للنساء في كل العالم . بل في تاريخ البشرية كلها !

خرجت الطيبة من الغرفة . في يدها " يوسف " الصغير . أجدد ما أنضم إلي كتيبة الأطفال في المستشفى . كانت تذهب له إلي غرفة الحضانات . ففتحت الباب و أغلقته خلفها . كانت الغرفة تكتظ بمئات الأطفال الصغار , مختلفي الأشكال . هناك من لونه قمحي , هناك من يميل إلي اللون الأبيض . كتيبة متنوعة من صغار المصريين .
متجمعون في مكان واحد . في غرفة الحضانات !
كان هناك حضانة فارغة . كانت مخصصة لأي طفل سيأتي اليوم . قامت بفتح الحضانة . و أمسكت الطفل بحذر شديد , ووضعتة ثم أغلقت عليه الحضانة بكل هدوء و يسر . كان يغط في نوم عميق . و خرجت من الغرفة بهدوء و أغلقت خلفها باب الغرفة . و ذهبت لتكمل باقي عملها لليوم !

قام " حسن " من نوم عميق آخر . و بدأ في النظر أمامه ليجد زوجته .
نيهال , لا تال نائمة . من تعب مستمر ما زال يتوغل في جسدها و
يتجدد في كل لحظة !

دخلت عليه الطبيبة في تلك اللحظة . و نظرت الي زوجته و قالت :
هل لا تزال نائمة ؟
أجاب :

بل أنا الذي كنت نائما .
ضحكت الطبيبة و قالت :

بامكانها الذهاب الآن يا أستاذ حسن .
ثم أردفت :

و الاسبوع القادم في ذات اليوم يجب أن تأتي بها مجددا لاجراء
الفحوصات النهائية علي حالتها .
تمتم قائلا :

بالتأكيد يا دكتورة .
ثم أكمل :

أنا أعتذر بالنيابة عني و عن زوجتي عن كل ما أتعبناك فيه . أنا أعلم أنها أتعبتك قليلا اليوم .

ثم نظر الي " نيهال " و أكمل :

و أنها كانت لتركلك بقدمها لولا أن تم اللحاق بها قبل أن تفعل ذلك .
ضحكت قائلة :

لا بأس , لقد مررت بهذا الموقف الكثير و الكثير من قبل . لم تكن زوجتك الأولى التي تحاول القيام بذلك الشئ .
قال متفهما :

أعانك الله في هذه الوظيفة .

أجابت :

أعاننا الله جميعا يا أستاذ " حسن " .

و أكملت :

سأغادر الآن , عندي الكثير من الأعمال . و قل لمدام " نيهال " ,
انها رغم المرة الأولى التي عانت فيها جراء تلك العملية , الا أنها
أظهرت لي مدي صبرها و ثقتها الكبيرة بالله .

أردفت و هلي تستعد للخروج :

طفلك جميل مثلك يا أستاذ حسن .

تبسم حسن في وجهها و لم يعلق . ثم غادرت الغرفة و بدأ أحمد في الالتفات الي " نيهال " , التي بدأت في الاستيقاظ رويدا رويدا . تنهدت و هي تتكل بمعصمها للجلوس قليلا . و أرخت علي ظهرها علي وسادة قطنية . تريح الظهر من تعبته المحتم ! فتحت عينيها بعض الشئ لتجد " حسن " يقف متأملا فيها , فبادرت بالتكلم قائلة :

حسن , ماذا تفعل واقفا ؟

أجاب :

كانت الطبيبة تكلمني منذ قليل . و قالت لي ان بإمكانك الآن الخروج و العودة الي المنزل , هل تريد ذلك ؟
تنهدت قائلة :

بالطبع , لا أريد البقاء طويلا في هذه الغرفة .

ثم أردفت :

لا أحتمل البقاء علي حالة واحدة الكثير من الوقت . لذلك فلنعد الي منزلنا .

أقترب منها , و قرب كرسيها ليجلس بجانبها و قال :

الطبيبة تبلغك التحيات , و تقول لك بأنها ما رأت مثل صبرك هذا قط .

و أكمل بابتسامة :

حقيقة ما رأيته منك أثناء عملية الولادة تلك . لم يكن بالأمر الهين علي الإطلاق .

ضحكت بصوت أنثوي قائلة :

لقد كان ألما فظيعا . ينهش في عظامي كلها , ولم يكن من السهل التعامل معه .

أردفت بتنهّد :

ولكن الله أعانني علي كل هذا . و أستجاب لدعوتي حقا و صدقا , فكان من صبري الا من غيث أنزله الله علي من السماء , يسر لي كل الأمور التي كنت أظنها عسرا .

حمد الله و قال :

هذا فضل الله يؤتيه من يشاء . و ما ربك بظلام للعبيد .

و رفع يديه في الهواء , يشكر الله علي ما مر من موقف صعب . و ولادة صعبة أصبحت يسيرة بفضلله , و أن رزقه الله " يوسف " الصغير الذي يأمل فيه خيرا , و أن يكون من أوليائه الصالحين . و أختتم الدعاء واضعا كفيه علي صدره . الحمد لله , الحمد لله .

أجلس كفيه علي ساقه , و أنزلها من تعلقها في الهواء , بعد دعاء من قلبه و فمه . ثم عاد للنظر الي زوجته . وقال لها و هو يقف :

هيا بنا الآن . أم أنك تريدين بعض الراحة ؟

قالت له و هي تقاوم التعب :

سأحاول , هيا فلنذهب .

قام باسنادها علي معصمه و هي توقم ببطئ , تزحوح رجليها بتعب و ارهاق . كأنهما لا يرغبان في الحراك . يرغبان فقط في الثبات و عدم الحركة . لكن بعد أكثر من مقاومة منها . لبث ساقها الطلب , فتحركت ببطء من علي السرير الوثير . كان ممهدا بعناية لها . و أكثر ما كان يعجبها في تلك الغرفة . وقفت علي ساقها أخيرا و زوجها معها في كل خطوة . خطوة خطوة معها أثناء سيرهما لباب الغرفة . أقتربا منه أكثر ففتحه ببطأ و خرجت هي بجانبه . جنبا لجنب حتي في أحلك الظروف و أكثرها تعباً . أقتربت منهما الطيبة , و أمسكت بسرعة بزوجته قائلة :

ساعدني علي اجلاسها علي هذا الكرسي المدولب . سيساعدها أكثر في الحركة في أروقة المستشفى الواسعة .

أمسك بها هو أيضا , و أجلساها علي كرسي مدولب جلبته معها
الطبيبة . حتي جلست و أرتاحت و تنهدت كأنها تخلصت من هم الدنيا
كلها !

قال حسن لها :

سأذهب أنا الان لاتي بـ " يوسف " .

اومأت رأسها بالايجاب . فأسرع حسن الي الغرفة المقابلة . لاحضار
الصغير " يوسف " , فتح باب الغرفة ببطء . متسللا ببطء بين العديد
من الأطفال , ظل ينظر في كل طفل ليري أين أبنه . يوسف . في
حضانة صغيرة في وسط الغرفة , وجد حضانة مكتوب عليها ,
يوسف حسن الكومي " , هل وجهه و نظر من أعلي لابنه الصغير ,
الذي كان نائما كأمه . يبدو أنهما تقاسما كل شئ جتي النوم تقاسماه
أيضا .

أقترب من الغطاء و فتحه ووضعه جانبا , و بدأ في رفع ابنه و حمله
بين كلتا ذراعيه . شعر الأب بالدفء , و الابن نائم دافئ هو أيضا .
ذلك الصغير كان يلامس قلب أبيه و هو يحمله . شعر الأب بدغدغة
بجوار القلب . زادت من شعور السعادة , زاد ضخ الدم في ك ل أنحاء
جسده . شعر الجسد كله بالسعادة و هو يسير به خارجا من الغرفة .

مبتسما إليه و لا ينقطع عن النظر اليه . صغيرا بوجه أكثر احمرارا .
خجول بوجنتين حمراوتان , ألتفتت " نيهال " لوقع أقدامه و هو يأتي
حاملا " يوسف " , فتهللت للقاءه من جديد . أبتعد عنها الكثير من
الوقت . تريد أنه تشبع و ترتوي بنظراتها له أكثر . كان ينقصها قطعة
في قلبها , يوسف بالطبع سيكملها ! تشعر بذلك الترابط الوثيق جدا .
رفع حسن ناظريه الي زوجته , و ابتسم لها و هو يعطيها حسن . بيدين
مطمئنتين . و أصابع سعيدة للغاية , أمسكت به أخيرا . موقف سعيد
أن تمسك بطفلك . أن تلهوا معه . أن تنتظر لطفلك الذي ولد في يومه
الأول في هذا العالم . ليس هناك شعور يقاس بمثل هذا الشعور , ليس
هناك مقياس علي الإطلاق للأطفال . نظرت لحسن و قالت :

هيا بنا يا عزيزي . فلتعد الي بيت وئامنا .

أمسك حسن بيذا الكرسي المدولب . و سار به نحو " الأسانسير "
للنزول الي طابق الاستقبال . وما كانت سوي لحظات حتي خرجا منه
و توجهوا نحو طبيبة الاستقبال , فقال لها حسن :

سمحت لنا الطيبة بالخروج .

أجابت :

حسنا , بإمكانكما المغادرة .

قال حسن :

شكرا لك .

قامت زوجته من علي الكرسي . و أمسك بها جيدا و ترك لها حمل صغيرهما " يوسف " , و سار معها حتي كانا خارج المستشفى , كانت الشمس هادئة في ذلك الوقت , لم تكن تجمع باشعتها الحارقة . ولا بألسنتها الملهبة . كانت هادئة تميل الي السكون و الهواء العليل . الذي لا يتعب البدن . تحرك الي الخارج ووقفا ينتظران قدوم تاكسي يقلهما الي منزلهما . القريب من تلك المستشفى , أنتظرا ثوان حتي أتت سيارة تاكسي بيضاء اللون , فرفع حسن يده مشيرا له بالتوقف . توقف الرجل أمامهما تماما و ركبت أمراته بعد أن تأكد من جلوسها مستريحة , و أجلس معها الطفل . ليحظيا بمتعة اللقاء . الأم مع الابن . حالة لا يفهمها الذكور ! , أنطلقت السيارة بهما عائدين الي المنزل , كان حسن يبتسم كلما ينظر الي المرأة الأمامية و يرا زوجته تداعب " يوسف " في فمه . و تغني له بصوت رخيم , و هادئ في نفس الوقت . و تسليه بصوتها , وكأنه يزداد شجونا و طربا فيفتح عينيه لينظر لها , فيبتسم مرة ثم يقفل عينيه مرة أخرى . وكانت تنظر " نيهال " لـ "

حسن " في المرأة و تبتم له , و يتسم حسن هو الآخر . المرأة
المربعة الشكل جمعت بينهما حب و حالة من السعادة في سيارة أجرة
بيضاء اللون !

وقف التاكسي أمام البيت مباشرة , فأسرع أحمد بالنزول ليفتح الباب
لزوجته في الخلف , و خرجت منها ومعها صغيرها , و تبتم له
بنظرات جانبية و هي ترتجل عن السيارة بهدوء . وقف حسن يعطي
للرجل المال , ثم غادرت السيارة محدثة بعض الضجيج . أقرب
حسن ممسكا بيدها و دخلا العمارة , و أقربا من باب المصعد و فتحه
لها و هو يقول متغازلا بها :

تفضلي يا سيادة الملكة .

أقبلت بابتسامة علي شفثيه بالدخول . و أغلق معها حسن الباب . و
ضغط علي زر الطابق الثاني .

في صعودهما كان يتسم لها دائما . و كانت تنظر له و تقول :

هل بإمكانك أن تتوقف عن مغازلتنا قليلا ؟

ابتسم قائلا :

أهناك ما يجعلني لا أتوقف عن الابتسام في وجه أميرتي الجميلة .

أحمرت وجنتاها و قالت :

ألا تخجل من هذا و قد كبر سنك و أصبحت في بداية الثلاثينات .
قال حسن :

و هل للحب موعد يا نيهال !

في تلك اللحظات . وصلا الي الطابق الثاني . أسرعت " نيهال " في
فتح الباب , و دلفت منه و هي تنظر لحسن قائلة :
فلتؤجل الحب قليلا يا أميري .

تبعها حسن و أغلق باب المصعد . أخرج من جيبه المفتاح المسنن من
نهايته , و بدأ في ادخاله في القفل . حتي صدر صوت من الباب يؤذن
بفتحه . دفع الباب فدخلت " نيهال " و هي تحمل الفتى الصغير ,
سارت حتي وصلت الي الغرفة التي وجدت اضائها مضاءة .
فأستغربت و نادت علي حسن . فأقبل باستعجال قائلاً :
ما الخطب ؟

سألته و هي تشير الي المصباح

لقد وجدت المصباح مضاءة . هل تركته ؟

تذكر يوم أمس . فقال :

نعم , تركته حتي حين نعود له مجددا يذكرنا بذلك اليوم .

تفهمت قائلة :

لقد كان يوم و أي يوم .

عقدت حاجبيها . و وضعت الطفل " يوسف " علي سريرهما " و
صارت تلعب معه بيديها . و يديه الصغيرتان تتراقص فقط مع نغم
يديها . عينيه كما ورثه أبوه اليه . عينيان عسلتان يميلان الي الخضرة
في بعض الأحيان . و ابتسامة لا تفارق وجهه . علامات تقربه من أبيه
أكثر . فأقترب منهما حسن وجلس بالجوار , و بدأ في الحديث قائلاً :
من في رأسك يشبه ؟

تكلمت و هي تلعب مع يوسف :

بالطبع أنت !

قال :

ولكن ما الذي أخذه منك .

قالت و هي تنظر لحسن هذه المرة :

لم أعرف بعد . لكن قريباً سأعرف بالطبع .

ضحك و هو يميل برأسه بعيداً . ثم عاود الكلام قائلاً :

أعتقد في انه يشبه ضحكتك تلك .

ثم أكمل :

أليس كذلك .

تبسمت و هي تقول :

في الواقع قد يكون ورث مني ذلك الشئ . لكن أظن أننا تقاسمنا ملامحه سويا .

و أشارت الي حسن :

أنت لك النصف .

و أشارت اليها :

و أنا لي النصف .

ضحك و هي تقول تلك الحسبة الرياضية . علي طفل لم يتعدي عمره اليوم بعد . فقال لها :

أشعر بأنك تقسمين بيعة , لا تقسمين طفلا .

ضحكت قائلة :

اذن كله لي .

و بدأت في احتضانه و هي تنظر اليه . تشعل مشاعره نحو يوسف . ولكن أشاح بنظره عنها و خرج ناحية الحمام . فجلست هي تقوم بارضاعه . حين بدأت باخراج ثديها الأيمن . و قربته من فمه حتي بدأ

يستسقي منه بنهم كبير . بل كان في بعض الأحيان يعض بفكه الخالي
من الأسنان , فكانت تضحك قائلة :

يا لك من جائع .

ولكنه يكمل في الشرب . المزيد من اللبن من أمه ! يحصل علي
المزيد من الطاقة .

دخل حسن في تلك اللحظات و هو ممسك قماشة ينظف بها وجهه
الملئ بالماء . حين فرغ بدأ في النظر اليهما . فقال لها و هو يضحك
ساخرا :

لقد عرفت الآن ماذا أخذ منك !

ثم أكمل بنفس السخرية :

الحب الشديد للأكل .

أخذت وسادة بجانبها و ألقتها عليه . و هي تضحك سخرية هي
الأخري علي نفسها . من شدة طرافة الموقف . ضحك " حسن " أيضا
وهو يبتعد واضعا القماشة علي حافة كرسي قريب من المكتب . و أخذ
المصلاة , و قام بطرحها علي الأرض , و بدأ في الدخول إلي الصلاة
. كان يصلي العصر .

أستراح " يوسف " من شرب اللبن , و غط في نوم عميق و هو يضع
ثدي أمه بداخل فمها . لا يزال ملتصقا بفمه حتي و هو لا يشعر . و
هو نائم لا يريد أن يتركها ولو لثواني معدودة . أبعدته ببطء عن ثديها
و حملته بين ذراعيها و أقتربت من مقدمة الفراش , وضعتة في
الوسط تماما . حتي لا يقع علي اليمين أو علي اليسار . و جلست هي
بجانبه و قامت بفرد جسدها بالكامل علي السرير . الراحة ما أعظمها
بعد يوم من العناء الطويل , تنهدت و هي تقول :
لقد كان يوما طويلا بحق .

و أغلقت عينيها بهدوء . و في ثواني كانت هي الأخرى نائمة . أقترب
أحمد منهما بعد أن أنهى صلاته , و جلس علي الحافة قبل أن يمدد
جسده علي الفراش . مريحا كل ألامه و أوجاعه علي ذلك الفراش .
فتحسننت حالة جسده تدريجيا , و مع اقتراب غروب الشمس , كانوا
نائمون جميعا يبتسمون بتلقائية شديدة !

6:00 مساء

أستيقظ حسن علي أذان المغرب . سمع صوت الشيخ " محمد " ,
صديقه المقرب الي قلبه . يؤذن بصوته الجميل العذب , فما كان
لجسده الا أن يستفيق ليستمتع لهذا الصوت . فقام و هو يفرك ما في
عينيه . و يحاول ايقاظ جفنيه الناعسان من شدة التعب . و قام ببطء
من علي فراشه و جلس بالقرب من السرير الذي كان عليه , جلس
ليستمع الأذان كاملا .

قام حسن بعد انتهاء الأذان , متوجها الي المرحاض ليتوضأ , من ثم
يستعد للنزول الي المسجد للصلاة في جماعة , بعد دقائق خرج من
الحمام مداريا و وجهه بقطعة القماش التي يقوم بازالة بواقي الماء من
علي وجهه بها , حين أنتهي أرجعها مكانها علي كرسي المكت , و
ارتدي الجلباب الأبيض المعتاد , و قبل أن ينزل أطمئن علي حال
زوجته , و نظر بمحبة الي ابنه الصغير , ثم خرج من الغرفة قاصدا
المسجد . مسجد بلال ..

نزل علي درجات السلم بخطوات هادئة , فكان في لحظات يخرج من باب العمارة , يقترب أكثر من المسجد القريب منه جدا , أخذ حذائه في يديه و دل فالي المسجد , ألتفت الي الخلف ليري الشيخ محمد يجلس علي كرسي في الخلف , فراه فأبتسم الشيخ محمد و أقبل عليه و أحتضنه بشدة و قال :

كيف حالك يا حسن ؟

أجابه :

بخير الحمد لله .

سأله الشيخ من جديد :

و كيف حال ابنك الصغير يوسف .

أجاب بامتنان :

بخير يا مولانا , دعواتك معنا .

رفع رأسه إلي السماء و قال :

اللهم بارك فيه . و ارزقه الهداية و الصلاح . و اجعله من رفقاء

الاصلاح , اللهم قربه الي أمه و أبيه خير مقربة , و باعد عنه السوء

يا رب العالمين .

تهلل و جه حسن و قال شاكر الشيخ :

اللهم أمين يا رب العالمين .

قال له الشيخ و هو ممسك بيده :

و الآن هيا ستبدأ الصلاة .

تبعه حسن , و أقام الشيخ محمد الصلاة و أم الناس حتي أنقضت

الصلاة و تفرق الناس كل الي أحوالهم . اذا كانت تجارة فلمكسب هم

ذاهبون . و اذا كان لعمل فلجهد هم باذلون . فكل ميسر لما خلق له !

أنتهي حسن من الصلاة معهم و غادر كالعادة مع الشيخ محمد بعد أن

تأكد من خلو المسجد تماما . أغلق جميع الأضواء و أغلق خلفه

المسجد , تبعه حسن بعينين تنتظران قدومه . كان يقف بجانب باب

المسجد مباشرة . ما أن أنتهي الشيخ محمد من اغلاق الباب حتي أقبل

عليه , و تصافحا سويا ثم ذهب كل رجل في طريقه . عاد أحمد الي

العمارة و صعد علي درج السلم و أقبل علي باب الشقة , و فتحه و

دلف الي الغرفة التي في الداخل , دخل الغرفة فكانت زوجته " نيهال

" تصلي المغرب . و كان يوسف الصغير في فراشه مازال نائما ,

فاقترب منه و جعل ينظر له بحب , أكثر منه شغفا و مودة , تطلع في

عينيه بريق النظر و الاستمتاع بكل النظرات علي عيني ابنه الصغير

هو يوسف , أولي أبنائه في هذه الدنيا . فجلس معه قليلا و أحتضنه ,
فتناقلت جفونه و أخذ هو الآخر يذهب في نوم بعيد . أحلاما سعيدة مع
ابنه " يوسف " .

انقضي الأسبوع سريعا عليهم . فحل يوم ذهابهم الي المستشفى ,
أستيقظ حسن في ذلك اليوم و جعل ينعس بعينه قليلا , و هو ذاهب
ليستحم و يستعد جيدا قبل الذهاب للمستشفى , ما أن أنتهي حتي خرج
و دخل الغرفة و هم بإيقاظ زوجته من نومها . أقترب منها و همس
قائلا :

هيا أستيقظي يا نيهال .

قامت فزعة بعض الشئ , ما أن رأت عينيه ووجهه القريب منها ,
حتي أرتاحت قليلا لوجوده بجانبها , قامت و هي تقول :
ها أنا ذا , أستيقظت .

ثم نظرت بجانبها الي " يوسف " , و قالت له :
صباح الخير يا يوسف .

فتح يوسف الصغير عينيه قليلا . و نظر لها فوجدها تبتسم له . فأبتسم
بتلقائية الي وجه أمه . و نظر بعينه اليها . مما زاد من ابتسامتها و
ضحكت و هي تقول مداعبه له :

ما هذه الابتسامة الجميلة .

سمعت صوت أحمد يقول لها من بعيد :

هيا أسرعى للحاق بموعد الطبية .

نظرت اليه و كان يرتدي الثياب :

أنا قادمة .

تركت يوسف . و ذهبت لتستحم ثم عادت لترتدي ملابسها , و كان حسن في تلك اللحظات ينتظرها في ا خارج حاملا " يوسف " علي كتفه . و بروية يضغط علي ظهره ليهدأ قليلا , أنتهت " نيهال " من ارتداء ملابسها , و خرجت من الغرفة فشاهدها حسن و هي تخرج فقام علي الفور . من منطق عدم التأخر , قالت له :

هيا بنا , لقد أصبحت جاهزة .

أقترب أحمد من باب الشقة , و قام بفتحه و تبعته نيهال في الخروج و أغلقت جميع أضواء المكان تلك المرة . نزلا علي السلم و وصلا الي باب العمارة , قاما بالسير بضع مترات صغيرة للذهاب الي خارج هذا الشارع الصغير . وقفا ينتظران عربة التاكسي . ابيض اللون مع بعض الخطوط السوداء . ثم بعد لحظات أتت فاستقلاها و ذهب بهما الي المستشفى . السعودي الألماني . هذا الأسم غريب نوعا ما . يضم جنسيتين مختلفتين في بلد مختلفة كليا عن هذين البلدين . السعودية ,

ألمانيا , ان مصر أصبحت في الأعوام الأخيرة في عام 2015 تهذي
بعض الشئ , لذلك ليس هناك مانع في هذا !

توقفت سيارة التاكسي أمام باب المستشفى , فتح حسن الباب الأمامي و
خرج منه , بينما نيهال فتحت الباب الخلفي . و خرجت منه مع "
يوسف " , غادرت السيارة بعد أن أخذ حقه . الكثير من الجنيهاات ,
دخلا المستشفى في ذلك الفناء الواسع , مكتظ باللون الذهبي , و
جوانب فضية تغطي المنحوتات المتواجدة فيه , تعطي لونا جميلا لهذا
المكان , و مزاجا خاصا لمن ينوي القدوم و أخذ بعض الهواء العليل
من هذه " المستشفى " , أقتربا من موظفة الاستقبال , السيدات يتخذن
الوظائف الرئيسية كالعادة ! أقبل عليها حسن و خلفه نيهال . قال حسن
للموظفة :

لدينا مقابلة مع الدكتورة عائشة من فضلك .

قالت :

موعد مسبق .

أجاب :

نعم .

أجابت و هي تعطيه ورقة عليها طابع المستشفى :

تفضل يا أستاذ , الطيبة في انتظارك في الطابق الثاني .
أجاب :

شكرا لك .

صعد علي درج السلم هو و زوجته . مر بالطابق الأول وصولا الي
الطابق الثاني . في غرفة كانا فيها في السابق , منذ أسبوع تقريبا .
وصلا لري غرفة الطيبة . مكتب خاص بها في زاوية أحدي الغرف ,
أو ي الأحرى غرفة خاصة بها , كجميع الأطباء في هذه المستشفى .
فتح حسن الباب و هو يدخل و معه نيهال . أستقبلتهما الطيبة " عائشة
" بابتسامة و هي تقول :

تفضلا بالجلوس .

و كانت تشير الي الكرسي المقبل للمكتب . أقترب حسن و جلس , و
كانت نيهال تحمل الصغير " يوسف " بين ذراعيها و هي تجلس في
مقابل حسن . زوجها العزيز , أرسمت علي شفثيه ابتسامة و قال
للطيبة :

قلتي لنا الأسبوع الماضي بأن نأتي في مثل ذاك اليوم بعد أسبوع .
أجابت الطيبة :

نعم .

فأردف حسن :

ها نحن ذا , بإمكانك أن تجري تلك الفحوصات .

قالت :

ولكن قبل أن أبدا . أريدك يا نيهال أن تعطي الفتى الصغير الي والده .
ليبقى معه ريثما نجري الفحوصات .

تمتت " نيهال " :

حسنا .

قامت الطبيبة من علي كرسيها . جلدي مائل الي اللون الأسود القاني ,
تحركت صوب نيهال و أمسكت بيدها لتقوم معها , قامت نيهال بهدوء
و أعطت " يوسف " الي أبيه . و قالت الطبيبة قبل أن تغادر ممسكة
يد زوجته :

من فضلك , فلتنتظرننا هنا .

أجاب :

بالطبع , سأنتظركم .

غادرت الطيبة و معها نيهال . الغرفة الي مكان آخر , قريب و هو أيضا في نفس الطابق . الطابق الثاني , فتحت الطيبة تلك الغرفة و تبعتها " نيهال " بنظرات متفقدة للغرفة .

فرغة كانا فيها من قبل ز يوم الولادة كانت في مثل الغرفة تلك , ضوء مركز في المنتصف , ثلاثة عيون في الأعلى تنظران لك من كل مكان , أشبه بوحش لا يتحرك , ولكن فقط يراقب في صمت ! طلبت منها الجلوس علي السرير المجهز . فأقبلت و قامت بمد جسدها المتوسط في الحجم . ببعض بروز في البطن من أثر الحمل . ثم قالت لها الطيبة :

الآن سنجري اختبار بسيط علي جدار الرحم من الداخل . لنتأكد من أنه سليم **100%** , ليس به خلل .

أجابت " نيهال " :

حسنًا .

قالت الطيبة :

و الآن أطلب منك أن تذهبي في هذه الزاوية . خلف هذا الستار و تزيلي الملابس ثم تعودي الي لنبدأ مراحل الفحص .

أجابت و هي تقف :

حسنا .

ثم ذهبت في خطوات هادئة بوقع خطوات خافت . خلف الأستار , و
بعد لحظات أتت لتجلس أمامها من جديد . قالت لها الطبيبة :

الآن هل بإمكانك أن ترفعي ساقيك الأثنين علي هذين الساعدين .

أشارت الي قطعتين من الحديد . مغروزة في باطن الكرسي من
الجانب . (الفراش الكرسي) , أجابت نيهال :

بالطبع .

فعلت مثلما قالت لها , تحركت الطبيبة بالكرسي قليلا , و بدأت في
سؤالها و هي تنظر الي " المهبل " الذي بدأ في الترهل قليلا , ثم
سألتها :

هل شعرتي بأي ألم حين تقضين حاجتك .

أستغربت السؤال قم أجابت :

أمم .. لا , لم أشعر بشئ .

ثم سألتها الطبيبة من جديد :

هل لاحظتي في تغير لون البول ولو قليلا ؟

أجابت نيهال :

نعم ذلك هو الشئ الوحيد الذي لاحظته , و كنت أود أن أسالك عنه ,
لكن بادرتي أنتي بهذا .

ثم أردفت :

وهناك شيء آخر كنت أود أن أسالك عنه ؟
نظرت لها الطيبية بسرعة قائلة :

ما هو ؟

أجابت " نيهال " و هي تشير إلي المهبل بعينيها :

تلك الترهلات , هل لاحظتها ؟

أجابت بعد أن هدئت حماسها قائلة :

نعم . لاحظتها .

ثم أستطردت :

هذا شئ طبيعي , لا تقلقي و خاصة لأنك في أولي تجارب الحمل .

تمتت نيهال :

بالطبع .

ثم عاودت السؤال قائلة :

نسيت أن أقول , البول لونه أحمر دائما و كأنه مثل الدم . لون أحمر

قاني تماما !

أجابت الطبيبة و هي تنظر لها :

لما لم تقولي منذ البداية ؟

ثم أردفت قائلة :

هذا قد يكون قطع بسيط في جدار الرحم الداخلي , نتيجة الولادة الطبيعية . لذلك سنفحص الآن جدار الرحم من الداخل لنتأكد من هذا الشيء .

أستطردت قائلة :

لذلك لا تقلقي , كل شيء سيكون علي ما يرام .

هدأ بال " نيهال " قليلا , و عادت تنظر للسقف بأعين شاردة عما يحدث . أجرت الطبيبة الكشوفات و الفحص علي جدار الرحم من الداخل عن طريق جهاز يسمى (المنظار المهبلي) أو (التنظير المهبلي) , هذا الجهاز يعمل كمجهر ثنائي العدسات لرؤية صورة مكبرة , و مضاعة لعنق الرحم و المهبل و سطح الفرج .

بعد لحظات كانت قد أنهت من الفحص . و قامت بإبعاد ذلك الجهاز بعيدا . و نظرت لها الطبيبة قائلة في ارتباك :

هناك شيء ما بالداخل أيضا , غير ذلك الجرح !

ظهر القلق علي " نيهال " و هي تقول :

ما هو . أخبريني ؟

زاد نبض العرق المتفاوت علي وجهها . و هي تزدد ريقها قائلة :

هناك ورم في جدار الرحم الداخلي !

زاد ارتباك " نيهال " و هي تجيب :

هل لهذا خطر علي ؟

أجابت :

بدرجة بسيطة , لكن اذا تطور الأمر فقد يكون شديد الخطورة !

قالت " نيهال " :

اذن و ما العمل ؟

أجابت :

لم أتأكد بعد من نتيجة هذا الورم ؟

ثم أردفت و هي تقوم من علي الكرسي :

سأذهب لأقوم بتحليل تلك العينة ثم أعود لك علي الفور , قومي معي

و أردي ثيابك و أنتظريني هنا فقط .

غادرت الطيبية الغرفة , أغلقت خلفها الباب بهدوء . قامت " نيهال "

من علي هذا الكرسي , ارتدت ثيابها من جديد , و جلست أمام المكتب

الخاص بها . تنتظر قدومها بفارغ الصبر !

كانت في تلك اللحظات , تدخل الغرفة الأخرى . التي يجلس فيها " حسن " مع الطفل الصغير . دلفت الي الغرفة بهدوء و أغلقت خلفها الباب , و عادت للجلوس أمام المكت . و " حسن " لا يفارقها بنظرات تعجب , و استغراب و محاولة لادراك ماذا تفعل , و لماذا قدمت الي هنا بدون زوجته ؟ . أخترقت كل ذلك الكلام . و هي تقول بنبرة تتميز بالجدية :

أستاذ حسن .

ظهر عليها القلق . و بعض الوجوم من شفيتها التي ترتبكان . تخاف التفوه بشيء ما , ثم عاودت تقول :

هناك أمر يجب أن أحدثك عنه !

أجاب " حسن " و هو يعقد حاجبيه :

ما هو ؟

نظرت لأسفل قليلا , ثم قالت :

في خلال أسبوع .

صمتت قليلا . فقال حسن :

لم أفهم شيئا !

عادت للنظر الي وجهه في ارتباك ملحوظ قائلة :

في خلال أسبوع !

ازدردت ريقها و هي تقول بجدية :

ستموت نيهال !!

هول حسن أزداد صمتا . لم يتكلم بعد سماعه لتلك الجملة . كانت بمثل صاعقة كبيرة . ألقت بعواصفها و برقها و رعداها علي جسده بالكامل , فأفقدته وعيه و لم يستطع الحراك . كأنه شل تماما , ولكنه لا يزال علي قيد الحياة , الأمر صعب , تحمل ما لا تستطيع أن تتعايش معه بمثابة المعضلة الكاملة . أحجية بلا وسائل للفوز بها !

نظر لها قائلا :

نيهال .. سـ .. تموت !!

سقطت الدموع علي وجهه و قال :

ولكن كيف !

قالت بهدوء أعصاب :

دعني أشرح لك فقط ماذا يحدث .

ثم أردفت :

نيهال مصابة بمرض (سرطان الرحم الوبائي) , هو ثاني أكثر

السرطانات انتشارا بين النساء , أصيبت حوالي (500.000)

امرأة بهذا المرض , و ماتت منه حوالي (**237.000**) امرأة
بسبب هذا السرطان الخبيث !

ثم أستطردت :

ونتيجة هذا المرض في الغالب هو فيروس يسمى (HPV) , و هذا
الفيروس يظهر عن طريق العدوى . أو في الغالب عن طريق
الممارسة الحميمة لكما . و لسوء الحظ أن نيهال قد أتاها هذا الفيروس
بصورة مبكرة عن المعدل الطبيعي لظهور هذا المرض . في الغالب
يظهر هذا الفيروس في العمر ما بين 20 – 30 سنة , و زوجتك قالت
لي بأنها الآن في منتصف العشرينات . لذلك هي في المعدل الطبيعي
ما زالت في بداية نشوء هذا الفيروس , ولكن لسبب ما ظهر هذا
الفيروس مبكرا عند زوجتك في سن بلوغها . فأزدهر معها حتي
أصبحت في منتصف العشرينات و لم يتم الكشف عليها الي الآن . و
للأسف حين أجريت لها فحص الآن علي جدار الرحم الداخلي ,
وجدت ذلك " الورم " السرطاني الذي يحمل ذلك الفيروس . لم أرد أن
أقلقها بذلك فأجريت فحصا علي العينة التي أخذتها من ذلك الورم . و
تبين لي بأنه قد أصبح لا يقاوم . زادت نسبته في الجسد كله .

تابع " حسن " كلماتها . بحزن شديد , فراق زوجته سيكون صعبا له جدا . انهم في بداية أبويتهم في هذه الحياة , أسبوع واحد فقط سيفصلنا عن بعضنا . حزن و بؤس شديد يسيطر علي قلبه , و الصمت بملأ المكان . لا أحد يتكلم بعد ما قد قيل . ولو حتي بحرف واحد ! أحتار عليه الأم و هو يحتضن الصغير بشدة . يوسف , لن يري أمه بصورة واضحة مجددا , لن يري جمالها و رقتها و سر دعابتها , لن يري نور وجهها الذي يجتنب أركان المنزل بهاء و سرورا . يوسف , لن يري التي عانت من أجله حتي يهبط بسلام الي هذه الدنيا . و لن يتبقي لك سواي يا صغيري .

نظر الي " الطيبة " بدموعه و قال :

و أين هي الآن ؟

قالت :

قلت لها بأني سأذهب لأجري بعض الفحوصات ثم أعود لها .

طأطأ أحمد رأسه لأسفل , و قال في حزن :

سأذهب إليها أنا هذه المرة .

أجابت :

سأتي معك .

قال " حسن " :

حسنا .

كانت قطع الاكتئاب تنتشر بين ضلوعة . تتوغل في قلبه لقطع عنه سبل السعادة , شعور لا يحتمل . الفقد ما زال يتعب البشرية كلها . منذ قديم الأزل إلي العصر الحديث , تحت راية واحدة " مرحبا بك يا ملك الموت " , أقبل بفتح الباب بهدوء . لم يكن يبالي بالعالم المحيط . تركه يهوي بعيدا و غادر الغرفة و هو يحاول كتم دموعه المنسابة بجانب وجنتيه . الذي زاد اشتعالهما بالاحمرار الداكن . كان طوال سيره يسترجع ذكريات الماضي . مع زوجته . نيهال , التي كانت له جنة و أي جنة , بستانا و أي بستان . كانت تتضرب بالخير في كلامها . كانت تعطي له الحقوق أكثر مما تأخذ الواجب . كانت تعمل لترضي سخاءه و رغبتى فقط , و كأنها فقط خلقت لأجلي . مر شريط الحياة أمام عقلة و كأنه فيلم قصير . أعى تمثيله في لحظات و ظهر علي شاشة العرض علي الفور !

كانت خلفه تسير الطيبة . تتبعه في خطواته . الي الغرفة التي تجلس فيها " نيهال " , منتظرة رأي " الطيبة " , ولا تعلم أي شيء مما

يحدث بعد . أقترب أحمد من الباب , ولكن قبل أن يحرك يديه ليدخل ,
سبقته " الطيبية " و أمسكت بالباب . و نظرت في عينيه و قالت :
لقد قلت لها بأني سأعود .

ترك " حسن " الباب , فقامت الطيبية بفتحه بهدوء و دلفت الي الغرفة
. تبعها حسن و أغلق خلفه الباب . أقتربت الطيبية " من نيهال " و
جلست في مقابلها . لاحظت قدوم " حسن " فقالت :

حسن ! ماذا جاء بك الي هنا ؟

أجابها حسن و هو يقبل عليها ليقبلها من رأسها قائلاً :

وما المانع !

أجابت " نيهال " :

ألم تقل لك الطيبية بأن تنتظرنا في الغرفة هناك . و أحضرت معك
يوسف أيضا .

وقفت من علي الكرسي , و أخذت الصغير " يوسف " من بين
أحضانها .

و صارت تلعب معه و تجالسه قليلا . لم تلعب معه منذ ساعات . تلك
هي قلوب الأمهات . لا تبعدها عن طفلها أبدا . لأنه كان بينهما "
الحبل السري " .

أقرب أحمد و جلس بالقرب منهما . و بدأت الطيبة الكلام :

لقد صدرت نتيجة الفحص يا نيهال .

قالت و هي تنظر الي " يوسف " :

و كيف كانت ؟

هطلت فجأة دموع صغير علي عينيها , ولكن تماكنت نفسها و قالت :

سأعطيك فقط الدواء المناسب لهذا الجرح . و باذن الله ستشفين منه و

ستعودي كما كنت . باذن الله .

كذبت عليها ولم تكن لتريد أن تفعل ذلك . الكلمات صعبة علي أن

تقولها . هذه حياة وليست لعبة لإخبارها بهذا الشيء " الصعب " حتما

. ولكن هذا هو القدر . ما شاء الله فسينفذ . إنما قوله إذا أراد شيئا أن

يقول له كن فيكون , هذه هي الحياة . ضحكت و هي تقول :

باذن الله بالطبع .

ثم نظرت اليها و قالت :

ومتى يمكننا أن نتقابل من جديد ؟

أجابتها قائلة و هي تتمالك بكاء " روحها " :

بعد أسبوع يا نيهال . باذن الله .

اومات برأسها بالموافقة , و قامت من علي الكرسي . و هي تنظر
لحسن و تقول :

هيا بنا .

نظر لها " حسن " و قال :

بالطبع . هيا لنغادر .

مدت يدها اليمني لتصافح الطبيبة . تصافحتا بحرارة شديدة . وكانت
الطبيبة وكأنها لا تصافح أحدا . مصافحة ميتة من الشعور . لا نبض
يتحرك فيها علي الإطلاق !

أقبلت علي " حسن " و هي تعطي له " يوسف " بابتسامة علي وجهها
. الرقي التي تتمتع بها تلك الشخصية " الجذابة " من الصفات التي
كان يتمناها في امرأة يشارك معها حياته . و هاهو قد أعطاه الله "
نيهال " , قالت له :

خذ يوسف قليلا . فقد قال لي بأنه يشترق إلي أحضانك !

و قامت بفتح الباب و وقفت في انتظار " حسن " الذي تبعها في
الخروج من الغرفة . و كان يحمل يوسف في يديه بكل ما أوتي من
عطف و حنان . لم تغادر الطبيبة الغرفة . فظلت فيها تراقب
خروجهما حتي أغلق الباب من خلفهما . و جلست تنهمر دموعها و

هي تضع يديها أمام رأسها . تخبئ خلفها الحزن الشديد . و الدموع
التي تنهمر من عينيها بقوة . الآسي قد سيطر علي جوانب جسدها .
فظلت هكذا لفترة من الزمن ! لا تفعل شيء سوي البكاء ولا أحد يمر
أمام تلك الغرفة .

عادا سويا من المستشفى . في وقت الظهيرة . كانت لا تزال الشمس
محلقة في الأعلى , بضوئها الشديد الحارق للبشرة , بالتأكيد لا يبعث
الي بالانزواء خلف المظلات التي تمنع استقبال تلك الأشعة " الخارقة
" للطبيعة . وصولهما عبر المواصلات أستغرق ربع ساعة . وصلا
الي المدخل الرئيسي للشارع و سارا بضع سنتيمترات الي الداخل و
صولا الي العمارة الخاصة ببيتهم . شرعا في الدخول للعمارة . حتي
كانا في الصعود علي درج السلم وصولا الي الشقة , أعطي حسن
يوسف الصغير الي نيهال , و أخرج من جيبه المفتاح و قام بادخاله في
الباب , فتح الباب في ثواني و دلفوا الي الشقة و أغلق الباب من
خلفهما بصوت منخفض .

دخلت نيهال الي الغرفة الخاصة بهما . و سرعان ما قامت بتبديل
ملابسها , و جلست لتشاهد التلفاز قليلا . في ابتسامة لا تفارق ظلها ,
كان حسن يجلس في الخارج علي اريكة صغيرة لاستقبال الضيوف ,
يفكر في كل شيء ممكن أن يخطر علي بال أي شخص في تلك الحالة
ماذا سأقول لزوجتي ؟ و ماذا سيكون وقع ما أقوله عليها ؟ انه أسبوع
واحد فقط لتبقي فيه معنا , أسبوع واحد ! راودت الأفكار عقله بالكامل
, فسيطرت علي مشاعره المرتبكة في تلك الثواني المعدودة , يفكر في

اي الاحتمالات . أيهما أكثر صعوبة و حدة و أيهما أقل من ذلك كله .
أضواء الغرفة ينبعث له من الداخل . و ظلها و هي تجلس علي فراشها
لا يلبث أن يتكرر ظهوره كل ثانيتين , و هي تشاهد التلفاز بمرح و
سرور بالغ , وهو يجلس وحيدا لا يعرف ماذا يفعل . صار يقلب هواء
الزفير هو يخرج به بسرعة فائقة من فمه . و وكأنه يخرج معه كل
الحزن ليحوله الي سعادة ليس لها مثيل . هذا غير معقول بالطبع !
سمع صوت الإقامة يأتي من المأذنة القريبة من بيتهما . هم باللاحق
بالصلاة . فخرج من باب الشقة مهرولا . أصدر الباب ضجيجا عاليا
يبين أنه قد خرج للتو . وصل الي باب المسجد و أخرج حذائه من
قدميه و دلف الي المسجد , أقرب من الصف الأول كعادته , و بدأ
يصلي بخشوع لم يلحظه من قبل , و كأن ما يلي به جعل النفس
تستفيق لما كانت تغفو عنه , ولم تكن تتعاش مع من قبل . كان يشعر
بنفسه و هي تكسا من جديد بثوب آخر . الثوب القديم الذي كان يظهر
به للناس كان قد ذبل عرقه منذ فترة طويلة جدا ! فقد حان وقت
التجديد لروحه و بدنه , روحه تتجدد خلاياها في كل ركعة و كل
ترديدة خلف الامام . وكل سجدة يتضرع فيها الي الله تحضر حوله
الملائكة . و تحفه بالسلام و الاطمئنان , و الراحة النفسية من أثر تلك

الحيطة الملائكية . لم يسبق ذلك الشعور أن حدث له . أقتربت الصلاة من الانتهاء . في السجدة الأخيرة صار يدعو . بأمل أكثر منه رهبة , بطلب أكثر منه جشع . بزهد أكثر منه رياء . يقول في سره و عنانه المطلق , بحيث لا تسمعه حفيف النمل .

اللهم ان كان قضائك خير لزوجتي فأقضه يا رب العالمين . و ان كان شرا لزوجتي فأنت أعلم مني و من كل العالمين , اللهم أحفظ لي ولدي البكر , ما أنجبته الا ليرعاني في كبري , و ما رزقته الا ليطعمني في هرمي , و ما حملته الا ليحملي في شيخوختي , اللهم أغفر لنا الذنوب . اللهم أرزقنا السعادة في الدنيا و الآخرة , و أرزقنا الصلاح في الدنيا و الآخرة . اللهم أهدنا كما هديت أنبيائك و رسلك يا رب العالمين .سمع صوت الامام و هو يكبر للركوع الأخير , فقام بعد جلسة خشوع أستمر معها لثواني كثيرة , لم تكن قليلة أبدا ليحظي مثل ذلك الشعور الجديد , الذي لم يلحظ مثيلا له من قبل . ألقى التحيتين علي اليمين و علي اليسار , و صار سردد في فمه المغلق أذكار ما بعد الصلاة , و هو جالس في ركعته كما هو لم يتحرك منذ أن كان يصلي . ثم بعد لحظات قام من مجلسه و صار ليحضر فردي حذائه , و يخرج من المسجد بعد جلسة استشفاء ربانية , و من يقنط من رحمته إلا القوم

الفاسقون , صدقت يا الله حقا . و أنت خير الناصرين , سار راجعا الي المنزل . مرددا للاستغفار رغبة في استكمال تلك الجلسة " الربانية " الفريدة من نوعها , من لم يذقها لم يذق طعم الحضور مع الله من قبل . هو أشد من أن تحضر مع نفسك . و أكثر نعومة و ذهبا من أن تجلس مع الآخرين تتسامر معهم , الله هو خير من تتكلم معه , هو خير من يسمع لك جيدا , و أنت لا زلت تشكو للآخرين من تعبك و همك , و هو في انتظارك لتتكلم معه , الله قد أعطي لك خمس مواعيد في اليوم لتتكلم معه , اذا لم تحضر واحدة . فأحضر الأخرى , اذا لم تحضر الثانية فأحضر الخامسة . الله لقاءة دائم , و الناس لقائهم منقطع دائما ! دلف من باب شقته و أغلق خلفه الباب بدوي خفيف , سمعته " نيهال " و قالت له و هي ترفع صوتها :

ألا تريد يا حسن أن تأتي لتجلس معنا قليلا .

أجاب حسن و هو يضع المفتاح علي الطاولة المقابلة للباب :
بالطبع يا نيهال , أنا قادم الآن .

دخل بخطوات هادئة الي الغرفة . أقتر بمن زوجته التي كانت تضع " يوسف " في المنتصف . بينهما الأثنين ليحظي ببعض المشاهدة , و ليعتاد علي أن يري الجمال في كل شيء ء ولو كان شيئا سخيلا للغاية !

جلس بالقرب منهما , و صار يقول لها و هو يلوح بنظره صوب التلفاز :

أي الأفلام تشاهدين يا نيهال ؟
قالت :

اسماعيل ياسين بالطبع .

ثم أردفت :

أكثر من أحب مشاهدته علي ذلك التلفاز , لا أحب غيره ففكاهته
تصيبني دائمة بقرحة السعادة . مهما شاهدته آلاف المرات .

قال حسن :

أحسنتي الاختيار , و ماذا أسم ذلك الفيلم ؟

أجابت :

إسماعيل ياسين في البحرية .

قال حسن :

أظن أنني شاهدته من قبل , أتذكرين متي شاهدناه آخر مرة ؟

ألتهبت وجنتاها و هي تقول :

نعم أذكر .

ثم نظرت الي " حسن " و قالت :

منذ أسبوع .

ضحك و قال :

ألا تنسي شيئاً علي الاطلاق .

أقتربت منه قائلة :

لا أنسي لحظة مع أبدا .

خجل لأسفل و قال :

أما أنا فقد وهبني الله نعمة النسيان , أتدريين لماذا ؟

بعدت قليلا , و قالت :

لماذا ؟

أجابها :

لكي أنس اللحظات الحزينة !

برقت عينيه قليلا , لوحظ ذلك علي مقلتيه . فأجابته قائلة :

وما هو أكثر شئ يحزنك لكي تنساه , لا أذكر أننا قد مررنا بذلك

الشيء من قبل !

أجاب " حسن " :

لست أدري , و لكنني أحزن علي أي شيء يضيع مني هباء هكذا

ثم أردف :

و خاصة لو كان شيئاً عزيزاً جداً علي قلبي .

قوة ثباته لقول تلك الكلمات كانت عالية كفاية لتبثته في ذلك الموقف ,

ولم يكن ليتفوه قبل أن يحكم ماذا سيقول , قالت :

أريد أن أعرف شعورك حين تعرف خبر وفاتي ؟ ماذا سيحرك في

قلبك ذلك الخبر ؟

لم يكن ليتوقع أن القدر سيياغته بمثل ذلك السؤال , قبل أن يحدث حقا

أجاب حسن في قلق :

ولكن لماذا تستعجلين الموت يا نيهال ؟

أجابت :

أكاد أشعر بأنه قريب بالفعل , شيء ما في قلبي يحدثني و يقول لي

هذا ؟

زاد من ارتباك قلبه الحائر في اختيار اجابة مناسبة , تقطع عنها تلك

الفكرة تماما , اقتراب موتها المحتوم !

أجاب حسن :

المرء حين يشعر بقدوم الأجل . لا يعني بالضرورة أنه سيموت عما

قريب

ثم أردف مجددا :

و ثانيا الموت حين يأتي لا يعلم متي سيأتي , ولا أين سيأتي للمرء
منا , ملك الموت لا يدق ناقوس الخطر قبل أن يحضر , ما هي الا
بغثة تأتي و بغثة تنتهي , كلمح البصر .

أجابت :

وماذا لو رأيت بالفعل ملك الموت يقول لك بقدوم أجلك !

أجاب " حسن " مسرعا باستنكار :

مستحيل , لا أحد من الممكن أن يعلم متي سيأتي الموت أو ملك
الموت حتي ليخبرك متي ستموتين , ثم أنك مازلت في رويعان شبابك
, ما زلت زاهرة نابضة تتفتح في بطن لتعطي مشهدا جميلا لحقول
الربيع (كما وصفها) .

أجابت نيهال :

ولكنني رأيته , ماذا تفسيرك لهذه الرؤية اذن ؟!

قال حسن :

ليست أي رؤية في الحلم يمكن تصديقها , ولكن يمكن التفاعل معها
بأحاسيس باطنة لأنها من نتاج العقل الباطن , وليس العقل الواعي لأن
العقل الواعي يفسر المنطق الذي يحدث أمام ناظريه , وليس ما يحدث
في عالم الحلم . لذلك كفي عن تصديق تلك الأحلام ؟

ثم أردف :

وما الحلم إلا حلم !

أجابت نيهال :

اذن و ما هو الفارق بين الحلم و الرؤيا في وجهه نظرك , لربما
أكون علي خطأ في تصديقي لتلك الزيارة التي أتتني في " الحلم " كما
تدعي !

أجاب حسن :

الحلم هو حدث قد مر عليك خلال اليوم بينما الرؤيا هو حدث لم
تشهديه في حياتك و يكون من غير سبب يذكر , بينما الحلم يعتمد في
أساسه علي العديد من الأسباب .

أجابت :

اذن هل تؤمن بالرؤيا أم بالحلم أكثر ؟

قال حسن :

بل أو من بالحلم أكثر , لأنه يعتمد علي أسباب غير الرؤيا !

قالت :

اذن ما شاهدته فقد كان رؤيا , أليس كذلك ؟

أجاب حسن :

بالطبع .

قالت نيهال :

يا للخسارة , فقد جلس معي ملك الموت بنفسه ليحدثني . لقد كان حوارا شيقا .

أجابها و هو يضحك :

إذا تأكدي ثانية , فقط أذكري الله فهو سينجيك من هذه " الهلوسة " بالتأكيد

ضحكت و قالت :

أنا ادعوا الله في جميع الأوقات يا حسن .

قال حسن :

و الآن دعي النقاش جانبا , و دعينا نستمتع بمشاهدة ذلك الفيلم المضحك للقلب , و خاصة لأنه بطولة اسماعيل ياسين .

أشاحت بنظرها تجاه التلفاز , و قالت :

بالطبع يا حسن , بالطبع !

الفيلم يحتوي علي الكثير من تلك المشاهد المضحكة , من مشاهد في المركب الصغير , الي مشهد في السفينة الي تحية القائد لجنود البحارة , و سخرية اسماعيل ياسين منه , كعاداته الساخرة , سحر جديد في

سواء التلفاز المصري . رغم قدمه إلا أنه لا يزال يحظى بجمهور ,
لا تزال دائرته تتسع يوما بعد يوم . برغم القدم الا أن التجديد في شعار
القنوات بالتحديد , هو ما يزيده أثرية و تجديدا !

مضت تقريبا ساعتين في مشاهدة هذا الفيلم السينمائي , تبسمت
وجوههم لنهاية سعيدة في هذا الفيلم , كانا يتبسمان في وجه التلفاز ,
كانهم يلقون عليه تحية الإجادة في دور إذاعة هذا الفيلم , خاصة القناة
الأولي القديمة .. نظر حسن الي زوجته قائلا :

ما رأيك في نزهة في الخارج قليلا ؟

قالت نيهال :

أين ؟

قال :

أي مكان تختارينه !

أستغرقت في التفكير قليلا ثم عادت لتقول :

أن نزور بيت أهلي , لم أري أمي منذ أن ولدت !

قال حسن :

لكن هم يعيشون بعيدا عنا !

أجابت :

وما المانع .

قال حسن :

سنستغرق الكثير من الوقت للوصول الي هناك !

أجابت :

كل الصعاب تتحرر من أمامنا يا حسن !

قال حسن :

حسننا موافق , و للتعجيل سنسافر اليوم مساء . حتي يكون الطريق

هادئا وليس به أي زحام يذكر .

أجابت " نيهال " و السعادة تغمرها :

هذا زوجي الذي أعرفه .

أبتسم و قال :

و هذه هي الابتسامة المعهودة علي وجه زوجتي .

ثم أقترب منها و قبلها من رأسها , و عاد الي جلسته التي كان عليها ,

ثم جلس علي فراشه منحيا ظهره الي الوراء , مرخيا إياه ليحظي

ببعض الراحة . ثم ما لبث أن غط في نوم عميق , وكانت تجلس

بالقرب منه تشاهد تلك الخطوات التي فعلها لينام . فذهبت للنوم هي

الأخرى , و كان مشهدا ثلاثي الأركان . نوم مكتمل , الأب و الأم و
في الوسط الابن , يوسف .

وقت صعود الشمس بعد صلاة المغرب قد آن , يلحظ علي بساط
الأرض مدي بعدها عن المتواجدين في تلك الغرفة , بدأ الظلام في
الحلول تدريجيا مكان ضوء الشمس الخفيف الذي بدأ في الموت
بتلقائية مستسلما لقوة الظلام الكثيرة التي تحيط به . لاحظت عيني

أحمد ذلك الظلام المحيط بهم في تلك الغرفة , قام بفتح عينيه تدريجيا .
لقد أحتل الظلام الغرفة بالفعل , مد يده بجانبه ليضيء " الأباجرة "
المجاورة لهما , علي مكتب صغير . أضاءت نصف الغرفة تقريبا
بضوئها الهائل , فقام بتحسس مكان " نعليه " علي الأرض , و أخذ
يسير ببطء " معتاد " إلي الحمام .

في تلك اللحظات كانت " نيهال " تقوم من علي الفراش , و تذهب
صوب الساحة الضيقة في الخارج , ساحة انتظار الضيوف و المقبلين
علي هذا المنزل . غرفة الاستقبال . تضع يدها علي رأسها , و تجلس
تنتظر خروج زوجها من الداخل , للاسراع للذهاب الي أهلها . بالكاد
لم ترهم منذ فترة " وجيزة " , خرج حسن من الداخل , يمسك في يديه
المنشفة و يضعها علي وجهه , لتنظيف بقايا ما حل من الماء علي
وجهه النظيف ! قابلته و هي تقبل علي " الحمام " قائلة :

صباح الخير !

أجاب بسرور :

صباح الهناء و السعادة .

قالت :

لم لا تحرك قدميك قليلا للإسراع ؟

أجاب حسن :

ليس لي طاقة لذلك !

ضحكت قائلة :

هيا , أفسح لي المجال للدخول !

قامت بدفعه قليلا , و دخلت هي الي " الحمام " و أغلقت خلفها الباب بقوة , في وجه زوجها الكسول في السير , و الوئيد في تفاعله مع المواقف الراهنة . دلف " حسن " الي الغرفة ليكمل تنظيف ملابسه , و التحضير لتلك الرحلة بالطيع . سمع صوت " يوسف " و هو يصرخ . مستنجدا بأمه لتحمله بين ذراعيها . و لتعطيه جرعة أخرى من " نيكوتين الحياة " , أو علي الأصح بعض اللبن . لأنه كجرعة فهو بالفعل يعمل كتأثير مادة " النيكوتين " علي المدمنين عليها , لحظات شربه للبن تضاهي الدنيا و ما فيها . هذا من منطلق الأطفال , من كان طفلا يعرف ذلك بالتأكيد ! أقترب " حسن " ليحمل ولده الصغير بين ذراعيه . و صار يهدأ في صرخاته قللا , و ينظر له كأن لعينيه تأثيرا علي الأطفال , ببعض نظرات البراءة بدأ في انخفاض صوته " الباكي " . و هدا صريخه المرتفع . المجلب للضوضاء , ثم

أتت زوجته من باب الغرفة . شاهدت كل ذلك فقامت بالاسراع لحمله
من بين ذراعه . ليس قلقا بل حبا . وقالت لـ (حسن) و هي تجلس :
أذهب أنت لتكمل ارتداء ملابسك , بينما أنا سأجلس معه قليلا هو
يريد أن يأكل .

قال " حسن " :

ولكن سنتأخر هكذا ؟

أجابت :

لا , لا تقلق !

ثم أكملت :

فقط فلنصل المغرب , ثم نبدأ في رحلتنا !

أجاب " حسن " :

حسنا . سأذهب لأصلي من ثم أعود .

خرج من الغرفة . ليؤدي صلاة المغرب ولكن في المنزل تلك المرة ,
جلست " نيهال " ترشعه بعض الوقت , حتي هدا روعه . و قل صوته
" الصخب " . و تحسنت ملامح الاحمرار علي وجهه , من الرغبة
الي السلام !

ثم كان في لحظات أيضا في نوم عميق سالم من الأحزان , تركته ممدا علي السرير و ذهبت لتصلي " المغرب " قبل أن تبدأ رحلة طويلة , ستستغرق الكثير من الوقت , لكن في النهاية هناك هدف للوصول له , أقرب المناطق من البحر المتوسط . في شمال جمهورية مصر العربية حيث حين تذكر تلك " المحافظة " , يدون لها التاريخ حروفا بل سطورا طويلة مديدة من المجد و البطولات التي تشغل كل من سكن فيها , و عاش فيها بروحه من سبيل التعايش , و بقلبه من سبيل الحب و المواطنة لها , أقرب من أن يقال عنها " محافظة الأبطال " , بل محافظة الرؤساء حيث عاش فيها أغلب من حكموا مصر في العقود الفائتة , هي محافظة المنوفية !

أنتهت من صلاة المغرب , و قامت تعتدل في قيامها و تأخذ معها السجادة , لتضعها جانبا علي حافة الكرسي و شرعت في تغيير هندامها , و ارتداء ملابس مناسبة تليق بمثل تلك الزيارة , الجمال لا يتعلق بالملابس في النهاية , الجمال يتذوق بمدي حبك أنت لما ترتديه و ليس بما يظهر مفاتنك الجسدية للناس ! كان " حسن " في تلك اللحظات يدلف الي الغرفة , يتأهب هو الآخر للسفر القريب العاجل . كان يرتدي بنطالا مناسبا لجسده المتوسط في الوزن , حجم لائق لمثل

تلك الشخصية , الغالب في الظن و الوارد علي العقول أن كلما
توسطت في أي شيء فستكون أكثر مناسبة و لياقة لأي مؤثر خارجي
تتعرض له , و تكون في تلك الحالة التي تجعلك تتماثل لأي من تلك
الأجواء بسرعة ملحوظة , من النبؤات التي أتنبأها لك حين تتوسط في
كل شيء , و لو كان في وزنك النحيل !

أمام المرأة يمشط شعره بعناية , أسود كالعادة , قامت زوجته تعد
أبنهما الصغير للسفر , فكان في غضون لحظات , و بسرعة رهيبه في
أتم الاستعداد هو الآخر لتلك الرحلة , شمال مصر ليس ببعيد ولا
بغريب عن أهل القاهرة الكرام , فهم من منابع تلك القري الصغيرة
هناك , و الأقرب الي البحر المتوسط فهو الأقرب الي الحضارات
الغربية المتقدمة في العصور الراهنة . هم بالفعل أكثر الناس حظا بهذا
القرب من تلك الحضارات , تلك الحضارات " الحديثة " في وقتنا
الحالي , ولكن ليس ليوسف الصغير الآن أن يتأثر باي مؤثر خارجي
بدون أن يلتقط أولا بذور النبوغ و العقلية من أبيه و أمه , الوراثة قبل
كل شيء في هذه الدنيا .

أوقفته بجانب والده , و قالت :

كم أنت متأنق يا صغيري !

قال حسن باندھاش :

ما هذا الجمال يا صغيري , من الذي وظب لك هندامك هكذا بتلك
الطريقة اللائقة !

قالت نيھال :

ومن غير أمه التي ترعاه بالتأكد .

تحدثه و هي تزيد من تأنق ولدها الصغير , وكان الوالد قد أنتهي من
الوقوف أمام المرأة فأخذ يوسف من يدها و قال :
سأنتظرك معه بالخارج !

قالت بتبسم :

و لا يجب علي أن أتاخر , أليس كذلك ؟

قال :

لا , كما تشائين !

تبسمت قائلة :

هل تخاف مني أم ماذا ؟

قال في هيئة الاستسلام :

كيف لا , و عندي زوجة تسمي نيھال !

قامت بوخزة في ذراعه بقوة , تأوه متداعيا و لكن كانت ضحكاتها
تصحب تلك الوخزة , صار يضحك معها و هو يقول :

بالطبع لا , لا لم أكن أقصد !

تركت ذراعه و هي تتبسم و قالت :

هذه من أجل أن تداعبني ثانية .

دلف خروجاً من الغرفة و هو يقول :

في انتظارك يا " نيهال " .

شد بأسنانه علي اسمها , فأستثار غيظها , ولكن في طياتها تتبسم حقا ,
و أغلقت الباب خلفه بقوة و بدأت في اعداد النهايات العجيبة لكل امرأة
في العالم العربي بالذات , نصف ساعة من الجلوس أمام المراة لتتأكد
من مظهرها الجذاب و الخلاب في ذات الوقت , و طريقة طرحتها
الارجوانية مع تداخلها مع الأبيض بعض الشيء , ثم قامت من علي
الكرسي المقابل للمراة , عد خصيصا لتلك الوظيفة . قامت بفتح الباب
بهدوء و خرجت من الغرفة , نظراتها تقترب من الأب الذي يجلس في
الخارج و يحمل في طياته ابنه الصغير , و كأنه أنثي الكنغر التي
تحمل رضيعها في كيس لتحفظه في دفاء , ولكن هذا الذكر قد مارس
تلك المهنة باقتدار , لوحظ وقع أقدامها القادم من بعيد , فرفع عينيه

قليلًا , ليري أنثي رشيقة الجسد , ترتدي فستانا يتدلى عند الساقين ,
أسفله بنطال , و المميز في ملابسها ذلك الخليط الرائع من اللون
الارجواني و اللون الأبيض . الجمال مكسو علي هيئة بشر الآن و
كأنها تحلق أمام ناظريه و يشعر بانجذاب لها بشدة , فقام متعجبا من
جمالها و قال :

لو لم تخني الذاكرة فلم أرك ترتدين تلك الملابس من قبل .
أجابت و قد أحمرت وجنتاها :
تلك من المفاجات يا حسن .
نظرت بتلهف قائلا :

أليس من الممكن أن نري ذلك الجمال كل يوم ؟
ضحكت و قالت :

فقط في المناسبات يا حسن .

أقتربت من الباب , و تبعها حسن مع يوسف , و بدأت في فتح الباب و
خرجت منه بهدوء , و تبعها حسن و قام باغلاق الباب خلفه , ولكن
لمح بناظريه أن ضوء الغرفة مغلق . فأسرع بالدخول و قام بايقاظ
ضوء تلك الغرفة و خرج من البيت مغلقا خلفه الباب بهدوء , لاحظت
ذلك نيهال و سألتها قائلة :

أنسيت شيئاً بالداخل ؟

قال حسن :

لا , ولكن وجدت ضوء الغرفة مغلقا ففتحته من جديد !

قالت باستغراب :

ولكن لم تضيئه مجددا ؟

قال :

أحب أن أراه مضاء دائما .

ثم أردف :

أحب أن تكون تلك الغرفة بالذات في انتظارنا كلما قدمنا إلي هنا !

قالت بتعجل :

أسرع الآن , فيجب علينا اللحاق .

ثم قالت :

كم الساعة معك ؟

قال :

السادسة و الربع !

قالت و هي تخطو علي درج السلم :

أسرع هيا لنلحق بالمواصلات لكي لا نتأخر !

لحقها حسن علي الدرج , من فرط سرعتها تهيأت علي ملامحه وقوعها المحتم المقبض لقلبه , ولكن تواخت حذرها حين وصلت الي المدخل الرئيسي للعمارة , ليس هناك أبواب ثانوية .

لحقها حسن في الوصول لأسفل , وكانت هي تقف في انتظار متعجل لقدمه من أعلي , بنظراتها المعتادة نظرت له و هو يأتي من أعلي بخطواته الهادئة علي السلم , ليس مثلها عفي عفويتها . بل قد يكون أقل منها بكثير لأنه لا يريد أن يتخبط علي ذلك الدرج . فقط النزول بهدوء كالملائكة !

كان قرب منها و قامت هي بفتح الباب و تبعها حسن و أغلق الباب خلفهما . و غادرا و صولا إلي بداية المدخل المؤدي لذلك الشارع . وقفا ينظران يمينا و يسارا في انتظار عربة تقلهما فقط للموقف الخاص بالعربات المجهزة للنقل للمحافظات , كانت سيارة تقترب من بيد بضوء كاشف منبعث من الأمام , فأشاء له حسن بيديه حتي أقتربت منهما و توقف أمامهما , جلست نيهال في الخلف ومعها يوسف , و جلس هو في الأمام بجانب السائق , و بدأت رحلة الذهاب الي موقف " عبود " المحلي !

ساعة تفصلهم عن الوصول الي ذلك الموقف الذاخر بعربات تقل المواطنين , بل و الراغبين في الترحال الي محافظة أخرى , أيها يشاء . الي أي مكان يريد الذهاب اليه , و أهم ما يميز ذلك " الموقف " , تعدد العربات , من كثرتها تكاد لا تري اختلافا تجزم علي أن هذا اللون يفرق عن هذا اللون , بل في الواقع من المناسب جدا و صفه بالزي الموحد للسيارات , بيضاء ذات شروط سوداء في منتصف السيارة , تصنف جميعا كوحدة واحدة بجانب بعضها البعض , ترائي ذلك كله علي ناظرهم معلنا مدي قربهم من الموقف , خرج حسن من السيارة و أعطي الأجرة للسائق و قال له :

لا تقود سيارات ثانية !

أستغرب السائق فقال :

لما إذن يا سيادة الباشا ؟ (بلهجة مصرية)

قال قبل أن يغادر من أمامه :

لأنك متهور في القيادة , و من مثلك لا يصح أن يقود سيارات في

تلك البلد !

رغم عمق تلك الكلمات في نفسه , فناداه السائق قائلا :

هل أنت شرطي ؟

أجاب و هو ينظر له بنصف وجه :

لا بالطبع !

و غادر و معه زوجته مرورا بين السيارات الكثيفة , ترك السائق مذهولا من تلك الاجابة التي لم يعرف لها معني بعد . جعلته يبكم بلا شيء من فمه , كأنه يريد أن يتلکم و لكن سوط الحق أطبق علي فمه .
مصر غريبة الأطوار في هذا الزمان . كم أكره 2015 !!

ولكن بعد لحظات أصدر صوت حركه ضجيجا معلنا رحيله , بتهكم علي وجهه ولكنه شعر بوخزة قلبه العادلة في تلك اللحظة , كانت العائلة تقترب من أحد السيارات البيضاء . فتبعهما رجل بناظريه يبدو أنه السائق و بدأ في القول :

تلا , تلا , تلا

ثلاث مرات متتالية لیسمعه كل المارة , فأقترب منه حسن و قال :

كم الأجرة ؟

أجاب " السائق " :

عشرة جنيهات للفرد .

قال حسن :

هاك عشرين جنيها !

ثم حمل حقبتهم و قام برفعها فوق السيارة , كأنه هناك منصة فالأعلي
تحمل الكثير من الملابس الصيفية , و حقائب قمائية الصنع , تلوح في
الأعلي وأنها تستمتع بتلك اللحظات في الهواء الطلق , دلف داخل
السيارة و أقترب من زوجته التي قررت الجلوس في آخر مقعد في
السيارة فتبعها بهدوء و جلس بجانبها , انتظرا قليلا ليكتمل العدد في
السيارة , ثم أغلق الباب بقسوة تبعه صوت حشجة السيارة , مع
خروج الأدخنة السوداء من الخلف , مع حرارة الموقف أنطلقت
السيارة في رحلتها و معها تتصعد الأمال كل لحظة و هي تتقدم في
مسيرتها الي الأمام . حيث هناك المدينة المحببة للقلب , أقرب من أي
مدينة أخرى .

ومع اقتراب الرحلة من نهايتها , علي مشارف مدينة " تلا " الراقدة
في محافظة المنوفية , هناك لائحة مزخرفة عند مدخل تلك المدينة ,

يعد كعلامة ترحيب في معظم مدن المحافظات علي الوجه البحري , مزخرفة ببلاط من السيراميك الأبيض , به بعض النقوش المسننة في باطنه , تظهر و كأنها لوحة فنية , ولكن هي أقرب إلي أن تكون للترحيب , مكتوب عليها بخط كبير " مرحبا بكم في مدينة تلا " . بأحرف مغلظة وكأنها جزءا لا يتجزأ من تلك اللوحة بالفعل , اقتربوا أكثر من الحقائق التي تتزين بها تلك المدينة , الأزهار في دوائر بالقرب منها شلال مغطي بالسيراميك المرصع علي الحواف . وبالاقتراب أكثر من الداخل , توجد لوحة كبيرة شهيرة في تلك المدينة , أحجار متراصة فوق بعضها أمامها لوحة كبيرة تستعرض أقدم الرؤساء في تاريخ مصر الحديث , تبدأ بالرئيس الراحل أنور السادات , ثم تنتهي بالرئيس المستجد في هذا العصر , كان يطلق عليه لقب مشير في الماضي قبل أن يتغير ذلك اللقب نتيجة تغير منصبه في الدولة . أعتقد أنكم عرفتموه !

كانت تنظر " نيهال " الي تلك المناظر الجديدة علي مراها في تلك المدينة , في آخر زيارتها لم تري تلك المشاهد الخلابة , حتي كادت تنسي بوجود مثل تلك المشاهد في تلك المدينة . هي بالكاد كانت لتظن أنها لن تراها , ولكن ها هي ذا تتوج بأجمل أكليل و أغلي التيجان ,

الأزهار تنعش ذاكرتها أكثر , ور ائحتها الجميلة تتخلل أنفها , فتثير غريزة تجاه الورد كانت قد نسيته منذ فترة , ولكن لا نسيان مع الورد . أبدا . الورد نعمة مع القرب منه , شوق حين البعد عنه , لذلك من أحب الورد و أعتنق به يتعلق به في فترة وجيزة , تكاد لا تظن من تلك الفترة بأن الشخص قد أحبها , ولكن هذا هو الواقع الملموس لتلك الحالة , نظرت بأعينها مجددا علي كل ملامح مدينتها المفضلة . مع وصول السيارة الي المحطة الأخيرة , تنبعت لصوت حسن بجانبها و هو يقول :

هيا , لقد توقفت السيارة .

ظلت في شرودها للحظات ثم أستفاقت قائلة :

ماذا , هل وصلنا ؟

قال حسن :

بالتأكيد , أنظري حولك لتتأكدي .

نظرت لتتفحص حولها ثم عادت لتقول :

لقد سهوت قليلا , أنا اسفة !

قال :

لا بأس .

أرتجل عن السيارة , و كانت " نيهال " من خلفه . حمل الحقائب و قام بإنزالها علي الأرض , لتهدأ من روعها من كم الهواء الذي استنشقتة في تلك الرحلة . كان يوسف يسترخي بثبات بين ذراعيها , فكل هذا لم يكن ليؤثر أبدا علي نومه الهادئ .

أمسك بالحقائب في يديه . و قال لزوجته :

هيا بنا الآن , أتريدان أن نسير أو ان نستقل سيارة ؟

قالت و هي تتبعه :

بل نسير أفضل .

قال :

ولم التعب , فقط سنستقل سيارة تنقلنا الي حيث نريد !

نظرت له وقالت :

ولكن أنا اريد أن أسير قليلا , بعض النشاط يا حسن !

لم يرد أن يمانعها فأمسك بيدها و قال :

كما تريدان .

سارا علي أقدامهما يسحبان خلفهما الحقائب , وكانت نيهال أشبه أنها

تعيش بحلم طفولتها , فكانت تحلق في عالم آخر من مشاهد " تلا "

التي أذهلها هذا التجديد فيها , و الحدايق الملونة , منها الأخضر و منها الأحمر القاني , و منها اللون البرتقالي المتدرج , فلم تلحظ مرور الوقت من بين يديها , فكان في ثوان صوت زوجها يتردد في أذنها :
لقد وصلنا يا نيهال .

أجابت بنصف ادراك :

هاه , هل بالفعل وصلنا !

اك :

هاه , هل بالفعل وصلنا !

قال حسن :

نعيمًا !

ضحكت و هي توبخه بنظراتها قائلة :

هل تراني صلعاء أمامك !

ضحك و قال :

لا , كنت أمزح فقط !

ثم أشار الي المنزل الذي يقفان أمامه مباشرة و قال :

ها هو !

ثم أردف :

لقد وصلنا .

نظرت الي الأمام , كان منزلا مثل باقي المنازل , تشققات في الحائط بسيطة , و اللون مختلف عن بقاع مختلفة في كل أرجاء المنزل من الخارج ,فتفحصت المنزل و شرعت في الاقبال علي باب المنزل بهدوء , ضغطت علي الجرس بجانب البيت , فأصدر رنين في داخل المنزل , فسمعت وقع أقدام يأتي من الداخل . وجدت الباب يفتح بهدوء و شخص يطل عليها , كبير في السن كفاية ليذكرها بمدي العجز علي وجهه المتفرق , شعره الأبيض يكثر علي لحيته و ينتشر في باقي أجزاء شعر رأسه . أسرعت باحتضانه قائلة :

أبي العزيز , كم أشتق تلك !

تفاجأ بذلك الاحتضان , فربط علي ظهرها و قال في سعادة :

أنا أكثر سعادة منك والله يا أبنتي .

ثم فرغت من احتضانه و قالت له :

هناك شخص يريد أن يسلم عليك أيضا !

أقبل حسن من خلفها , و أبتسم قائلا :

مرحبا بك يا خالي .

أستقبله بحضن كبير , عن حب و صدق تام . أستمروا في عناقته ثم أطل
بنظره علي " يوسف " الصغير . و أقترب منه و حمله بين يديه و قال
لهما بتعجل :

أدخلا , أدخلا . هذا بيتكما .

بدارت نيهال بالدخول أولا . ثم دخل حسن و أغلق خلفه الباب , جلسا
سويا علي كرسي متقاربة من بعضهم . والدها يحمل يوسف و يبتسم
في وجهه و يوسف أيضا لا يكف عن الابتسام في وجه جده , و يقوم
بشذب شعر جده الكث , و اللون الأبيض المنتشر فيه بالكامل . قالت
نيهال متسائلة :

و أين أمي ؟

أجاب الجد قائلا :

إنها قادمة .

لم يمض وقت من ذلك السؤال , حتي كانت تقبل عليهما سيدة في
الستينات من عمرها , ترتدي جلبابا ريفيا جميلا , يتدلي علي جسدها
بالكامل , و علي رأسها طرحة جميلة مزخرفة بألوان مختلفة , كعادة
أبناء الريف القدامي , عادة مأثورة عن الأجداد . أقبلت بسعادة تقبل

ابنتها التي ما أن رأتها قادمة علي الفور قامت و أعتنقتها , ظلت
تعانقها و تقول :

كم أشتق تلك يا أمي كثيرا .

وكانت تجيب الأم بهدوء :

أعلم يا ابنتي بالتأكد , أعلم .

تركت ذلك العناق و قامت بتقبيلها علي رأسها , و طلبت منها الجلوس
علي الكرسي الذي كانت تجلس عليه . أقبل عليها حسن بابتسامة محييا
اياها :

سعيدا لرؤيتك يا خالتي .

أستبشر وجهها لقدمه و قامت بتقبيله من وجنتيه , و قالت في سرور
واضح علي وجهها :

يا لسعادتنا بقدومك يا حسن .

ثم أردفت :

حقا نيهال أجادت في الاختيار .

أحمرت وجنتا نيهال . خافضة رأسها لأسفل بابتسامة فقال حسن :
انها تجيد ذلك فعلا .

ثم أردف :

هي تجيد الاختيار في كافة الأوقات .

كانت جلسة تبادرت فيها الكثير من الأسئلة في ما حول كيف الأوضاع
و الحال ؟ و كيف تسير الحياة معهم في القاهرة ؟ و عن يوسف
الصغير ؟ الذي كان لأول مرة تراه في حياتها , ولكن كانت علي علم
بأن " نيهال " أنجبت ولدا .

ثم قامت الأم قائلة :

هلم الي العشاء لنأكل سويا .

قال حسن :

ولكن قد أكلنا قبل مجيئنا !

قالت الأم :

ألا تريد أن تتذوق طعام خالتك ؟

أجاب حسن :

بلا , و لكن المعدة لا تحتمل أكثر .

قامت نيهال و أخذت بذراع حسن قائلة :

هيا , فلنأكل قبل أن ننام !

قال بعدم رغبة :

ولكن المعدة ممتلئة و الحمد لله .

قالت بامتعاض :

ولكن الا تريد أن نأكل سويا .

شعر في قلبه بالغضب علي نفسه , و عدم رغبته في الطعام الغير مبرر , لسبب الأكل المسبق قبل بدء الرحلة , قام الأب و هو يقول لحسن :

هلم يا بني , فلنتناول سويا كعائلة واحدة . نريد أن نجتمع علي مائدة واحدة , منذ فترة طويلة لم نجتمع هكذا , لذلك فلنستغل تلك المدة التي ستقضونها معنا و لنأكل سويا !

أجاب حسن بابتسامة :

ولكن بشرط واحد !

أجابت الجدة من الغرفة في الداخل :

و ما هي ؟

أجاب حسن :

أن يكون الطعام لذيذا .

ضحك بعد ما قال , فقالت له الجدة :

لم تجرب بعد طعامي يا حسن !
ثم أستطردت :

قبل أن تحكم علي شيء , جربه أولاً !

حملته نيهال من ذراعيه و سارت معه حتي وصلا الي الكطيخ الذي
كان في داخل المنزل , في الغرف الأخيرة فيه . كانت بنيته من
الطوب مطلي باللون الأزرق و في الحائط التشققات الجانبية تغزوه ,
و كأنه قديم المنشأ , بالرغم من هذا لا زال يتمالك نفسه في الوقوف
شامخا بين كل تلك الأبنية !

دخل بصحبة زوجته و قال :

أشم رائحة زكية يا خالتي !

قالت و هي تبتسم :

هذه " الملوخية " (طعام مصري)

قال بفرح علي فمه :

انني محظوظ للغاية لأن أدوقها من يديك المظفرتين هذه .

قالت له و هي تضع " الملوخية " في طبق :

أجلس هيا , فلتأكل .

جلس حسن و بجانبه نيهال , وضعت الأطباق أمامهم في تراص جميل , طبق للملوخية , و طبق في الأرز ينتشر بكثرة فيه , و طبق يعم بالكثير من المقبلات الجانبية للطعام , و كان يوسف الصغير قد وضعته أمه نائما في الغرفة , بعد حصوله علي غذائة الثمين جدا . كان يستمتع بكل رشفة منه لذلك الحساء المصري النشأة , منذ قديم الأزل و كانت من أشهر ما يتم صنعه في مصر من قبل سيداتها , و للملوخية قصة لنشأتها , حيث بدأ ظهورها في مصر القديمة , حين أعتقد المصريون القدماء بأن هذا النبات الذي كان يسمى في مصر القديمة " خية " , وكان يعتقدون أنه نبات سام ولا يصلح للاستعمال أو التهامه اطلاقا , ولكن حين أحتل الهكسوس مصر و هدموا و طمسوا معالم الحضارة المصرية القديمة أجبروا المصريين علي تناولها , و بالفعل خضع المصريون لذلك التهديد و كانوا يقولون لهم " ملو – خية " أي كلو خية , و بعدما تناولوا المصريون و بعدما ظنوا أنهم ميتون بلا محالة , اكتشفوا أنها غير سامة و أنها تصلح للأكل .

هذا من أسباب تعلق المصريين الشديد بتلك الوجبة , فجلس حسن يلتهم فيها و يتنفس بريحها الممتد كلسان أمام عينيه فيأخذه باستنشاق كبير , و لتعبر خلال دقائق أنفه ممتعة اياه بعشاء فاخر للغاية , بعد نصف

ساعة من " الملوخية " , شعر بالارهاق فقام مستندا علي الحاسط دخولا الي الحمام , و قام بغسل فمه جيدا من بقايا الملوخية , و غسل يديه ثم خرج بمنشفة في يديه و وضعها علي كرسي خشبي كان قريبا من الحمام . و خرج يجلس بالقرب من الباب الخشبي المتفكك , به ملامح القدم و الأثرية فيما يبدو أنه تعرض للضرب عذرات المرات من قبل , كأسهم غرت عليه فأسقطته و طعنته في خاليه , فتصدع محدثا شقوق كثيرة في ظاهره , جلس يترقب قدوم زوجته ليذهبها للنوم سويا , فهناك خطة رائعة كان يعدها لها , في الغد أولي تلك المراحل في تلك الخطة . فلذلك الانتظار الصعب هذا كان يؤرق سعادته فقط لا غير , تبقي 6 أيام فقط , بالكاد لا يريد أن يتذكر , ولكنه مجبر علي التذكر لرغبة في أن يعيد شعورها بالسعادة الأخيرة قبل الرحيل , و قبل بزوغ شمسها المنبعث بقوة عن هذه الأرض .

ألتهم ضوء القمر كبد السماء بالكامل , متوسطا للسماء في الأعلى , منبها و محذرا من حلول منتصف الليل , كأنه يصيح للناس بالتزام البقاء في المنازل , لضوئه الخافت العاجز , و لقوة أخري ستحل عليهم ان ساروا و تمادوا في الخروج من منازلهم , بقي حسن منتظرا حتي أتت زوجته في ابتسامتها المعهودة , و هندامها الملون

بالزخارف أيضا , فيما يبدو أنها تأقلمت كثيرا علي جو الريف
المصري . أبتسم قائلاً :

من أين لك بتلك الملابس الرائعة ؟

أجابت و هي تنظر لهندامها :

والدتي , اعطتني بعضا منها , ما رأيك ؟

أجاب بعينين تتلألأان :

" باربي " مثلاً !

ضحكت قائلة :

أجمل !

فكر و قال :

عائشة !

قالت بتعجب :

لا و ألف لا !

قال مجددا :

يوسف !

أجابت باستنكار :

أقل من يوسف بدرجة .

فكر قليلا , و عاد للكلام قائلا :

نـ , يـ , هـ , ا , ل !

أجابت :

من هذه !

أجاب حسن بنظرة بريئة :

نيهال !

ثم أردف :

أتعرفينها ؟

قالت نيهال :

أتشبهني ؟

أجاب و هو يقف و يقترب من خصرها الرشيق :

بل أكثر جمالا منك .

تبسمت و أزاحت يده عن خصرها , و دلفت إلي الغرفة لتنهأ بالنوم
لليلة , فقد كان الظلام كثيفا جدا , تبعها حسن و أغلق الباب بهدوء
خلفه , و جلس بجانب زوجته علي سرير كبير , يضمهم ثلاثتهم في
نطاق واحد , و جلسا يتسامران قليلا حتي غطوا في نوم عميق , من

كثرة الهدوء زاد من إمكانية النوم الحميد , الظلام أنتشر في أرجاء
الغرفة حتي لم يعد سوي بصيص ضوء يأتي من الخارج فقط .

في صباح اليوم التالي , صعدت الشمس من مرقدها , و عادت لتضيئ
جنبات الأرض بنورها الشعاعي المنطلق في كل زاوية و كل فراغ
منزوي علي طياته في كل قطعة من أرض تلك المدينة , صوت الديك
في الصباح يتردد كثيرا قبل استيقاظ الناس , يصمت لفترة ثم يعاود
اطلاق صيحاته المستمرة لحين استيقاظ جميع سكان المدينة الكبيرة
.ليس لقلة بيوتها , انما لقلة ما تخرجه من طلاب للعلم , أو لقلة ما
تخرجه علي الأصح من فقهاء , لذلك قد تكون نقطة التركيز عليها
ليست ثقيلة للدرجة لتطع بين نجوم المدن الأخرى , المجاورة أو
البعيدة . لكن هي علي قدر كافي جدا من سكانها المأهولين في جوانب
المدينة . لمعت عينا حسن و هو يقف من فراشه , متجها نحو
المرحاض , ليغسل وجهه و يزيل النعاس من علي خلاياه , و جسده
الذي لا يلبث و يقوم بتمديده رغبة في تحرير طاقة النوم المشعة
بداخله , بعد لحظات قضاها في ازالة النوم من جسده . و بالأخص
خلايا وجهه الميتة , خرج من المرحاض في تتأوب لمرة واحدة , ثم
دخل الغرفة و أضاء نورها , هزت " نيهال " كتفيها بامتعاض رغم
أنها لا تزال نائمة , و جسدها لا يزال خاملا . الا أنه شعورها بالضوء
تسرب بسرعة الي عينيها و قام بحركات تلقائية لتظهر لمن يضيء

ذلك النور , كأمـر , في اطفاء ذلك الضوء بسرعة . أصدرت صوتا
من حلقها قائلة :

أطفأ ذلك الضوء يا حسن !

قال :

أستيقظي , هيا عندي لك مفاجأة اليوم !

قالت في تثاؤب :

ما هي !

أجاب :

حين تنهضين !

ترك الغرفة و خرج منها , تاركا ذلك الضوء ينبعث باستمرار في
جفنيها المغلقين , و عينيها النائمة بكل ثقة . بعد ثوان لم تدم في نومها
و قامت بتكاسل من فراشها , نظرت الي حسن لتطمأن عليه . و علي
أن نومه لا زال يستمر في ابقاءة خاملا بلا حركة . أطلت بنظرها الي
الخارج و هي تتجه صوب الباب , و كان حسن يجلس بجانب الغرفة
بكرسي كان موضوعا بجانبه مباشرة , يطالع جريدة كانت في يديه ,
يستتشق منها أجدد العناوين , و الأخبار الواقعية في مصر , و غرائب
ما يقال عن العالم العربي ككل , هي فيما يبدو خليط من النكت

البسيطة و العناوين المكتوبة بخط كبير هنا و هناك , في كل أركان
الجريدة . أصدر حفيفها علي الأرض صوتا , لاحظ حسن ذلك
الصوت و علق لمن يقبل علي الخروج من الغرفة :
أسرعي يا نيهال لا تتناقلي هكذا .

قالت :

ولم العجلة مبكرا ؟

قال :

هناك أمر غاية في الأهمية ؟

أجابت :

وما هو ذلك الشئ المهم في الصباح !

أجاب و هو يغلق الجريدة و يضعها جانبا :

ستعرفين قريبا جدا !

و قام عائدا الي الغرفة , مارا بنيهال , التي كانت تسير ببطء و كأنها
لا تزال نائمة , أو أنها تسير و هي نائمة في الغالب .. لا تشعر بأي
شيء حولها , وغزها حسن في جانب بطنها فأستفاقت قائلة :

يا عجب !

ضحك و قال :

أسرعي هيا !

ثم أكملت في سيرها , بطيئة كالسلحفاة , و كأنها في الواقع لا تعلم الي أين ستذهب , و لكن لم تكن لتتيقن بعد أو بالكاد الي أين ستذهب لتفعل ما ستفعله . سارت بتلك الخطي حتي وصلت علي مشارف المرحاض . ثم دلفت الي الغرفة و أغلقت خلفها الباب بصوت ارتطام الباب بالفراغ و ارتطامة الشديد بصوت حواف الجوانب الخشبية للباب المنقوش كالعادة القديمة , أو كما بني هذا المنزل في الغالب !

بعد لحظات لم تكثر , خرجت من المرحاض بنفس سياق الدخول , حتي وصلت الي الغرفة . و أقتربت من الفراش و جلست تأخذ نفسها قليلا , تلهث في وكرها بالداخل و لكن تبدي عكس ما تخفي . لاحظ حسن وجومها نحو الأرض فقال :

هيا , حان وقت الذهاب .

أجابت :

ولكن لم تقل لي الي أين ؟

نظر لها ببعض الغضب و قال :

ألم أقل لك أنها مفاجأة !

اجابت :

ولكن المفاجأة قد طالت كثيرا !

تركها و غادر الغرفة . معلنا بيديه انه ينتظرها في الخارج , فجلست تفكر في ملابس ترتديها الي مكان لا تعرف أين ستذهب ! بعض الوقت و كانت تضع اللمسات الأخيرة علي ملابسها , و دلفت من الغرفة تتفقد يمينا و يسارا , أين ذهب حسن ؟ في قراره نفسها تتسائل ! نظرت علي الباب النصف مغلق , فرأت شبة جسم لشخص يقف في الخارج , حسن كان في انتظارها , فترجلت الي الباب المؤدي للطريق الرئيسي في المدينة , فتحت الباب و نظرت فوجدت حسن يستند علي ذلك الجدار في المنطقة المجاورة للمنزل , قالت له و هي تنظر لمؤخرة رأسه :

هيا بنا !

نظر لها و قال في ابتسامة تلك المرة :

أخيرا , هيا فلنذهب .

ملاحه تغيرت بعد وقوفه قليلا يتذكر الي أين هم سيذهبان , الي أشد المناطق جمالا , و منظره المطل علي الأراضي الخضراء المليئة بالنبات اليافع الذي ما زال في ازدهار شبابه , و قصر فروعه

المتشجرة , و الهواء الذي يحبس الأنفاس علي حوافه و في أعماق جوفه , ممتد علي طريق واسع جدا , تلهث له الألسنة لمنظر واحد فقط , و أنت تتسلل لتقف بجواره . سارا معا و ثالثهما يوسف , المتألق في ملابس جديدة كعاداته , أهدته جدته ملابس علي اطرار الحديث للملابس , و من أشهر الماركات بالطبع . وصلا الي سيارة أجرة كانت تقف لتلقط أحد الأشخاص لتقله في أي مكان يرغب , أشار له حسن و أستقلا معا في تلك السيارة , هي أيضا ترتدي زيا موحدا من الأبيض و الأسود و فوقها علامة صفراء مكتوب عليها " تاكسي " باللغة الانجليزية , وصولا بين المباني الكثيرة في تلك المدينة الي الحافة القريبة من منطقة تتعدد فيها المراكب و السفن الشارعية الصغيرة , أستقلوا عن السيارة و أبتعدت بعيدا , فنظرت نيهال الي ذلك المكان . أبتسمت من المفاجأة , ظهر ذلك سريعا علي ملامحها , و ابتسامة أكثر اشراقا من ضوء الشمس و نظرت الي " حسن " و هي تقول :

رحلة بالمركب !

ثم أردفت :

و في نهر النيل .

قال حسن و هو ينظر إلى النهر أمامه :

تستحقين أفضل من ذلك بكثير يا عزيزتي !

ثم أكمل :

النيل هو من أحب الأماكن الي قلبي , له مكانة خاصة في غلال قلبي السعيدة .

قالت نيهال :

و من لا يحب النيل يا حسن !

لم ينتظر الكثير من الوقت , أخذها من يدها و أقترب من أحد القوارب الشراعية المجهزة لمثل تلك الرحلات , لرؤية جمال نهر النيل , و سحر خاص له أمتد عبر العصور الفاتئة , لذلك من بريقه ذلك الاستمرار في الفيض من الماء سنويا , ماء و جمال في نهر واحد , لذلك لا حرج في زيارته مرة واحدة في السنة . جلس حسن و بجانبه زوجته علي أحد الخواف الخشبية في القارب , ثم بدأ القارب في السير معلنا بداية رحلة نهر النيل , و الغوص في أعماق نهر النيل , و ما يميزه و ما يعيبه . من نظرات فائئة لم يكن له عيوب , لكن من نظرة حديثة جدا تبين أن ما يعيبه هو من فعل البشر , ليس من ذاته بل ما يفعله الناس فيه . نظر حسن بعيدا مطلا علي نهر النيل , و مشهد

انسياب شروق الشمس علي واجهة نهر النيل , كصورة عاكسة للمشهد ولكن كل شيء كان مقلوبا رأسا علي عقب , و لكن هذا لم يعطل كثيرا من التمتع الكثير في مشهد ذلك الرسو السماوي و البروغ في طلعة يوم جديد .

تبعته نيهال هي أيضا بنظرات , لا تزيد عن نظرات زوجها الحالمة , و رؤية لأكثر من مشهد خارجي مطل علي لوح ذلك النهر , و اقترابهما أكثر من منتصف النهر , المنسدل في برائته كالأطفال تماما , يهدأ في وقت ثم يثور بجام غضبه في وقت بعيد كل البعد عن نقطة هدوءه , لذلك كما يوصف نهر النيل بالهدوء الشديد - كرأي - فإنه من واجهة أخرى يغضب بشدة - كرأي مواجهه - , رغم كل تلك الأوصاف إلا أنه هناك اجتماع عليه , في نقطة تنتصف علي ذلك كله , ليست برأي و ليست بنقطة , بل واقع أن نهر النيل يرزق مصر و بلاد حوض النيل كلهم , من فضل الله علي دول (حوض النيل) أن خلق لهم نهرا لا ييأس من امتداد مخزون مياهه السنوي , فيعطي كل منهم نصيبه من ذلك الماء , و حقه من جذوة ذلك النهر المشتعل , لذلك هو نهر - لا ييأس - .

قالت نيهال :

منذ فترة طويلة لم أجلس في أحضان النيل هكذا ؟
نظر لها و قال :

لقد أشتاق لك نهر النيل كثيرا .
قالت :

وكيف عرفت كل ذلك .
ثم أردفت :

أانت منجم و أنا لا أعرف !
قال بتهكم :

كذب المنجمون ولو صدقوا !
ثم أكمل :

أنظري هناك فقط !

و أشار بإصبع الي زاوية بعيدة في النهر , بها حدث يبدوا أنه جلل جدا
, انسياب النهر علي حوافه و ارتفاعه تدريجيا عن مستواه الطبيعي ,
ثم عودته مرة أخرى الي ما كان عليه , كان فيضانا بسيطا .

قالت حسن مكملا حديثه السابق :

النهر يرحب بك بحرارة يا نيهال , و يرحب بيوسف جدا !

قالت نيهال :

من قوته يبدو أنه يرحب بشدة .

أجاب حسن :

هو يقول لي شيئاً لا تسمعيه !

قالت مستفهمة :

يقول لك شيئاً لا أسمعهِ ! كيف هذا ؟

أكمل في ثقة :

لأن تعلقي بالبحر كان من فترة طويلة , كنت أحضر جميع مواسمه

في كل عام . سخطا و هدوءا !

أجابت :

هذا هو السر !

قال حسن :

في الباطن أشياء لا نعلمها !

ثم أكمل :

ولا نريد أن بحث عنها لأنها ثمينة .

ثم أستدار فجأة ينظر الي زوجته و علت ابتسامة علي وجهه و قال :

دعينا نستمتع قليلا بالنهر , كفانا فلسفة لليوم !

قالت بابتسامة :

معك حق !

قال و هو يقف :

تعالى هيا .

قالت :

الى أين .

أرتسمت نظرات فكرة جديدة في عقله . و قال و هو يمسك بيدها :

فلنستمع قليلا .

ثم سحب بيدها , زاحفا نحو مقدمة القارب , ثم وقف و أمامه زوجته

ووضع يديه بين خصرها , و طلب منها بأن تمدد زراعيها بطلاقة في

الهواء , و تسمح للهواء بأن يحلق بها بعيدا , ولكن ليس بعيدا جدا !

وقف هو خلفها . أمسك بذراعها الممددة في الهواء و أقترب برأسه

نحوها , لامست شفتاه قماش حجابها الناعم , و قال لها بسعادة :

ماذا تشعرين ؟

فكرت قليلا بتمتمات قائلة :

أشعر بالـ ..

ثم قالت :

الحرية !

قال حسن :

و هل كنت مقيدة !

أجابت :

كنت كالعصفور !

قال :

ومن الذي كان يقيضك !

قالت :

رجل غليظ !

قال :

و هل تعرفين اسمه !

قالت :

يبدأ بحرف الحاء !

ثم أكملت :

و الحرف الثاني هو السين !

ثم قالت :

و الحرف الأخير هو النون !

قال :

وما ملامح هذا الشخص !

قالت :

ذا لحية كثيفة مسترسلة علي جوانب وجهه , ولكنه كالبدن !

قال :

و ماذا يحب !

أجابت :

يحب " الملوخية " بالطبع .

ضحك قائلا :

إن مذاقها شهي جدا !

ثم أكمل :

و هل هو متزوج ؟

أجابت بسرعة :

نعم , و يعول طفلا واحدا رزقه الله به قريبا , يشبه والده كثيرا !

قال :

وما أسم زوجته ؟

صمتت لبعض الوقت ثم عاودت الكلام :

" نهى " علي ما أظن !

قال حسن متفاجئاً :

ذلك الأسم ليس بغريب علي !

التفتت له و قالت :

هل هي تقف أمامك مباشرة الآن ؟

أجاب :

علي ما أظن !

أجابت و الابتسامة تكسوها :

هي زوجتك التي تحبك اذن !

أبتسم , و في لحظة بغتة قبلها , ثم قال :

بالتأكيد هي زوجتي , هي واحدة فقط في حياتي !

راحت تبتسم مزيجة بنظرها الي " النيل " , مضت دقائق و كان

الصمت سيدا فيها , و كانت في رأس نيهال تشتعل فكرة جديدة ,

تخطط لفعالها و لكن تخاف من ما سينجم عنها . لذلك خفت في قلبها

بعض الخوف لمزيد من الوقت , ثم أشتلت في رأسها من جديد . في

تلك اللحظة كانت قد قررت بالفعل , القفز في الماء . لم تسبح منذ فترة

في أي مياه قابلتها , كانت فقط تنظر من بعيد , لم تتقمص دور السابحة

بعد . في لحظة تركت يدا حسن , و قفزت داخل النهر . ظهر علي حسن علامات الاستغراب و هو يراها تقفز باستمتاع كبير , أصدرت صيحة من ذلك النوع قبل أن تقفز . لم ينتظر طويلا حتي لحقها هو الآخر , و قفز الي الماء . كان الماء باردا لكن لظروف الطقس الحارة في ذلك اليوم , فقد كان ملائما للغاية تلك البرودة . سبحت بكل حرية , تستمتع بمد ذراعيها و الضغط بقوة براحة يديها علي سطح الماء مما يعطيها دفعة للأمام . وملابسها التي تبللت بالكامل بالماء , فلم تعد بعد صالحة للارتداء ولكن أصبحت صالحة للسباحة , حسن خلفها يتبعها حتي في سباحتها , و لحظات حتي أقرب منها و نظر اليها بعيني ستفجران من السعادة و قال :

لم تقولي لي بأنك تستطيعي السباحة بتلك المهارة .

ابتعدت عنه , ثم قالت :

أردت أن أفاجئك في يوم من الأيام , و بفضلك قد اتي هذا اليوم سريعا .

قال :

الي أين تريدان أن تكلمي في هذا النهر ؟

نظرت الي الأمام و قالت :

الي أبعد المناطق في مرمي بصري !
نظر و قال :

عند القوارب !

فالت :

لا بل أبعد من ذلك .

قال في غير تفهم :

الي أين اذن ؟

قالت و هي تفرج عن ابتسامة :

الي العودة الي المنزل !

قال باستغراب :

أتريدون العودة الآن ؟

قالت:

نعم , فالمياه أصبحت أكثر برودة الآن !

أخذها بين ذراعيه و سبحا للاقتراب من ميناء القوارب الصغير ,
خرجت بملابسها المبللة , التي تلتصق علي حواف جسدها بالكامل ,
ولكن لنحافتها لم يكن هناك داع لارتداء ملابس جديدة أوسع من هذه ,
صعد حسن خلفها و أخذ براحة يديه يدها , و غادرا الميناء عائدين الي

المنزل مرة أخرى , كانا قد تركا يوسف هناك وحيدا في المنزل , في
الغرفة المظلمة ليس معه سوى جديه و هما كانا – بعادتهما – يجلسان
في الخارج يشاهدان ضوء الشمس و هو يسطع بكل حرية , و ينتشر
في اركان المنزل . ولم يكونا يحبان الجلوس في الظلام , فكانا
يشعران بضيق في النفس و الرؤية أيضا حين الجلوس في جو و مناخ
مظلم , لذلك كانا في أغلب الأوقات يجلسان بالقرب من الأضواء ,
بعيدين كل البعد عن – ممر الفئران – المظلم !

أستقلا سيارة وصولا الي الشارع الذي يسكنان فيه , وصلا علي
مشارف الحي و دخلا بأقدام ثابتة يخطان خلفهما بعض قطرات الماء
المنسدلة من ثيابهما , و حسن لا يكتفي بالامساك بيد زوجته و هما
يسيران , ليحافظ علي الدفء الكامل لها , و لكي لا تلتقط أي عدوي
من هنا أو من هناك , من هذا أو من ذاك . فتحت باب المنزل , فدلفت
اليه و معها حسن , يمسان جيدا ببعضهما مرورا بوالدها الذي قال :
ما كل هذا الماء يا ابنتي , ما الذي حدث !

أجابت بكل سعادة :

كنا نسبح قليلا في نهر النيل !

أجاب فزعا :

نهر النيل !

قالت بهدوء :

نعم , لقد كان المناخ حارا فقررت أن أسبح في النهر بعض الوقت !
فنظر الجد الي " حسن " و قال متذمرا :

و تركتها هكذا يا حسن !

أجاب بنفس نبرة الهدوء :

كنا نسبح قليلا يا خالي العزيز !

ثم نظر الي " نيهال " و قال :

كما قالت بأن الطقس كان حارا !

ثم أردف :

و لقد كنا نستمتع بحياتنا قليلا , بعيدا عن حياتنا الروتينية المعتادة .

ثم أكمل :

الحياة تحتاج لبعض الماء حتي تسترح قليلا من حياتك الروتيني ' !

أجاب الجد :

اذن و هل تريد مني أن أسبح في نهر النيل !

قال بهدوء :

إن أمكن يا خالي .

قال :

و متي تريد أن تذهب مرة أخرى !
تفاجأ حسن من رد فعل الخال , ثم قال :
غدا !

أجاب بثقة :

و ان غدا لناظره لقريب ..

ثم أردف :

ساتي معكم بالغد ان شاء الله .

قالت نيهال :

أهذه كانت مفاجأة للغد أيضا !

قال بثقة :

أتريدون المزيد من المفاجآت ؟

أجابت :

بالتأكيد .

قال بثقة :

سنذهب بعد غد باذن الله الي (السيد البدوي) في طنطا !

أبتسمت قائلة :

السيد البدوي !

قال :

نعم كما سمعتي , السيد البدوي !

قفزت من الفرحة كعادة طفولة قديمة حين يأتي لها أحد الأشخاص

بشيء تحبه و ترغب فيه , ثم قالت :

لم أكن لأحلم في زيارته و لكن أنت حققت لي كل هذا !

ثم أكملت :

لا أدري كيف أشكرك .

قال :

بالذهاب للنوم قليلا .

قالت بتبسم ذي " نغزتين " :

فلنذهب اذن للنوم , كما تريد يا عزيزي !

قال :

استأذنك يا خالي !

قال " الخال " :

تفضل يا بني , تفضل .

دلفا سويا الي الغرفة بعد السماح لهما بالانصراف , و كانت الظلمة لا تزال تحيط بالغرفة , فظلت كما هي و قفزا اثنيهما علي الفراش بقوة , رغبة في النوم السحيق , و اطلاقا لكل ذرات الماء من بين ملبسهما ,
ناما كما كانا في البحر . قطرات الماء كالثياب علي جسدهما .

ظل الجدان يتناقشان في الخارج , فسألت الجدة :

أستذهب فعلا للسباحة معهما في الغد !

قال بابتسامة :

قولي ان شاء الله . ما زلنا في وقت الظهيرة !

ثم أردف :

و لكني أرغب في أن أستعيد شبابي مرة أخرى , لقد قضا علي الكبر ما قضا , و لم يتبقا من جسدي سوي بعض اللحم و العظام فقط ,
أحاول تجديدهما حتي لا يضمرا مبكرا .

قالت :

و هل تستطيع السباحة !

ضحكت قليلا , فأجابها الجد ردا قاسيا :

ليس أكثر من عدم مقدرتك علي الحراك خطوتين علي السواء .

تذمرت :

هل تستهزء بي !

فأجاب :

واحدة بواحدة , كما سخرت مني سخرت منك !

قال :

و ماذا لو فعلتها !

قال ساخرا :

ستأتين معنا لنسبح غدا , و لكن ستبقيين علي الحواف خارج النهر !
قامت بحماس , و جعلت تحاول السير بخطواتين متماثلتين , في بداية الأمر كانت قدم واحدة تطاوع و الأخرى تآبي , لكن مع بعض الضغط عليها , و تلك الرغبة في الفوز , فانتشرت تلقائيا في ساقها الرغبة .
فسارت بقدميها الأثنتين و بعد ثواني عادت للجلوس من شدة الارهاق , ولكنها قد حققت ما تمنيت أخيرا , ثم نظرت له بارهاق قائلة :

سأتي معكم في الغد !

و أستلقت فجأة علي تلك الأريكة التي كانت تجلس عليها , ولم تعد تتكلم بل استرخت , لم تعد لتفتح عينيها فأغلقتها و تركت جسدها يطفو علي تلك الأريكة . نظر لها الجد و قال و هو يجلس علي كرسي بالقرب منها :

أحسننت !

ثم أردف :

بالتأكيد ستأتين معنا بالغد !

ثم تركها و قام بفتح باب المنزل , و خرج الي الطريق ذاهبا الي
المسجد فقد حان وقت صلاة الظهر , تركها نائمة قبل أن يغادر المنزل
, علي أريكة خشبية كعادتها .

حل المساء علي ذلك المنزل , فكانت الأضواء في كل مكان مضاءة ,
في كل غرفة الأنوار لا تنطفئ , بينما الأسرة السعيدة تجلس للتناول

وجبة العشاء , علي مائدة واحدة ليس بينهم حائل . جلسوا يلتهمون الطعام بنفس جائعة للحصول علي المقبلات و ما يبطيء مفعول ضجر المعدة علي الصياح . وكان حسن في قمة اندماجه في الأكل حيث كان ينتهي من طبق يدخل علي طبق آخر بشهية لا تنقطع أبدا . ولكن رغم أنه يحب الأكل و بأكل الكثير منه , لم يزد هذا علي شاكلته شيئا جديدا , كان ثابت الوزن و الشكل الخارجي لمظهر جسده يوحي بقامة ليس بهاذ زيادة أو نقصان , لا زيادة في الطعام أو قلة في الطعام . كان فقط حجمه مناسبا , ظل يأكل حتي ظن أنه شبع من مليء معدته , فقام بهدوء قائلا :

الحمد لله .

ودلف الي المرحاض يغسل الشوائب من علي يديه , و بقايا حول فمه من أثر الطعام , و بعد لحظات خرج من المرحاض و تبعه الجد يغسل يديه و يتأكد من أنهما يبرقان جيدا , ففترقت الأسرة من جديد من حول المائدة , فأنتهى كل منهم من غسل يديه و خرجوا جميعا للجلوس في الهواء الطلق , علي مقربة من المنزل وضعوا قطعة من الكرتون علي الأرض و جلسوا عليها , بجانب بعضهم البعض , و كان يوسف

يجلس بين يدي أمه لا يبرح من مكانه . و كانت الأحاديث تتطاير هنا
و هناك مع صوت معالي الشاي ترتطم بالأكواب , و رشقات الناس
لمذاقه الرائع , و السكر الذي يذوب له القلب قبل العين و اللسان . بدأ
حسن الحديث قائلاً :

إذن , هل ستذهب معنا غدا إلي النهر يا خالي !
أجاب الجد :

بالطبع يا بني , علي قدر كلمتي .
قال حسن :

و هل تستطيع السباحة جيدا في النهر ؟
قال بهدوء عجائزي :

النهر ليس بحاجة للتدرب علي السباحة فيه , أنا أعيشه يوميا في
حقول الزراعة , فهو أصبح جزء مني , و أصبحت جزء منه !
قال حسن :

و لكن هل جربت أن تسبح فيه من قبل !
قال الجد :

لا في الحقيقة , لذلك أنتهزت تلك الفرصة في القضاء معكم الوقت
الكثير في الغد .

قال حسن :

إذا كنت ترغب في أن أعلمك السباحة , قل لي فقط و أنا أتشرف بأن
أعلمك يا خالي .

قال الجد :

هذا لو !

ثم ضحك حسن و قال :

ان شاء الله .

عاد الجد للكلام قائلاً :

هل تعلم من سيأتي معنا غدا أيضا !

أجاب مستفهما :

من ؟

قال بهدوء :

خالتك !

أجاب :

حقا !

ثم أشاح بنظره نحو " الخالة " و قال :

أحقا ستأتين معنا غدا .

أجابت :

بالطبع يا بني , رغبة في الخروج عن روتين الحياة اليومية .

ثم أردفت :

و قبل أن تسأل , سأجلس علي حافة النهر و أضع قدمي في الماء فقط !

ضحك و قال :

أخذتها من علي لساني يا خالة .

ثم أكمل :

سيكون يوما غاية في الجمال !

ثم نظر الي " نيهال " التي كانت تجلس بجانبه و قال :

ستحظين بيوم لا مثيل له في الغد !

قالت :

أعلم أنه سيكون يوما رائعا !

ثم أكملت :

لذلك سناخذ يوسف معنا تلك المرة , ليمتع نظره بجمال نهر النيل , و

يري النيل مبكرا ليتعلق في ذاكرته الي الأبد !

قال :

بالطبع سيسعد بهذا !

ثم قالت الجدة :

و ماذا عنك يا نيهال ؟

أجابت :

وماذا عني يا أمي !

قالت :

كيف تستطيعين السباحة و أنت كنتي تضعين الولد منذ أسبوع !

قالت :

هذا شيء طبيعي أن أمارس الرياضة بعد تلك العملية , هكذا يقول

الطب الحديث يا أمي !

قالت الأم :

ولكن الا ترهقك هذه الرياضة ؟

قالت :

لا , لا ارهاق !

ثم أكملت :

و لكن في بعض الأحيان أشعر ببعض التعب في معدتي قليلا و لكن

لا بأس .

و قالت أيضا :

هذه فيما أعتقد من الام الولادة كما يقال !

أجابت :

بالطبع .

أستغرق المزيد من الحديث , ليلتهم علي الجو البارد في مساء ذلك اليوم , و جلوسهم في الخارج ليلتقطوا بعضا منه , و يستنشقوا رغبة في تغيير مناخ الصباح , و تبديله إلي جو أفضل من الصباح , أنتهت الجلسة سريعا , كبايتها القريبة مثلما نهايتها المحتممة . قام حسن و هو يقول :

لقد أنتهت جلستنا لليوم !

تبعته نيهال , ثم قالت :

فلنم اليوم فأمامنا يوم ذاخر بالأحداث غدا .

توالي قيام الخال و الخالة , ثم قال حسن و هو يأخذ بيد زوجته و يدخلان الي المنزل :

طاب مساؤكم !

رددا خلفه العبارة :

طاب مساؤك !

أزيلت القطعة الكرتونية من مكانها , و أعيدت الي الداخل في يدي الخال , و أغلق الباب بقوة ووضع كل شيء في مكانه . فما كان الآن أن يبقى سوي النوم المبشر بأحلام تعبيرية عن رسوم يقع عاتقها علي خيال جامع للحالمين .

مع طلوع شمس جديدة , غير يوم سابق , و غير ما ستحيل اليه في يوم جديد . حيث طاقة مختلفة تتبع منها و تتسرب عبر نوافذ بها ثغور ذيقة ك ثقب ضيق لا تعبر منه ذبابة حتي . ولكن مع تسله الي الداخل , تنبه حسن لبزوغ الشمس في وقت الظهيرة . و قام يضع يده في عينيه . مزيلا ما بها من عبق ليلة الأمس . و قام من علي الفراش واضعا قدمه في النعل الخاص به , و دلف الي المرحاض . في تلك اللحظات كانت نيهال تقوم هي أيضا تباعا مع زوجها . تنهض من الفراش و ترتدي نعلها من بين النعال الكثيرة علي الأرض , لغرض مجهول . قامت و هي تقترب من المرحاض و كان حسن قد خرج منذ لحظات و قد توجه الي المطبخ ليأكل شيئا ولو لقيمات قبل الذهاب الي النهر , فقط ليساعدان جسده علي البقاء لفترة أطول بدون أي طعام , أستيقظ المنزل بالكامل بما فيه أهل هذا المنزل , و تقابلا قبل الرحيل عند مدخل المنزل , و كلهم سعداء يضحكون أمام بعضهم , في فرحة

و سعادة مبهجة , قابل حسن الباب و قام بفتحه فخرج كل من في المنزل و أغلق خلفه الباب لهدوء حتي تأكد تماما من أنه أغلقه باحكام , و تتابعت مراسم الرحلة بركوب سيارة أجرة كانت تسير في الطريق تعترض المارة بحثا عن الزبائن , حتي وجدت ذاتها في عائلة نيهال و زوجها حسن و يوسف الصغير , فركبا معه حتي وصلوا الي حواف نهر النيل , عند ميناء صغير للقوارب البسيطة الصنع , و يوجد قوارب شراعية لكنها للطبقة العالية فقط في المجتمع , لم يكن مسموحا لأحد من الضواحي أن يغرز يديه فيها اطلاقا , الا لسوف يأخذ من الأجر ما يندم عليه لاحقا , أقتربا من النهر , حتي كانت المياه تداعب أقدامهم , و تتسامر معهم في كل ثانية . فقال حسن بحماسة :
هيا يا خال , هيا .

جاذبا يدي خاله و مقتربا أكثر من نهر النيل الواسع , تبللت ملابسهما بسرعة و لكن شذوة الاستمتاع بالمياة , جعلتهما ينسيان تلك البرودة في المياه و في ذات الوقت حلاوة الاستمتاع بالسباحة علي سطحه الواسع الممتد . كانت لا تزال السيدتان تجلسان علي الحواف حتي صرخت نيهال " بصوت طفولي " :

سأقفز في الماء يا أمي !

لم تسمع رد أمها عليها , فقفزت بسرعة الي داخل الماء فأصدر الماء
خريرا عاليا من علي حافته , و من باطنه كانت تقترب أكثر من
البروز الي السطح , نظر حسن خلفه ليري شخصها و ظلها في عمق
الماء يقترب من أعلي , و كأنها سباحة ماهرة للغاية !

ترقب ظهورها , حتي قام برش الماء علي وجهها و قال مداعبا :
أهذا " المنش " لتعبريه !

أجابت بنفس اللهجة :

هذا أفضل بكثير من " المنش " , هذا نهر النيل !
تدخل الخال قائلا :

و نهر النيل لا يقارن بأي نهر أو بحر آخر !
ثم أكمل بلهجة جادة :
ليس له مثيل أبدا !

قال حسن :

ان اباك بنعم بالوطنية في قلبه !
أجابت :

هذه هي عادة القدماء !
ببعض التهكم :

الإخلاص للوطن أو أي شيء يضم راية واحدة !

تدخل الأب :

ليست للانتماء فقط , ولكن للحياة في كل الظروف !

ثم ما لبث أن يكمل حديثه معهم حتي كان بيتعدا بعيدا , الي أعماق نهر النيل من السطح الخارجي , كان يبدو مثل أمهر الغواصين في العالم , رغم هذا الكبر في السن , و الكهولة في أجزاء جسده , و الطبية الشيخوخة في الحياة , الا أن ممارسته لمثل تلك الهاوية قد تعد شيئا كان مفقودا و لكن كان مندثرا تحت رماله الغائرة , جدف حسن بذراعيه قبل أن يفر بصحبة زوجته و قال لها :

فلنلحق بخالي قبل أن يفعل شيئا !

قالت :

لا تقل هكذا علي أبي !

فطرتها الطفولية , كانت تجب برد تلقائي من جوفها الكامن في روحها السرمدية , للأبد أو حين تتوفاها المنية الإلهية , فغادرت فيما كانت تري نفسها أنها كانت تحلق مع زوجها لكان أبعد بكثير من تواجدهم داخل نهر النيل , و غدير مياهه المنبعثة من جوف الغضب . وكان

علي الحواف يجلس بعد أن وصل الي " الجدة " و فيما كان يحادثها
كان يقول :

لم لم تسبحي معنا , ولول كان علي الحافة !
قالت :

قدماي تؤلماني جدا .

قال بلهجة تكسوها السخرية :

يا ألمي !

عقدت حاجبيها ثم قال :

يا رجل الا تسئم من نفسك , ألا تستحي أن تخاطب زوجتك بهذه
الطريقة , عشرات السنون مضيناها معا , و أنت لا زلت تسخر
كعادتك منذ قديم الزمان !

ثم أكملت بتهكم :

يا لك من رجل مثير للشفقة !

قال :

أتعتيني بتلك الصفة السيئة !

ثم أردف :

انك اذن لـ

صمت ثم قال :

أعز شخص رأيته في حياتي !

لم يكن لضعف منه أن يمدحها بعد سخطه , ولكن ليعيد الروح في
بداية الحديث الي مكانها الأصلي بينهما . أبتسمت قائلة :

أنت تجيد " تهجين " الكلام !

ثم أكملت :

و هذا شيء جيد فيك !

خريير الماء يقترب صوته منهما , كان حسن و زوجته يقتربان منهما
بسرعة , و كأنهما يهرولان في الماء , أقبلا عليهما و شرعا في
الجلوس علي حافة النهر , و ساد الصمت قليلا ثم قال حسن :

ما رأيكم في تلك الرحلة !

أجاب الخال :

كانت رائعة جدا يا بني !

ثم نظر الي " الخالة " و سألها :

هل أعجبك الماء يا خالتي !

قالت :

قدمي تؤلمني !

ضحك الجد و قال :

لا تزال تؤلمك يا عزيزتي !

وضع الحب في طبق معتكر , فأجابت :

نعم لا تزال , و الان هيا لنعد الي المنزل فقد اشتقت له كثيرا .

وافقها حسن الرأي ثم قال :

بالطبع , فلنذهب .

ثم قام و زوجته لا تزال في يديه , و أسند خالته باليد الأخرى حتي قامت من مجلسها , و شرعا يعودان الي ذلك الزحام في الطريق الرئيسي قبل أن يستقلا سيارة أجرة الي منزلهما مرة أخرى . وكان فيما يبدو علي طلعة الشمس بأنه قد حان وقت صلاة العصر , فصح المؤذنون في كل مسجد بأصواتهم ينادون للصلاة , و كل من في السيارة يرددون خلفه الأذان , كسنة نبوية ..

كان الشيخ محمد يجلس في بيته , بعد انتهاء صلاة العشاء في المساء
كان يتحدث مع زوجته عن بعض الأمور , و في خلال الحديث سألها
قائلا :

متي سيكون موعد الزيارة ؟

فأجابت :

غدا باذن الله .

قال :

حسنا , و هل اتصلت بتلك المستشفى ؟

أجابت :

نعم , غدا سيقلونني في وقت العصر ! تكون قد انتهيت من الصلاة و تأتي معنا مباشرة !

أجاب :

خير .

ثم سألها مجددا :

ما أسم تلك المستشفى ؟

أجابت بهدوء :

السعودي الألماني !

قال :

التي توجد في طريق " جوزيف تيتو " .

أجابت :

نعم هي تلك !

ظن في بداية الأمر ان الأسم هذا تردد في اذنه من قبل , فقال لها :

هذا الأسم !

ثم أردف :

أعتقد انه ليس بالغريب علي أذني !

أجابت قائلة :

ذهبنا اليها من قبل حين كنت تجري فحصا علي أذنك هناك ! ألا

تذكر ؟

قال مستدركا :

نعم .. نعم تذكرت !

أجابت :

علي كل , نستبشر خيرا في الغد باذن الله !

قال :

ماذا قررت أن تسميه !

قالت :

أسما من أنبياء الله , أو الصحابة الكرام !

قال بعد تفكير :

إبراهيم مثلا .

أجابت :

لا , في عقلي أسم آخر !
قال :

ما هو ؟

قالت : يوسف !

ثم أردفت :

يوسف محمد , اقتداء بنبي الله يوسف !

قال متسائلا :

و لم هذا الأسم بالتحديد !

قالت :

أحبه !

سألها مجددا :

انا أسالك لأن " حسن " الذي يسكن معنا في هذا الشارع , قد سمي

أسم ابنه يوسف أيضا !

قالت :

أعرف هذا !

ثم أكملت الحديث :

لهذا أسميته يوسف !

أستدركه الشك و قال :

ألا تريدان أن يكون لولدك أسم مختلف ! حتي لا يظن حسن أننا نقلده
أجابت :

هذا ليس منطق , هذا مجرد أسم فقط !

أجاب و هو يرجه ظهره للخلف :

حسننا , لا بأس !

فقامت و قالت :

أنا ذاهبة لأنام قبل يوم غد !

أجاب و هي تبتعد :

طابت ليلتك !

أجابت هي الأخرى :

طابت ليلتك !

تركته و دلفت الي الغرفة , قبل اجراء الفحوصات غدا . كانت هي
الأخرى تحمل في بطنها ولدا كما أخبرتها الطبيبة و لكن كانت في
الآونة الأخيرة تشعر بألم ووخزات تأتي بقوة من بطنها تتسلل الي
جسدها بالكامل , فارادت أن تتأكد من الجنين فقررت حجز زيارة في

مستشفى السعودي الالمانى , للمسافة القريبة منهم . بضعة أمتار فقط .

قام هو الآخر متكأ على الكرسي , و دلف الى غرفته لينام أيضا و كان الليل قد حلك في الغرف كلها في تلك الشقة , أقترب من السرير الخاص بهم , و أرخي ساقه على الفراش ثم لم يلبث بذهابه للنوم سريعا , بسرعة غير ملحوظة للبشرىين .

كان الصباح يتهلل وجهه في طليعة يوم جديد , و اغرفة تقترب من اضائتها في كل دقيقة و في كل ثانية , أيهما أقرب للسطوع . ففرزت عينا " حسن " النائم بعض الاشارات بأن يفتح عينيه الان , فقد شق الصباح السماء شقا , فقام حسن و أجري ذلك الروتين اليومي في حياته و أرتمي ملابسه بسرعة و قام بايقاظ زوجته " النائمة " بعد

الكثير من المناوشات , و الغارات علي أذنها بأصوات و تمتمات
لتستيقظ , فقامت بصعوبة و هي تضع ذراعها علي حافة السرير و
قامت تتند بجسدها علي حوائط المنزل .

أسرع كل شي في ذلك المنزل , قام الخال العجوز و الخالة " الرشيقة
" من فراشهما , و أعدا كل شيء للحصول علي وجبة صباحية لذيذة
قبل الذهاب , فاجتمعوا جميعا حول مائدة واحدة , و كان كل منهم
يتذوق بمذاق مختلف و ألينة مختلفة تستطيع التفريق و بشدة عن
الطعام الكثير في الحموضة عن الكثير في الملوحة , ولكن هناك
اجماع كامل علي الطعام الكثير في السكر , هذا اجماع من كافة
الشعوب .

سأل حسن خاله :

هل " طنطا " بعيدة عن هنا , أتستغرق وقتا طويلا !

قال بهدوء :

بالتأكيد لا !

ثم أردف :

هي أقرب اليك من مسافة اذنك عن منكبك !

ضحك حسن و قال :

تعبير جميل يا خال !

فأستمر في الضحك , و أستغرق كلهم بعض الوقت في الاجهاد علي الأكل بقوته . كمعدل طبيعي للأكل , و قاموا جميعا و غسلو أيديهم و أعدوا كل شيء , حان الآن وقت الذهاب .

أغلق الباب لقوة من أثر يدي أحمد , و تركوا المنزل و غادروا قاصدين المدينة العريقة , المدينة التجارية كما يقال , انها زيارة لأكبر معامها و أشهرها , ان لم يكن هو ما جعلها شهيرة فله الأصل في ذلك الحق تماما , تترد الألسان حول السيد البدوي فتذكر طنطا مباشرة , و العكس صحيح تماما !

أستقلا سيارة تنقل الركاب مخصصة للنقل السياحي , و لنقل عامة الشعب في نفس الوقت , غادروا من مدينة " تلا " في رحلة لا تستغرق الكثير من الوقت لكنها ستبدو ممتعة لمن يحب الترحال , و المشاهدة . كانت ملامحها تتشابه مع ملامح المدينة الأصلية . تلا , حيث وجدوا ما رأوه هناك يتشابه في معظمه مع ما يروه في مدينتهم . من أسواق كثيرة في الشوارع و الأزقة الضيقة , الي كثرة القهاوي القديمة التي عبق التاريخ و أتربته المرسله لا تزال تداوم أن تزوره كل يوم , و الأدخنة الصاعدة من حرق الكثير من أكياس القمامة , فيما

يبدو أنها إعادة تدوير المخلفات و لكن بطريقة مثالية أكثر . ملامح من تلا هي بالكاد تتشابه مع طنطا , لها رونق في التنظيم , و عبق في إعادة تدوير القمامة . حقا كما قلنا بأن مصر في عام " 2015 " بدأت تهزي و بشدة !

أستقرت الحافلة في موقف صغير بالقرب من المسجد مباشرة , كانت تلك رحلة موفقة , من حيث الأثر , و من حيث القمامة . حذق حسن أمامه مباشرة ليجد مسجدا كبيرا يطل من قريب , لدهشته بكبر هذا المسجد و عرقة صنعه , لم يتخيل بأنه هكذا ولو حتي في أحلامه ! أوقف الخال سيل الأدرينالين الخاص به قائلا :

لا زلنا في البداية , و بدأت في الدهشة , أنتظر حتي تري المسجد من الداخل .

ثم قال في نفسه :

كم أكره أهل القاهرة !

خرج من السيارة و كانت خلفه نيهال تنظر كمثل نظرة زوجها , الاندهاش و " السبهلة " , حالة لا يرثي لها لأنها ضمن نطاق الإعجاب و الرؤية الأولية لذلك المكان . ولكن لم يطل الوقت كثيرا حتي سمعا نداء من بعيد :

أستنتظران طويلا !

خرجا من تلك الحالة , فوجدا الخال و قد أقترب من الباب المؤدي للمسجد . كان بابا غاية في العملاقة , يوحي بأن هناك شيئا سيكون أكبر من شكله هو بالداخل , فتحركا و في يدي نيهال ابنها الصغير , حتي كانا علي مشارف المسجد , فقال لهما الخال و كانت تقف زوجته بجانبه :

هذا هو السيد البدوي !

وصفه من الداخل أعظم بكثير مما يمكن وصفه بالخارج , البلاط الابيض المرصوص علي الأرض , الزوايا فيه تحمل معني و أثرا دينيها عظيما , شدة نصاعه البلاط ترسل أضواء القمر و أعمدة الاناره الي أبعد هاوية سحيقة في الأرض , المبني علي طراز قديم به زخارش في كل قطعة فيه , أعمدة كبيرة تحمله و تتكاثر في كل جانب , بين تلك الاعمدة أمتار تفصل بينهم , قال حسن و اللعاب يكاد ينفجر في فمه :

لم أجد لعيني مشهدا قط أجمل من هذا !

قال الصدق الذي في قلبه ..

فقال الخال بهدوء :

ألم اعدك بأنك لن تري مثل هذا من قبل !
أجاب حسن :

يا لها من مشاهد خلابة لمسجد عرق !
قال :

هل تعرف يا نيهال آخر مرة أتيت بك الي هنا !
أجابت :

منذ سنوات كثيرة , لا أذكر آخر مرة .
فأجابها بابتسامة :

بالطبع فكنتي صغيرة , و كان يوما جميلا و كان فيما يدبو أنه علا
ملا محك التعلق بذلك المكان .

أجابت :

أحب ذلك المسجد جدا .

قال حسن مستعجلا :

هيا لنري المسجد من الداخل !

تبعه الخال و قال :

لديك الكثير لتراه يا حسن .

دخلوا جميعا ليلقوا بأنظارهم علي ذلك البراح الواسع في الداخل ,
مشهد كان ليس من الممكن وصفه إلا لأعين رأت هذا المسجد بالفعل ,
و ليس من العدل أن لا تراه , فهو جميل جدا !

دلفوا جميعا الي الداخل , حيث هناك مصلي للرجال في الأمام , و
مصلي خلفي للسيدات فتفرقوا جميعا ليصلي كلا منهم منفردا ثم اتفقوا
علي المقابلة في مكان محدد في ساحة المسجد . أدوا جميعا الصلاة و
عادوا للمقابلة في تلك النقطة التي كانوا أفقوا عليها بالساحة , وقف
حسن و خاله ينتظران قليلا , حتي أتوا من بعيد يسيران بهدوء و كانا
في تسامر فيما بينهما , أقتربا منهما فقال حسن :

ماذا تريدان أن تفعلأ أيضا !

أجابت نيهال :

أن نكمل مشاهدة المسجد !

قال خال :

هل هناك ما تبقي لنراه يا نيهال !

أجابت الخالة بثقة :

أي شيء آخر , المكان كبير و واسع !

فكر الخال قليلا ثم قال :

بامكاننا الجلوس في خارج المسجد علي هذه المقاعد .

قالت نيهال :

فكرة جيدة , هيا !

أتفقت الاراء فدخلوا للجلوس علي تلك المقاعد المجهزة في مقابلة المسجد , لمن أراد الجلوس قليلا ثم يكمل الزيارة , كانت " نيهال " تجلس و معها يوسف , فجأة رن هاتفها الذي في الحقيبة فأخذته و ضغطت علي " قبول المكالمة " , ثم قالت :

السلام عليكم .

أجاب الطرف الآخر :

و عليكم السلام !

قالت نيهال :

من معي !

أجابت بهدوء :

أنا زوجة الشيخ محمد .

قالت نيهال :

كيف حالك !

أجابت :

بخير و الحمد لله !

ثم أردفت :

كيف هي أخبار يوسف , لم أره الي الآن !

قالت بتبسم :

انه بخير .

سمعت في الهاتف صوت صراخه فقالت :

بارك الله فيه !

قالت " نيهال " :

امين , امين .

قالت من جديد :

كنت أود مقابلتك للتحدث حول موضوع ما !

أجابت بقلق :

وما هو !

قالت بعد تردد :

أعتقد انه يحتاج للكلام وجهها لوجه , لا علي الهاتف !

قالت :

ولكنني في طنطا !

أجابت بسرعة :

هل بإمكانك أن تأتي عما قريب !

ترددت ثم قالت :

سأحاول أن نأتي مبكرا !

فقالت بسرعة :

ولكن لا تتأخري كثيرا .

أجابت بهدوء :

حسنا , سأحاول !

قبل أن تغلق المكالمة معها , قالت :

لا تتأخري رجاء !

و أغلقت المكالمة معها , كان الشك يراودها كثيرا بعد صوتها

المتحشرج في تلك المكالمة , و تقطع نبراتهما ف يبيعض الأحيان , و

الرغبة في أن تعود مبكرا للقاء عاجل , أثارت تساؤلات كثيرا في

عقلها . لاحظ حسن شرودها فقال :

مع من كنت تتكلمين !

و كأنها لم تسمعه , سألتها مجددا :

يا نيهال !

أستفاقت هلعاً ثم قالت :

ماذا !

قال ببعض القلق :

ما هذا الشرود علي وجهك !

تحسست وجهها و كانت بعض قطرات العرق تتسلل , ثم عادت لتقول

بعد أن مسحت العرق :

لا شيء , لا تقلق !

أطمئن حاله لذلك الجواب ثم سكت ولم يتكلم , أستمر الجلوس لساعات

في البراح الخارجي للمسجد , قال حسن أخيراً و هو يقوم :

هل بإمكاننا العودة فلدق تأخر الوقت ؟

نظر الخال الي الساعة في معصمه و عاد يقول :

بالفل لقد تأخر الوقت .

ثم أشار الي زوجته و ابنته آلاتي تجلسان بجانبه , وقال :

هيا الآن لنعد أدراجنا الي المنزل !

قامت طائعتين لكلمته فقط , و عادوا الي المنزل مثلما ذهبوا , تخللت

العودة مشاهد لم تري في الزيارة الأولى . بعض المحلات التي تتواجد

في أزقة الشوارع كانت تبدو بمظهر جديد , فيما تظهر الأنوار الجديدة
المعلقة علي أبوابها , حتي وصلوا الي المدينة مرة أخرى . و عادوا
الي منزلهم سعداء مثلما كانوا .

حل الليل في الغرفة الذي يجلسان فيها , و لكن مع اضاءة تأتي من
أحدي المصابيح في السقف تشعل الغرفة ولا تسمح للظلام بالمرور
أبدا , كانا يجلسان سويا علي فراشهما و كانت الساعة تشير الي تخطي

منتصف الليل . ففي تلك اللحظات بينما كانا يتحدثان , سأله " نيهال "
قائلة :

أتدري مع من كنت أتكلم حين كنا في " السيد البدوي " !
قال :

أريد أن اعرف .

قالت :

انها زوجة الشيخ محمد , صديقك !

قال حسن :

الشيخ محمد ! زوجته !

ثم أردف :

ماذا كانت تريد ؟

أجابت بهدوء :

كانت تريدني أن أتحدث معها !

ثم أكملت :

وجها لوجه !!

قال :

وجها لوجه . كيف هذا !

أجابت :

تريدنا أن نعود غدا لكي ألتقي معها .

ثم أردفت :

أعتقد أن لديها مشكلة ما !

سألها حسن :

لو كان هناك مشكلة لكان الشيخ محمد قال لي .

أجابت بهدوء :

لربما الشيخ محمد لا يعرف !

أجاب باستنكار :

لا يعرف ! كيف و هو زوجها !

قالت :

أمر طبيعي أن لا يعرف ! و لكن هذا مجرد اقتراح فقط .

قال حسن :

و ماذا سنفعل ؟

قالت و هي تتلفت له :

سنسافر غدا !

قال :

ما زال أمامنا أسبـ ...

سقطت دموعه من الداخل , فأستدرك الكلام قائلاً :

لم نكمل الأسبوع !

قالت " نيهال " باستنكار :

لا فارق !

أكملت :

أريد أن نذهب غدا لنساعدها , لربما هي في حاجة جدية إلينا !

قال و هو ينظر لبعيد :

لا أعرف ! و لكن حسنا سنعود إلي القاهرة في الغد .

تمتت قائلة :

هذا أمر جيد !

ثم أستأذنته قائلة :

طاب مساؤك يا حسن !

أجاب :

طاب مساؤك .

ثم أستلقت علي الفراش , و في لحظات كانت نائمة كالطفل الصغير ,

و حقيقة كان يوسف الصغير بينهما الأثنان , نائما مستلقيا كما كانت

أمه نائمة . و جلس الأب علي الفراش قليلا ثم ما لبث أن ألقى بجسده علي الفراش و نام هو الآخر معهم .

و انتهت أمسية جديدة في ذلك البيت , و في الغد بالتأكيد للصباح رأي و نظرة جديدة لضوئها " المشع " .

في الصباح , كان قيامهم سريعا حين قاربت الساعة للتاسعة صباحا و قبل الظهر , و اشعة الشمس المحرقة . و قبل أن تسيطر علي المناخ العام للغرفة , قام حسن و أعد كل ملابسه و أيقظ زوجته و هو يقول بصوت منخفض :

هيا , سنسافر الان !

سمعته و هي تقوم من علي الفراش . مطيعة للغاية , فأعدت هي الأخرى باقي ما كان يلزم للعودة , و أيقظت يوسف الذي بلغ الآن أسبوع و نصف من عمره . فأعدت له الملابس و قامت بتنظيفها و أعدتها أيما اعداد , فأقبل عليها حسن ببعض الطعام و قال :

طاقة قبل الذهاب .

فأخذت بعضا منها و ألتهمتها في عجلة , و أفضي بحصن أيضا بنفس السرعة و كان في الانتظار خارج الغرفة , في صالة الاستقبال . فبعد انتظار لم يدم لوقت طويل , خرجت من الغرفة و معها يوسف , و

هندامها المنظم مثل ولدها الصغير . يوسف حسن , و أقبلت علي والدتها تسلم عليها قائلة :

سأشتاق الكي يا أمي .

ثم تجيب الأم ك

شأشتق اليك أكثر .

فتذهب لتقبل والدها مرة أخرى . فيقول لها :

أحفظ نفسك يا نيهال !

فتجيب مطمئنة اياه :

سأفعل يا والدي .

ثم قبل رأسه و تذهب مع حسن خارجا , و يغلقان ذلك الباب الخشبي , الذي ظلا معه طوال هذه المدة الذي قضياها هنا , في الريف المصري

, أغلقاه بهدوء فأصدر صوت ارتطام معتاد من أزيز هذا الخشب المتشقق فيه .

فكانت رحلة سعيدة في العودة , الي بلدتهم الثانية , و المحافظة المكتظة بالسكان . الي منزلهم القابع في طريق جسر السويس الواقع في شارع " علي البد راوي " ..

كان صوت هاتفها يصدح . فحملته من مياهم حقيبتها . فكان رقما لا
يعرف له أسم ولا عنوان ! فقبلت المكالمة و قالت :
من معي .
أجاب الطرف الآخر :

انا التي كلمتك بالأمس !

قالت مستدركة الكلام :

نعم . نعم لقد نسيت معذرة !

ثم أكملت :

أحمل لك خبرا سعيدا !

أجابت :

ماذا ؟!

قالت بتمتمات :

نحن قادمين الآن !

أجابت و هي تتنهد :

كنت أعلم أنك لن تخذليني .

ثم أردفت :

كنت أعلم انك ستلبى طلبي .

قالت نيهال :

و كيف لا أقبل طلبك فأنت زوجة أحد أحباب حسن !

ثم أكملت :

الشيخ محمد بمثابة الصديق و أكثر بالنسبة لزوجي !

فأجابت :

أعلم ان الحب يسود بينهما , لذلك لم أتردد في مكالمتك .

قالت :

حسنا . نحن أقتربنا من الشارع الان . سأزورك حال قدومي !

قالت :

حسنا !

فقالت نيهال :

وداعا الان !

و أغلقت معها المكالمة , و كانت تنتظر الي خارج النافذة لتجد مدي
القرب من الشارع , و رؤية ملامح المدينة من جديد . أبرز معالم تلك
المدينة و خصوصا الشارع الذي نقطب فيه . أنه شارع ضيق . يكفي
للسيارات فقط للمرور , و لكن هذه هي الحياة ليس لنا من محيص
عنها !

شكر حسن السائق و هو يركض بعيدا بسيارته , فدلغا الي الشارع
سيراً . و بهدوء حتي وصلا بسلام الي باب منزلهما , قالت نيهال و
هي تسترجع الذكريات :

لقد أفتقدت هذا المنزل حقا !

فأجابها حسن :

ومن لا يفتقد منزله !

نظرت له ثم قالت :

و لكن أشعرت بمثل ما شعرت به !

أجابها :

نعم , نسيم الهواء الذي تغير !

عقدت حاجبيها ثم قالت :

لا بالطبع ليس هذا !

ثم أستطردت :

أريدك فقط أن تنظر بعناية للباب !

نظر حسن بعض الثواني , ثم عاد يقول :

ليت قلبي يري مثلما تريين أنت !

قالت :

و ماذا يري قلبي !

فأجابها :

أنتم النساء غيرنا نحن الرجال !

ثم أردف :

نحن نري من منظور , و أنتم من منظور اخر !
فأجابت :

و أنت تقول من منظور ديكارت , أليس كذلك ؟
أبتسم و قال :

أليس ديكارت رجلا !
فقالت :

اذن , عرفت لماذا يتغير منظوركم عنا .
ثم أكملت مغيرة الموضوع :

أين يسكن الشيخ محمد !
قال :

في هذا المبني !
و أشار باصبعه الي مبني يتواجد أمام منزلهم مباشرة , يتساويان في
ذات الحجم , فقالت :

هل نذهب هلما الان ؟
قال حسن :

باذن الله بعد صلاة الظهر . سنذهب لهما !
قالت :

حسنا ! و الان هيا لنصعد لنحظي ببعض الراحة قليلا !
صعد الأثنان علي درج السلم المبلط , و نقوشه الجانبية الذي تغطيه ,
الي منزلهما , فأخرج من جيبه المفتاح , المغطي باللون الأحمر عند
الأشباح ! و فتح به الباب و لدفوا الي المنزل و أغلق خلفهما الباب
بهدوء .

دخل حسن في تنهد الي الغرفة , و مد جسده علي الفراش الوثير . لم
يجلس علذ هذا الفراش منذ فترة تتجاوز اليومين , فعاد اليه الرغبة في
تحسس جاونبه بالكامل , و الاستمتاع بالنوم عليه , قبل اذان الظهر .
أتت زوجته تفتح باب الغرفة . و قدمت اليه بسيرها البطيء و قالت :
هل ستنام !

فأجاب :

أنا أسترح قليلا !

تمتتم :

حسنا . ثم أتت تجلس بجانبه , بعض الراحة هي الأخرى . و كأن
جسدها تنهشه الكلاب من شدة التعب و الارهاق بسبب رحلة العودة
من هناك , و كان يوسف هو أيضا يحظي ببعض المتعة في المنتصف

و فكان يصدر تأوهات في كل وقت , بدل علي مدي نومه العميق . و
راحته أيضا في تلك الوضعية التي يستلقي بها .

فقال أحمد مرة أخرى :

بعد صلاة الظهر , سأقابل الشيخ محمد و اصعد معه الي المنزل و
سأجري لك اتصالا حتي تأتي لنا و سأكون بانتظارك في الأسفل .
أجابت :

موافقة !

فهدأ الكلام قليلا . و لم يتكلم أحد فكان الصمت جزء لا يتجزء من
أجواء تلك الغرفة .

اذان الظهر قد ان وقته , و حسن يجلس لينظر ساعة الحائط المعلقة
أمامه بانتباه شديد , حتي سمع صوت الاذان يأتي من أسفل . فجلس

بخشوع يردد كلمات الاذان الساحرة , الملهمة في الوقت عينه , تتم
عن التوحيد و التسبيح و التهليل , و الدعوة أيضا , أن يغفر الله
للمسلمين جميعا و أن يتغندهم برحمته . و أن يرعي كل من قال بقلبه
قبل لسانه . آمين , آمين .

أستمع الي نهاية الاذان , خاشعا متديرا – كعادته – التي لا تنقطع , ثم
قام ليتوضأ و يتجهز للنزول الي المسجد , و اداء الصلاة بين
المسلمون الاخرون , كصلاة موحدة ليست فردية , لأن الفرد لا ينتج
من ينتجه الأفراد , هو دائما أقل انتاجا , لذلك الفرد هو حصيلة نفسه ,
لكن الجماعة هي حصيلة الأفراد .

كان في غضون دقائق جاهزا , و كانت زوجته تستعد هي الأخرى
للصلاة , و لكن في المنزل . فتأكد من سلامتها ثم توكل علي الله
خروجا للصلاة بين المسلمون , جماعة في المسجد .

في سيره المعتاد علي درج السلم , وصل الي باب العمارة الكبير ,
المتسع من اليمين الي اليسار , و خرج منه بتقرب خطوة خطوة الي
محراب المسجد المائل بمسافة قليلة أمام منزلهم . فيخطو دخولا اليه ,
ثم وضع حذائه جنبا , الي أن تنتهي الصلاة , ثم يقترب من الصف
الأول – كالعادة – و ينتظر و قت اقامة الصلاة , ثلاثة ثواني تبقت و

كان هو في انتظارها ثم صدح صوت " الشيخ محمد " بالاقامة و أتجه
ليأم المسلمين , في صلاة الظهر , ذلك مثل حي وواقع علي أن كل من
أسلم وجهه لله , فهو امن في بيته ما دام جالسا فيه , ثم تنتهي الصلاة
فيخرج من المسجد , متقابلا مع صديق عمره , الذي راه منذ فترة
طويلة في المسجد , فنشأ بينهما حب أخوي . كالحب في الله و لكن تلك
صداقة و ليست حبا , الحب من مفهوم فهو ضد مفهوم الصداقة و
الأخوية . فالأخوية نسبية , و الحب مطلق !

قابله بالعناق ثم قال حسن :

كم أشتقت لرؤيتك يا شيخ !

فيجيبه :

ليس أكثر مني !

فيتوددان لبعضهما قليلا , سيرا علي الأقدام ذاهبين الي منزل الشيخ
محمد . المائل – تماما – أمام منزلهم , فيقرر حسن الوقوف أمام بيت
العمارة الخاص بالشيخ محمد , و يجري مكالمة كانت في الاتفاق
المسبق مع زوجته , وضع الهاتف المحمول علي اذنه و ظل في
انتظار الاجابة , فسمعها تقول :

انا قادمة !

ثم يغلق الهاتف معها و يق في الانتظار , و كان الشيخ محمد يقف بجانبه هو أيضا معه , كظله و كشخص قريب له في هذه المدينة و بالأخص في ذلك الشارع , ثم ما يلبث الوقت أن يفر من بين أقدامهم و تأتي " نيهال " تحمل يوسف في يديها , و بين أمان ذراعيها , تقبل عليهم بابتسامتها المعهودة , عند الاستقبال , أو مجرد اظهار للترحاب الشديد كعادة – المصريين – رغم أنها تكن في القلب مدمومة , الا أنها يقع تأثيرها علي الآخرين كمفعول – البيتزا – علي الناس !

قالت نيهال و هي تشير بيدها للأمام :

هيا بنا !

ثم يقول حسن :

هيا !

و يسيران ثلاثتهم صعودا في ترحاب من الشيخ , بالطبع لأنه شيخ , و لكن هناك فارق في هذا الأسم . فهناك شيخ " زنديق " , و هناك شيخ " صوفي " , هذا بالتأكيد يعتمد علي فطرة القلب و و التأسيس منذ نعومة الأظفار , اما بالخير أو بالشر . وصلوا الي باب المنزل , فدفل الشيخ قبلهما و دعا لهما بالدخول – سماحة – فيدلفان ثم يغلق الباب من خلفهما , يتقر بهم الحال علي كراسي مرصوفة في دائرة ,

كراسي متوسطة في الحجم , لونها ذهبي , الخشب صلد و متماسك ,
لم يكسر بعد !

ثم يبدأ الشيخ محمد قائلا :

ان هذه الزيارة لتتلج الصدر يا حسن !

فيجيب بابتسام :

بارك الله فيك يا شيخنا العزيز .

ثم تقول نيهال متدخلة :

أين هي زوجتك يا شيخ محمد !

فقال :

قادمة الآن !

تبادلت الأحاديث حتي دخلت عليهم , ممشوقة القوام . تغطي جسدها

بـ " طرحة " تغطي رأسها بالكامل , ثم تقترب للجلوس بجانب زوجها

, فتبدأ الكلام :

أشكرك كثيرا علي تلبيتك للدعوة !

قالت نيهال :

لا شكر علي واجب .

ثم أردفت :

لماذا طلبتي اذن أن نتقابل ؟

أجابت بتهدج :

هل يمكن أن نكون علي انفراد , لنتكلم قليلا !

قالت نيهال :

حسنا كما تريدین !

فتأخذ بيدها و تدلفان الي غرفة منزوية في أحدي بقاع ذلك المنزل ,
تجلسان علي سرير متوسط في الحجم لا يتسع لأكثر من اثنان علي
الأقل . لها و للشيخ محمد فقط . اقتربت منها قائلة باضطراب :

هل تعرفين الطيبة عائشة !

فقالت متسائلة :

عائشة عبد الرحمن , الطيبة في مستشفى " السعودي الألماني " !

أجابت بسرعة :

نعم , نعم هي !

ثم تكمل :

هل تعرفينها !

فأجابت :

هي التي أجرت لي الولادة , ولادة يوسف !

فقالت :

أنا سأذهب اليوم لمقابلتها !

قالت " نيهال " بقلق :

لماذا , هل هناك شيء !

أجابت :

أعتقد ان هناك حمل !

فهل وجهها و هي تقول :

هذا خبر سعيد , مبارك عليك هذا المولود الجديد باذن الله !

لم تبتسم , فقالت :

لكن هناك شيء أخذه , قد يكون هذا هو السبب الرئيسي في عدم

وجود هذا الجنين في حياتنا !

قالت نيهال :

ما هو !

فقالت :

سرطان الرحم !

تابعت عيناها الدامعتان , و لا تصدق أنها لديها مثل ذلك " السرطان "

, قالت نيهال :

ماذا , سرطان !

أجابت :

نعم .

أغلقت عيناها بدموع بدأت في السكوب علي وجنتيها , خجلا و الكثير من جرعة الندم و الحسرة , المشاعر الأليمة توخر قلبها بالكثير من الابر الحادة , فتسبب له الكثير و الكثير من الأوجاع , و الالهات التي لا تحتمل علي الاطلاق , و لكن – طبيعة القدر – تغلب كل شيء .

ظلت نيهال تنظر لها لوقت طويل , و هي تكاد تنضم لالامها في البكاء , و عينيها التان تأبيان الا أن تفرزان الدموع و الأحزان بكثرة تمتد الي السيلان , في أجزاء الوجه المتفرقة , و البعض يتسرب فيسقط علي الفراش , مسببا نقطة للذكرى الألم علي قطعة القماش تلك , لا تدري هذا الألم . ليس شعورا لتحطي به كما هي تعيش معه في لحظاتها تلك . لكنها قطعاً لا تعرف كيف هذا الشعور . و معرفة بأن السرطان جزء منك معرفة " محرمة " !

قالت نيهال و هي تربط علي كتفها :

الصبر يا عزيزتي في تلك الأوقات . الصبر دائما ما يفلح !

ثم أردفت :

الصبر أفادني كثيرا حين كنت في لحظات الولادة , و ذكر الله الكثير
هو ما سيزيح باذن الله هذا المرض اللعين من جسدك . و الله علي كل
شيء قدير , ثم الا تعلمين أن الله هو الذي خلق لك جسدك و يعلم كل
كبيرة و صغيرة فيه , و من المستحيل أن يتركك الله هكذا ولا يشفيك
مما أنت فيه , طالما أنت تعبدينه فهو سيظل معك !

فأجابت و الدموع في عينيها :

أنا أعبد الله و له الحمد, و لكن ..

أردفت بتقطع :

سترك يا الله !

كم من دعوات من تلك , تفرج عن أناس كثيرين الكروب , و تبعد
عنهم المصائب , التي لا تلبث الا أن تعطي للمريض , أو من تعرض
لها , الا بحفنة من هذا المرض , فتعطي له ما يسمى بـ " جرعة
الموت " , الموت الإكلينيكي في حضرة المرض . حالة لها فرادتها
بين جميع الحالات .

فأجابتها من جديد :

فقط أصبري .

ثم أردفت :

و متي ستذهبين لاجراء تلك الفحوصات !

أجابت بتنهد :

عصر اليوم !

قالت :

سأتي معك !

قالت :

ولكن زوجي قد قال لي بأنه سيأتي معي !

قالت نيهال :

قولي له بأنني أنا من سيذهب معك , و سأتولي أنا تلك المهمة في

الحضور مع الطيبة .

قالت و هي تقوم من علي السرير :

حسنا , سأقول له .

ثم أردفت :

الان هيا لنخرج و سنقول له , و نري رده !

تمتت قائلة :

حسنا .

غادرت معها الغرفة و أقتربا من غرفة الاستقبال التي يجلسان فيها ,
فكان صوتهما يصدح بالكلام بين حوائط تلك الغرفة . كصدي بالغ
الأثر , دلفت بشكل مفاجيء عليهما و نظرت للشيخ محمد و قالت :
أريد أن أحدثك في موضوع ما !

أجاب :

أي موضوع !

قالت :

فقط تعال معي و سأقول لك !

وكانت تقترب ط نيهال " للجلوس بجانب زوجها , قال الشيخ محمد
مشيرا الي حسن :

دقائق و اتي لك ! قال حسن :

تفضل !

فدلفت معه الي الغرفة

, فأشارت بيديها بأن يجلس فجلس بجانبها , و بدأت الكلام :

نيهال ستأتي معي للذهاب للطبيبة اليوم !

قال :

لم ؟ سأذهب أنا معك !

قالت :

هذا أمر خاص بيننا .

ثم أردفت :

لذلك أطلب منك أن تدع نيهال تذهب هي معي !

فكر قليلا ثم قال :

علي كل , حسنا !

ثم أردف :

سأجلس أنا و حسن هنا في انتظاركما حتي تأتيا !

أجابت بتنهدي :

شكرا لك يا محمد !

غادر الغرفة و تركها تعد الثياب , و ترتدي ما كان نظيفا قبل الذهاب

الي المستشفى , الوقت قد أتي للذهاب . لقد أصبحت الساعة الثالثة

عصرا , سمعت صوت سيارة الاسعاف الخاصة بالمستشفى من أسفل

, فخرجت مسرعة تمسك نيهال من يدها , و قالت :

هيا , لقد أتوا !

و كان يوسف معها دائما , لا يفارقها أبدا , لا تحب أن تتركه , تعلقت به و تعلق هو بها أكثر , و تعلق في ذات الوقت بحليها أيضا – كجميع الأطفال - .

نزلت معها الي الشارع و أستقلت في سيارة الاسعاف بجانبها , حتي وصلا الي المستشفى . في الموقف الخلفي كانا يهبطان . و زوجة الشيخ محمد , محمولة علي " حامل الحوامل " , مثلما كانت نيهال تحمل عليه في السابق . منذ أسبوعين تقريبا , لم يدم الكثير علي هذا . و أقتربا بها الي المستشفى , مرورا بالاستقبال وصولا الي غرفة خاصة في الطابق الثاني في المستشفى , جلست بجانبها لولا تنتظر قدوم الطيبة . و بعد لحظات أتت الطيبة و في عاداتها , بارتداء الثوب الأبيض الحريري . المسترسل علي سائر جسدها , أقتربت لتجلس علي كرسي في مواجهتها , بجانب الفراش التي تجلس عليه .

لاحظت و جود " نيهال " فقالت بابتسامة :

نيهال حبيبتي , كيف أخبار ولدك الصغير !

نظرت له و قالت :

بخير و في أفضل حال !

قالت :

أتمني من الله أن يظل بخير !

ثم قالت لها و هي تنظر الي " زوجة الشيخ محمد " :

ما الذي جاء بك الي هنا اذن !

فأجابت :

هذه زوج صديق زوجي , لذلك أتيت معها اليوم لأنها قالت لي بأنك

من ستجرين لها تلك الفحوصات !

أجابت بود :

لقد أسعدتني بمجيئك !

و أستمرت الطبية في فحص منطقة البطن , و التأكد من عدم وجود

شوائب في تلك المنطقة , قالت الطبية :

هيا بنا للضهاب الي غرفة الكشف !

و نظرت الي " نيهال "

و قالت :

فلتبقي هنا الي أن نجري الكشف !

تمتت قائلة :

حسنا , سأنتظركم !

فقامت من علي فراشها , و سارت مع الطبيبة خارجة من الغرفة و الباب يغلق بهدوء . و الطبيبة لم تعد تتواجد أمام ناظري نيهال , سارت في طريق الردهة الي غرفة الكشف . فتحت باب تلك الغرفة و دلفت الطبيبة و في يدها " زوجة الشيخ محمد " و أجلستها علي كرسي , معد للفحص " المهيلي " , جلست في انتظار قدوم الطبيبة , أقبلت الطبيبة عليها و قالت :

فلتذهبي خلف هذا الستار , و تزيلي الملابس لنجري الفحوصات !

قالت :

حسنا !

ثم سارت متوارية خلف هذا الستار , و عادت للجلوس مثلما كانت منذ قليل , ممددة ظهرها و ساقها معلقتان علي قضيبين حديدين في ذلك الكرسي , و ما هي الي لحظات حتي أجرت الطبيبة الفحوصات اللازمة ثم قالت لها :

قلتي بماذا تشعرين ؟

فقالت :

أشعر بالام حين أقضي حاجتي !

فأجابت الطبيبة :

في أي الشهور أنت في الولادة !

أجابت :

الشهر السابع .

أجابت بقلق :

الشهر السابع !

و كأن الذكريات تتدفق بقوة علي عقلها , فأجابت :

نعم في الشهر السابع أهنالك خطب ما ؟

قالت :

لا , ولكن ...

ما زالت تدفعها تلك الهواجس و بقوة , تثري فيها شيئاً كان مدفوناً منذ

أيام , لم تتذكره الا بعلامة مميزة , الشهر السابع , الام , نزيف , تلك

الأسباب كما حدثت من قبل , ما زال ظلها في قلبها يبرحها ألماً كلما

أقتربت من تذكرها !

سألتها " الزوجة " :

و لكن ماذا يا طيبة !

أجابت بعد أن هدأت :

لا شيء .

ثم أردفت بعد أن عادت لتتظر إليها :

لا شيء لديك سيء , هذا نتاج طبيعي فقط للحمل .

ثم أردفت :

لا تخافي من هذا .

قالت :

شكرا لك يا أيتها الطبيبة !

أجابت :

و الان سأعطيك فقط بعض الأدوية , ستحسن من حالتك !

قالت :

حسنا .

ثم قامت الطبيبة و قالت :

و الان هيا فلنعد الي الغرفة الأخرى .

تمتتم و أرتدت ملابسها من جديد , و تبعتها الي الغرفة الأخرى ,

كانت نيهال لا تزال تجلس فيها حتي حين وقع ناظريها علي القادمين ,

شذب وجهها و قامت لتتأكد من الموقف , و سألت الطبيبة و هي

تقترب من الجلوس و أمامها " الزوجة " :

ما أخبرها !

قالت الطيبة :

بخير , فقط سأعطيها بعض الأدوية !

فقالت :

حمدا لله !

ثم نظرت اليها علي الفراش , و قالت :

هل أطمئن قلبك الآن ؟

أجابت :

قليلا . لا يزال في قلبي بعض الشكوك !

قالت :

أزيلي فقط كل هذا , و ستتحسن حالتك !

أجابت :

سأحاول !

و ظلت تنظر للسقف , و كأن هناك شيئا يحيط بها في الأعلى , لا يلبث الا أن يداعبها بين الحين و الآخر , و لكن طبيعة الحال أن كل تلك الشكوك ما هي الا نتاج لمرض ما أو علة , جعلت الخيال حقيقة , و جعلت الشكوك هيئة لها زمان و لها مكان , كل ذلك مبعثر و كأنه

عرض أمام مقلتي عينيها التي لا تلبث الا أن تحلق إلي أفق الخيال , و
مياهم ما خلف الجدران و الحوائط ! ثم قالت لها الطيبية :

بإذن الله بعد أسبوع ستأتين لنفحصك مجددا , و علي لقاء بأنه سيكون

يوم ولادتك !

قالت بعد مبالاة :

إن شاء الله !

ثم قامت " نيهال " تخطو نحوها , و تساعدتها في القيام و الخروج من
الغرفة , تمسك بيدها جيدا , ولا تتركها حتي دلفوا من تلك الغرفة و
غادروا نزولا علي درج السلم , كانت لا تزال الطيبية تجلس و في
يدها ورقة ما , أمسكت بقلم كان في جيبها , و بدأت في الكتابة .

(3 = 4 - 7) , ثم قالت بحزن لنفسها :

تبقي ثلاثة أيام فقط , يا للمأساة !

و أدخلت تلك الورقة إلي جيبها , و غادرت الغرفة و معها تم إغلاق
الباب , و الصمت كان هو الحدث الرئيسي في تلك الغرفة , لا أحد
فيها , لذلك هي معدمة الآن لحين إشعار آخر !

أقتربتا من الخروج من باب المستشفى , هائل الحجم ذاك , و كانتا في الخروج لا تزالا معلقتان اليدين مع بعضهما , لا تترك كل واحدة منها الأخرى , رغم حزن شخص منهما بشيء ما لا يزال يجهله , و الآخر يهدأ من روعه . الا أنهما لا زالتا ممسكات بيدي بعضهما البعض . حتي أقتربا من الشارع الرئيسي . في انتظار سيارة تنقلهم الي المنزل مباشرة , لحظات و قدمت سيارة من بعيد و استقلاها و في غضون دقائق . لأن الطريق لم يكن مزدحم , وصلن الي الشارع . علي الب دراوي و سرن حتي وصلن الي العمارة الكبيرة , كما كانا فيها من قبل , صعدن علي درج السلم و دلفن الي المنزل من جديد , نظرن في غرفة الاستقبال فكانا لا يزالان يتسامران كالعادة , فأقتربت " نيهال " لتقول :

السلام عليكم !

رد حسن :

و عليكم السلام , كيف كان الفحص !

أجابت :

جيذا ليس به عائبة !

و أقتربت لتجلس بجوار زوجها , و جلست " الزوجة " بجوار الشيخ محمد , و لكن عينيها كانت تعطي لمحة أخرى , غير السعادة , بل هي الضد !

قال الشيخ محمد :

و ماذا قالت لكما الطيبة !

أجابت " نيهال " :

ستعطي لها بعض الأدوية !

فقال مجددا :

وماذا بخصوص الحمل !

ثم أردف :

متي سيكون باذن الله !

أجابت زوجته تلك المرة :

بعد أسبوع !

تلك الكلمة , أسبوع , تثير الشفقة للغاية , و كأن الأسبوع هو رمز

لشيء آخر , شيء خفي , ملك الموت , أو الموت بذاته , لا أدري !

فكان حسن هو الآخر في عالم لا ينتمي للواقع , تذكره ذاك لكلمة " الأسبوع " ذكره ذلك بأنه قد تبقي ثلاثة أيام فقط , بلا أي زيادة أو نقصان !

قال حسن :

مبارك باذن الله !

ولم يكن ليبتسم , لعلم كان محفورا في رأسه , فقط ثلاثة أيام .

أجابت بنفس النبرة :

شكرا لك !

ثم قالت " نيهال " و هي تقوم من علي الكرسي :

هيا بنا يا حسن الان !

فتبعها حسن :

نستأذنك يا شيخ محمد !

فأجاب :

أشرك علي هذه الزيارة , علي أمل حدوثها من جديد !

قال :

بالطبع .

غادر و معه نيهال , أرتديا الحذاء , كل له مقاس , و أمسك بمقبض الباب قبل أن تدلف نيهال لمن أمامه , و أغلق الباب بهدوء . كان يسير مع نيهال و يحدثها عن كل ما حدث معهم في تلك المستشفى , و مع تلك الطيبة , فكانت تجيب :

انها طبيبة ماهرة للغاية , حقا أحمد الله علي أنها هي من قامت بتوليدي في هذا اليوم .

فيجيب :

الحمد لله !

مضي الوقت , فكانا أمام باب منزلهم و جعل " يوسف " يبكي , كان صوته في كل مكان في تلك العمارة , هناك جيران في كل مكان من حولهم , فأسرع حسن بفتح الباب و الدخول و أغلق خلفهم الباب بقوة , و كانت أمسية تمر مثل سابقتها من الأمسيات , جلسا علي الفراش بعد تناول وجبة خفيفة , أثلجت معدة حسن التي تتضمر جوعا ولا تكف , ولكنها كانت تكفي حقا .

دار حديث بينهما في تلك اللحظات , فأختتمه قائلا :

هل ننام الان !

قالت بابتسامة :

أجل فلننم .

أستلقي حسن علي زهره ينظر لأعلي و كان يوسف بجانبه , في نوم عميق لا يدري أو يدرك شيئاً من حوله , غافلاً كان و نائماً محترفاً , يتفقد حسن ظلاماً دامساً في السقف , و كأنه يخرج شحنات كانت تمثل الحزن , ولكن الآن لا تمثل شيئاً عنده , خرجت كطاقة سوداء أصبحت تتبدد أمامه و لم يعد لها وجود , ثم يلقي بجسده تجاه اليمين و يبدأ في اغلاق عينيه تدريجاً , حتي ينم هو الآخر – كالعادة – بسرعة الصاروخ .

لا صوت في تلك الغرفة , فقط الهدوء . مع اشعة الشمس علي بساطها , و تخللها بين جفون النائمين , و بقسوة , الضوء لا يلبث أن ينفذ الي المقل أيضا ان أمكن ذلك ! فيثير حساسية الاستيقاظ في أعينهم , عقولهم , و أقرب الي قلوبهم تلك . ضوء شارد و أحيانا يتجمع علي شكل كريات صغيرة تظهر غبارا كثيفا في أرجاء الغرفة , و كأنها لم تنظف منذ فترة , لكنها بفضل الهواء و الغبار معا إن جاز التعبير .

أستيقظ " حسن " أولا , قلوبهم جميعا – كالعادة – و كأنه هو الأكثر ليونة في التعامل مع ذلك الضوء النافذ من ثقب الشباك العريض أمامه مباشرة , هذا سبب يجعله يستيقظ أولا , فيبسط قدميه علي الأرض و يهبط بتثاقل , ثم يسير صوب المرحاض , يقضي ما في معدته , من طعام . ماء الخ , كل ما في البطن فهو سيخرج . في عملية مقتضبة جدا , ثم ينتهي منها مبكرا و يخرج ووجهه أصبح أكثر اشراقا من ذي قبل , أو منذ وقت قصير . توجه الي زوجته " النائمة " و قال :

حان وقت الفطور ؟

فتجيب بتكاسل :

حسنا !

فتقوم في خضوع و لكنه في النهاية رغبة , لأن أشعة الشمس بدأت في النفوذ اليها هي الأخرى , و بدأت تضايق عينيها . لذلك لم يكن هناك سبيل سوى الهروب منها .

أنتهت سريعا من اعداد الطعام و جلسوا سويا علي مائدة واحدة , مائدة لا تزيد عن " طبق فول " كوجبة رئيسية و " بعض المخللات " كأطباق ثانوية لفردين فقط , و لثلاثة حين ينضم الصغير الي مائدتهم العائلية , مضيفا فردا و مضيف بعض الطعام , وجبات رئيسية , وجبات ثانوية .

الطعام فيما يختلف عند " نيهال " و ذوقها و مزاجها الفني في الطهو , و الاعداد الصباحي لتلك الوجبة , المعتادة , لا يتطلب سوى مكونات صغيرة , فول , خيار , و بعض أنواع أخرى من الخضروات و تمزج مع بعض و تعطي ذلك الخليط " المصري " خالصا لكل متذوقيه و مريديه , و عشاقه أيضا في كل بقاع الجمهورية . فينتهي – سريعا – مثلما بدأ , و يزال من علي المنضدة و يتفرقون حاملين الأطباق الي المطبخ المجاول لهم , السير قليلا للوصول ووضعها في تراص ليتم غسلهم عما قريب . فأقتربت " نيهال " تغسل الأطباق , و كل ما تم تركه و هجره أثناء الطعام و تخزينه لحين الحاجة له مرة أخرى ,

الغداء , العشاء أيهما أقرب ليتم الاستفادة منهما , بعض الصابون و قطرات الماء ستفي بهذا الغرض تقريبا , و لكن كان هناك شعورا مغايرا في تلك اللحظات , كانت تشعر بحركة غير طبيعية في معدتها , و كأنها تريد أن تتقيأ و لكن ليس لديها رغبة في ذلك , تناقض لا سيطرة فيه , فهي و جسدها – كالعالبية – بلا تحكم , لذلك كانت تشعر بالام رهيبه تزداد كل ثانية , لم تتحمل الوقوف فجلست علي الأرض ممسكة ببطنها , و كأنها أحست بعدم القدرة علي الحركة فسقطت ساقيها ممددة علي الأرض , ليس هناك طاقة لترفها مجددا , و لكن كان هناك طاقة فيط للنداء , صاحت بكل ما لديها و ما تبقي لها من طاقة :

ياااااااااااا حسن .

صياح في كل أركان المنزل مسموع , و كان حسن يجلس مع " يوسف " في ذلك الوقت , حين هز جسده بواسطة صياحها , فأنتنفص راكضا تجاه المطبخ , كان قلبه يخفق و جسده ينتفض مع القرب أكثر من مصدر هذا الصوت , الذي من المؤكد بأنه يعاني و بشدة !

رأي بعينه جلوسها علي الأرض بلا حراك , ترفع رأسها لأعلي و كأنها تنتظر لشخص ما , أو كيان ما , و لكن لا يوجد أحد , ممدة الساق

, طريحة علي الأرض لا تصدر صوتا بالكاد , أقترّب حسن منها و
قال و هو يبكي :

ما , ما الذي يحدث ؟
نظرت له و قالت :

هل تري شيئا ؟
قال :

ما الذي تقولينه ؟
قالت من جديد :

هل تري شيئا ؟
أجاب بقلق :

لا , لا أري شيئا !
ظن أنها تخرف , فقالت :

هل لا تراه ؟
أجاب حسن :

أري من ؟
قالت و هي تبتسم :

ملك الموت !

تلك كانت صدمة قاسية حقا !!!

أجابها و هو يزدرد لعابه :

مل....ك الموت !

أجابت بهدوء :

ربما قد تكون اللحظات الأخيرة سعيدة و لكن هناك دائما ما قد يكون
أسعد من ذلك بكثير , تلك الدنيا ستموت هي الأخرى , هذا ما بلغت به
من ربي و ما كان ربي ناسي وعده أبدا , ذلك قضاء الحق .

ليته لم يراها بهذا الشكل !!

أجاب وهو يضع بيده علي جبينها :

ماذا تقولين يا نيهال , ليس لك الحق في أن تموتي اليوم . الموت
ليس للشباب مثلك , أنتي ما زلتي في بداية أن تكون أما , ليس من
المعقول أن تموت الآن .

أجابت و في نظرتها دموع :

من قال أنني لن أموت الآن !

أجاب :

أنا .

أجابت :

اذن أنت تكذب .

من الصعب الفراق , قاسي في بدايته !

أجابها :

هل تقولين بأن زوجك يكذب عليك !

ثم أردف :

كيف تقولين هذا !

قالت بهدوء :

ملك الموت لم يقل لك شيئا !

ثم أردفت :

لتجزم بأنني لن أموت الآن !

و الابتسامة كانت لا تفارق شفثيها , و صراخ يوسف من الداخل أيضا
يعلو صوته , صوت مزعج و زوجته بهذا الشكل , كيف تلك
المصاعب في وقت واحد , هذا قد يكون أشد عقاب قد يحظي به في
حياته .

صاح حسن :

أسكت قليلا يا يوسف !

ولكن لم يسمع يوسف لأبيه , ببساطة لأنه طفل !

قالت نيهال :

دعه ينطق كلمتاه الأولى !

سمع حسن يوسف من الداخل يصيح مجددا , و لكن سمع وقع كلمات
فأنصت :

بابا , بابا !

يوسف الصغير صار ينطق !

قالت نيهال بهدوء :

هو يناديك يا حسن , هلا تأتي به قليلا ليجلس معنا في هذه الحالة ,
ليتعلم من المأسي قليلا , لأنني الان بدأت أظن بأنه لن يحيا حياة كريمة
!

قالت بغضب :

لا , باذن الله سيكون في رعايتنا !

أجابت بهدوء :

في رعايتك !

ثم أردفت :

هل تأتي به قليلا لأجلس معه لنتحدث سويا .

قم من مجلسه متوجها الي الداخل , و كان يوسف لا يزال كما وضعه
أبيه علي الفراش , يصيح و يبكي معا , لاحظ الصغير اقتراب ابيه منه
, فاجأه قائلاً بصوت طفولي :
بابا .

كانت تلك بمثابة أجمل " بابا " سمعها في حياته , لربما لندرته , أو
لأنها عنصر جديد في قاموسه اللغوي . قال و الدموع تنهمر من عينيه
و لا يمتلكها :

هل تريد ماما !

نظرات الطفل مستمرة , فقال مجددا :

بابا , بابا !

فقال بدموعه :

ستأتي الي بابا الان !

سار به خارجا وصولا الي المطبخ , أقترب من " نيهال " و قام
باعطائها يوسف , فهدأ روع الفتى قليلا لعلمه بأنه لا يزال في حضن
أمه , و قد مر وقت طويل و لم يجلس تلك الجلسة لذلك قد كان سعيدا
أيما سعادة , قال حسن :

أتريد بابا , ها أنت تجلس بجانبه !

فأجابت :

يبدوا أنه يحبك !

ثم أردفت :

كما قلت لك من قبل , أتذكر !

فأجاب :

لقد قلت لك , لا أتذكر الكثير من الأشياء !

ثم أستطرد :

و هو كان يريد بابا , فأحضرتة مباشرة اليك . عسي أن يهدأ قليلا !

قالت :

هل أقنعتة فلعا بأنني بابا !

أجاب :

هو أقتنع تلقائيا بهذا , ألا ترين أنه سكن ولم يعد يبكي هذا أكبر دليل

علي أنه كان يقصد بالتأكيد " ماما " و ليس " بابا " .

أجابت :

كم سأشتاق اليك !

قلبه كان كأنه يوخز ابرا , بعد أن نسي ذلك المصير , عادت لتذكره به مرة أخرى , و بجرعة من السلبية المكثفة , لتجعل القلب يبكي و ينهمر أيما بكاء .

قال حسن :

هل لا زلتي مقتنعة بأنك شاهدت ملك الموت اذن !

نظرت له و قالت :

لقد رأيته مرتين و أنت لم تزل غير مقتنع !

ثم أردفت :

ألا تتذكر !

سؤال يتردد : هل ملك الموت يمزح مع من يأخذ أرواحهم ؟

أجاب :

أتذكر جيدا , في المرة الأولى كنت تقولي لي قبل الولادة و الآن أنت

تقولين لي علي الأرض , حالك عجيب !

أجابت بهدوء :

ليس حالا عجيبا فقط , بل نادرة !

ثم ابتسمت كعادتها , تنظر له و تأكد له بأن كل شيء كما أعد أن يكون

أو كما أتفق – ملك الموت – علي فعله , في وثيقة قبل أن يقدم حسن

حتي الي تلك الحياة ليجلي تلك الجلسة و يحدثها عن – ملك الموت –
الذي لا يعرف عنه شيء البتة !

ثم أردفت :

أتدري أن الشعور بأنك قريب من شيء ما , قد يكون شعورا مقبها
لك . ولكنه لمثلي هو شعور اطمئنان و راحة !
أجاب :

لأنني لم أر ملك الموت بعد !

أجابت بهدوء :

بالضبط .

لا تزال تحمل يوسف في يدها , فشعرت بازدياد في الألم , و تاوهات
مرحقة في أضلاعها . فكانت تحاول اصدار صوت بهذا الجسد –
المترهل – أو – الساقط – بمعنى ادق , و لكن يوسف يقبض علي
جسدها بقوة فلا سمح لها بالتنفس المنتظم حتي . حتي قدرت علي
استعادة أنفاسها , و صاحت في حسن :

الي المستشفى يا حسن , الان !

قال بارتباك :

لماذا ؟

قال :

هي الان , لا استطيع التحمل أكثر من هذا , الطيبة تعرف أكثر عن
حالي تلك !

أجاب :

سأتصل بسيارة الاسعاف الخاصة بهم لتأتي لأخذك من هنا !

قالت بنحيب :

أسرع من فضلك !

هرع الي الغرفة , كان التليفون موضوعا في مكت قريبا من الفراش
الخاص به , فأسرع نحوه و جلس و هو يضغط علي زر الاتصال بهم
, كان رقمهم لا يزال محفوظا في ذاكرته , لذلك كان من البديهة أن
يضغط علي الاتصال مباشرة لينتظر الرد من أحد الموظفين و هو
يقول :

مرحبا بكم في مستشفى ال —

لم يمهله و قال :

حالة طارئة في شارع الب دراوي , بسرعة !

ثم أغلق مهم المكالمة , و سمعه يقول :

قريبا و سنكون عندك !

كأنه بلاء بالصبر و الانتظار الي أن يأتوا , فأسرع ليطمأن في الخارج
علي زوجته , كانت كما هي و لا تتحرك فأمسك بيدها الهشة , كانت
ضعيفة جدا , و لا تتكلم . صار يقول بقلق :

نيهال , نيهال , أفيقي !

فتجيب بعينين مغلقتين :

سأظل معك الي أبد الابدین !

قال بارتباك :

و لكن هل سأظل أنا معك ؟

أجابت :

فليحفظك الله , الله أبتلاني بهذا التعب , لذلك لا أعرف كيف أنجو منه
. علي كل سأري ماذا تقول لي الطيبة , أري أننا قد ذهبنا مبكرا قبل
الذهاب اليها بعد ثلاثة أيام , لقد أستعجلت يا لبأسي !

ثلاثة أيام مرة أخرى !!!

رمز التعاسة في العالم , قال :

ما رأيك بأن الطيبة قالت بأنك ستصبحين مثل الحصان بل أقوي منه

حين تذهبي لها بعد ثلاثة أيام !

أجابت بابتسامة قبل أن يسمع صوت رقع الباب بقوة :

كانت تكذب !

رفع الباب أقترب من الأذان , معلنا قدوم رجال تلك المستشفى حاملين في أيديهم ما يسمى بـ " الحامل " , و أقتربوا منها و هي ممددة علي الأرض و وضعوها في داخل ذلك الحامل , و أخذوها معهم هرولة و حسن يهرول خلفهم أيضا , و كان قد أخذ يوسف في يديه , فقد كان يلح كثيرا بكلمة " بابا " , و لسانه يبتلع بها ريقة في ثوان , ثم يقولها . علي رواق السلم كانوا يهرولون وصولا لأسفل , في الدرهة الواسعة حاملين " نيهال " معهم , حتي أخذوها و وضعوها في الخلف و كان حسن مجاورا لها في كل الأوقات , و أرتفع صوت جرس سيارة الاسعاف الشهير معلنا الابتعاد من المنزل , و لكن صداه لا يزال يتردد في الشارع , و مسموع علي كافة الأذان بصورة واضحة بتقنية " أتش دي " , نقاء عالي و صوت مزعج !

في الطريق لا يزال بجانب زوجته , و هي ليس بها لون يحدد طبيعة بشرتها , و كأنها خالية من اللون , أو احدي الصبغات التي تحدد لون الجسد من الخارج , الدم يكاد لا يتدفق أصلا في جسدها , و لكنها لا تزال علي قيد الحياة , فيحاول حسن تهدئتها – كالعادة – مرددا :

((و الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله و انا اليه راجعون * و
علي ربهم يتوكلون * أولئك عليهم صلوات من ربهم و رحمة و
أولئك هم المفلحون))

ظل يرددها علي مسامعها , يتلوا لها آيات تشفي , و تسيل الدم الراكد
في العروق , و تلهم الكثير و الكثير بالمعاني , تعطي أكثر ما تأخذ ,
لذلك القران الكريم هو عطاء و ليس مانع , هو مانح و ليس راغب ,
هو محفوظ , و ليس منسي !

آياته في القلوب و ليست في الصدور .

متعلق بالمؤمنين و المسلمين , كثيرا كالحب !

في الطريق المحاط بالسيارات , عربة الاسعاف تقتحم زحام الطريق
الي المستشفى , أقتربت منها . حتي كانت في موقف السيارات في
الخلف , و أنزلوها من السيارة و حملوها وصولا الي صالة الاستقبال
ثم الي الطابق الثاني في غرفة خاصة , معها حسن يجلس في جوارها
. قالت أحد الممرضات و هي تقف جوارها :

الطبيبة ستأتي بعد قليل .

تمت برأسها فقط !

فتحركت خارجة من الغرفة , و عبد لحظات دخلت الطيبة عليهم ,
تنظر الي " نيهال " و كأنها قد أعتادت علي زيارتها لهذه المستشفى , و
لكنها أتت مبكرا تلك المرة عن الموعد المحدد , أقتربت من السرير
الخاص بها , قالت لها واطعة يدها علي جبينها :

بماذا تشعرين ؟

قالت نيهال :

أشعر بالام في المعدة . و كأن العظام تكسر !

ثم أردفت :

كنت في المبخ أقوم بغسل الأطباق , حتي سقطت علي الأرض و لا

أستطيع الحركة اطلاقا !

قالت الطيبة :

خير ان شاء الله .

قالت نيهال مجددا :

لا أكاد أشعر بجسدي يا دكتورة .

أجابت :

خير ان شاء الله .

و قامت بازالة الغطاء من منطقة البطن , لتري كيف حالتها . و ما ان
أزالة الغطاء حتي رأت بقع دماء تأتي من أسفل , و كأنها جديدة و لا
تزال تزيد رقعة الدماء تلك , فعقدت حاجبيها باستغراب , و جعلت
تنظر اليها في تركيز , فقررت ازالة الغطاء " السفلي " أيضا , لتجد
بقع دماء كثيرة متناثرة هنا و هناك , صاحت " نيهال " بصوت عالي
:

اااااااااه .

لم تسمع لها الطبية و لكن ظلت في تركيز تام علي الدماء , من
غزارتها و لونها القاني جعلها كأنها في حالة " تنويم مغناطيسي " لا
تنتهي منه , رغم أنها طبية و رأت الكثير الا أن غزارة الدماء مشهد
بالنسبة لها غير مستحب , ولو كانت هي الطبية !

أستفاقت و خرج بسرعة من الغرفة و أقبلت و معها ممرضتان
تساعدانها ف يوقف نزيف الدماء , بوضع قطعة قماش علي منطقة
افراز لك الدم . المهبل . لقد كان ينزف و بغزارة , قطعة القماش كانت
سميكة لمنع ذلك التدفق , ولكن لم توقف صيحات " نيهال " :

أشعر بأن عظامي تنهش !

ثم تكمل :

تتكسر !

من جديد :

ألم رهيب !

لا تتوقف :

أااااه !

مرات كثيرة :

تبا لك يا دكتورة !

لا فائدة :

أوقفي هذا الألم !

ثم :

كيف دخلتي كلية الطب ؟؟

ولكن الطبية كانت تسعى , جهدا مبذولا لم تبذله من قبل , فلها الحق في أن تتقن ما تصنع و ليذهب المريض للجحيم في سبيل علاجه , و في الغالب لا يشعر المرض بأنه مفيد لهم , الامهم تغييبهم عن الواقع , تجعلهم محاطون بتكسير العظام و الأوجاع المتكررة , و نزيف الدماء المتكرر سواء من أعلي أو من أسفل , لذلك تتركها تفعل ما تشاء , فهي مغيبة !

أبتعدت عن قطعة القماش هي و المساعدةتان , كانت قطعة سميكة ,
تكفي لتوقف أشر النزيف , و بالفعل بدأت حالتها بالاستقرار قليلا , و
لم تعد تصرخ فيهم كما كانت تفعل منذ قليل , فأقبلت عليها و قالت :

كيف تشعرين الان !

أجابت وهي تنظر بارهاق :

لست بخير !

فأجابت - كالمعتاد - :

ستصبحين بخير ان شاء الله !

ثم نظرت الي حسن و قالت :

يجب أن تبقي هنا لنتابع حالتها !

وكانت " نيهال " مغلقة عينيها , فأشار لها حسن بيديه .

ثلاثة أيام فقط !

قالت الطبيبة بصوت واضح :

ستبقي هنا لمدة ثلاثة أيام يا أستاذ حسن , حتي نطمأن عليها !

شعر بأنها لم تفهمه , ثلاثة أيام ولن يراها مجددا , هو يريد أن يبقي
معها .

قال حسن :

يومين فقط !

قالت الطيبة :

كما تشاء .

قال حسن :

شكرا !

شرعت في الخروج من الغرفة , و قبل أن تغادر نظرت لحسن و

قالت :

يومان كما قلت !

قال بصوت منخفض :

نعم .

ثم غادرت تاركة له الغرفة , و تبعثها الممرضتان . مثلما كانوا مثلما

ذهبوا , عملهم صغير في تلك المستشفى , لكن يساعد جدا مع الأطباء

, كان الصباح لا يزال مشرقا في الأعلى , و انتظر حسن جالسا أن

تفريق زوجته ليتكلم معها , لكن بلا جدوي , كان يجلس و الأفكار

تلاحقه في رأسه , و عقله لا يفتأ عن التفكير بشدة . ما هذا النزيف ؟ يا

الهي لما يحدث هذا ؟ أسئلة يبدوا انها لذاته , يتحدث فيها عن أحزان

يظهرها علي لسانه الصامت , و يوحي لنفسه بايقاع تلك الكلمات حتي

من دون أن ينطقها , كان هذا من بؤسه , حزنه , لجلوسه بلا حراك
منتظرا الفرج القريب !

مر الوقت حتي بلغ المغرب وقته , و ظهر الظلام من بين خطوط
النهار , لقد جاء الليل بظلمته , فأشعلت المصابيح في الغرفة , و في
المستشفى بأكملها تجعلها كفيلة برؤية المريضة بصورة واضحة ,
أستغرق في نومه جلوسا فترة طويلة من الزمن . لذلك حين أيتسقط من
نومه جعل يتفقد في " نيهال " , كما هي , وجهها شاحب أبيض , لا
توجد دماء , و كانت القطعة القماشية الذي وضعوها لا زالت كما هي
, و الدماء تسكنها بوضوح . فاجأه اتصال يأتي من الهاتف , أخرجه
من جيبه فوجد " الشيخ محمد " يتصل به , أجاب قائلاً بتكاسل :

السلام عليكم يا شيخ !

فأجابه :

و عليكم السلام !

ثم أردف :

أين أنت يا حسن , لا أجذك !

قال حسن :

انا في المستشفى فقط , فقد مرضت زوجتي و ذهبنا بها الي

المستشفى صباح اليوم !

صوت الشيخ محمد تغير , فقال :

المستشفى !

أجاب حسن :

نعم , لقد مرضت بشدة !

قال :

و كيف هي أخبارها الان ؟

نظر حسن بتثاقل لوضعها المزري , ثم قال :

بخير !

إن الحياة لا تخلوا من الكذب " المسكر " !

فقال الشيخ محمد :

هل تريدني بأن أتي ؟ أحضر لك شيئاً !

نظر لوضعها المزري مجدداً , وقال :

لا , شكراً لك صديقي !

قال :

حسناً يا حسن , وداعاً !

قال بتكاسل :

وداعاً !

تلك الكلمة ليس بها أي روح !

أدخل الهاتف في جيبه من جديد , و جعل كما كان , ينظر و ينتظر ,
متي ستستفيق ؟ و متي سيتكلم معها ؟ ما هي إلا أيام معدودة , يومان
علي الأصح .

سمع صوت اقامة اذان المسجد يأتي من بعيد , فأفاق من غيبوبته و
قرر أن يصلي , كان هناك مسجد صغير راه في ساحة لاستقبال في
الأسفل , فتحرك من مكانه و أغلق الباب بهدوء و نزل عل درج السلم
, و أقرب خالعا نعليه أمام باب المسجد , كان مسجدا صغيرا فبابه لا
يتعدي طول حسن بالكاد ! أقبل في الدخول , و أتجه الي القبلة , في
خشوع و تواضع لربه , بدأ في الصلاة .

الصلاة مليئة بالأذكار , و هي في أصلها , في نواتها , الدعاء الي الله
و ذكر أسمه , و ترديده في الركوع تارة و في السجود تارة أخرى , و
في الصلوات محبة . فيها روح جديدة , مما تخلق انسانا آخر في
صلاته , ينما هو لا يزال فيها تتجدد خلاياه في كل اللحظات , و هو
يدعوا فقط . بأسم الله , و بالتشهد يختتم الصلاة , صلاة المغرب الحد
بين شق النهار و شق الليل , شق الضوء الكاسح و الظلام النائم .

أنهي الصلاة و صعد علي درج السلام , عائدا لغرفة زوجته , لم يكن
ليغيب عنها أبدا الكثير من الوقت الا للصلاة فقط . و بالطبع لن يترك
ملك الموت ليسلبها منه الآن و هو لا يزال ينتظرها , أقبل بفتح الباب
و نظر و هو يغلقه خلفه علي الفراش , رآها بالفعل بدأت تفيق قليلا ,
و تحرك جفون عينيها لكنهما لا تسعفانها في النظر , بمقلتيها
الجميلتين , التان لا يزال الم يتدفق فيهما و بقوة !

أقبل بسرعة عليها و قال :

نيهال , نيهال !

قالت بتهدج :

حسن , أين أنت ؟

قال :

أنا بجانبك هنا !

قالت :

و أين كنت ؟

فأجاب بسرعة :

كنت أصلي فقط يا حبيبي !

قالت :

هل تركتني وحيدة هنا !

قال :

كنت أصلي فقط !

قالت و بدأ صوتها ينخفض :

هل تركتني وحيدة هنا !

مرة أخرى :

هل , ترك .. وحيدة .. هنا

كان صوتها يقل بدرجة كبيرة !

قال حسن و هو يتحسس جبينها المتعرق :

ماذا تشعرين الان ؟

لا تصدر أي صوت !

قال من جديد :

نيهال , ماذا تشعرين !

أفاقت بعض الشيء و قالت :

ماذا !

ثم أردفت بنظرة الي حسن :

ماذا كنت تقول ؟

أجاب :

بماذا تشعرين الان , هل أرتحتي قليلا !

أجابت :

الحمد لله , لم أعد أشعر بالتعب .

قال و قد هدأ قليلا :

الحمد لله !

قالت :

و أين الطيبة ؟

قال :

لماذا ؟ أهنالك خطب اخر !

قالت و هي تتنهد :

أريدها فقط !

قال :

حسنا , سأتي بها فقط أهدئي قليلا !

تمتتم , فأسرع حسن بالخروج من الغرفة بحثا عنها , ن مكتبها الذي

يوجد في ذات الطابق , فهرولت قدماه يميناً و يساراً حتي وجده في

آخر الرواق , فأقبل بالدق علي الباب فسمعها تقول :

تفضل !

فأقبل حسن بالدخول و نظراته ترسم شيئاً مختلفاً , فدعته للجلوس و بدأت تقول :

ماذا يحدث ؟

قال :

هي تريدك !

أجابت :

نيهال !

ثم أردفت :

ماذا حدث لها !

قال :

هي تريدك فقط , قالت لي بأنها تريد رؤيتك !

أقبلت بالوقوف قائلة :

هيا بنا الآن !

أسرع حسن خلفها و قد سبقته سيرا في الرواق , حتي وصلا الي الغرفة ففتحها بسرعة و أغلقا الباب , أقتربت من " نيهال " الذي لمحتها بناظرها و قالت :

مرحبا بك يا طبيبة !

أجابت بقلق :

ماذا تشعرين الان يا نيهال !

أجابت :

الدنيا ربيع !

ملامح القلق زادت , فقالت :

ما الذي تقوليه !

أجابت نيهال :

الجو بديع !

قالت الطبيبة :

ما الذي تشعرين به يا نيهال ؟

نظرت لها و قالت :

الطقس جميل اليوم !

ومدت في كلمة (جميل) !

قالت الطبيبة :

لا أريد منك سوي أن تقولي لي ما تشعرين الآن !

بدا كأنها تستعد للصراخ , فقالت نيهال :

لم الصراخ !!

ثم أردفت :

ليس هناك شيء يقلق , أنا علي ما يرام !

قالت مستعجبة :

ألم تكوني تريدينني !

قالت :

كنت أريد أن أراك فقط ! ردا للمعروف .

قالت الطيبة :

أي معروف !

أجابت :

حين قمت بتوليدي , حقا لقد كنت بارعة !

قالت :

وما دخل هذا بالذي نحن فيه الان ؟

أجابت بهدوء :

لأنها كانت لحظات سعيدة !

ثم أردفت :

أيما سعادة !

غضبت الطيبة من حسن , فنظرت له و قالت :

ألهذا طلبتني ؟

ولكن كان غضبها نسبيا .

قال حسن مبررا :

و الله , لقد قالت لي بأنها تحتاجك !

هدأت ثم قالت :

حسنا , سأذهب الان و سأستدعي ممرضة تراقب حالتها طوال

الوقت , ستظل جليسة معها لذلك ان أردت ان تغادر في أي وقت . لا

تقلق علي زوجتك فهي ستظل معنا هنا !

تمتم حسنا :

موافق !

فستأذنته و غادرت الغرفة , و بعد لحظات سمع صوت الباب يفتح

بهدهوء و فتاة عشرينية تدخل , ترتدي ثوب الممرضات , انها هي ! ما

كانت مهمتها سوي أن تجلس و تراقب نيهال , الأنظمة الحيوية ,

نبضها . كل شيء , أخذت كرسي و جلست هي بجوار فراش " نيهال

" التي كانت تغطوا بهدهوء في نوم عميق , صياحها و مدي الصوت

الذي خرج منها لليوم أتعبها كثيرا , لذلك هي لا تتحرك , و لكن تنبض حية بعد , ثلاثة أيام هي أكثر الأيام حزنا .

جعل حسن يسير في كل مكان في أنحاء الغرفة , تارة يتلفظ أنفاسه من هواء النافذه , و تارة يخفض رأسه لأسفل بحزن علي ملامحه , و يفكر أيضا ! بينما نيهال كانت أكثر من يحظى بالراحة في تلك الغرفة , و يوسف أيضا , هما بجانب بعضهما , جفونهما مغلقة , عيونهما مسترخية , لا تبع , ارهاق يتبدد في أجسادهما و ربما نفسياتهما بدأت في الهدوء و الروع سار - خارج - الجسد .

و يوسف الصغير الذي كان يقول بصوت عالي (بابا , بابا) صار نائما هو الآخر , لم يسمع له نحيب , ولا كلمة واحدة علي الاطلاق , الصغير يبدوا بابتسامة راقية علي شفثيه و كأنه في حلم سعيد , يأخذ منه أنفاس السرور و طلائع البهجة , و ملك السعادة , في نفسيته شخصا " مطبوعا " بالسعادة .

مضت الساعات بسرعة حتي كان الليل قد أنتف , و الظلام قد مليء القاهرة بالكامل , حلقة و تضليلا بين الناس , و كأنهم بلا رؤيا و لكن ما يساعدهم هو مصابيح السيارات الأمامية , لا شيء آخر , و هذا في مصر بصيص من الأمل ينذر لقاءه جدا , سأل حسن الممرضة :

هل هناك سرير اضافي ؟

أجابت :

لا أعتقد .

ظل يفكر , أين سيقضي اليوم ؟ و أين سينام ؟

فقال لها :

شكرا !

أجابت بتلقائية :

العفو !

و جعل ينظر في شقة تطل مباشرة علي طريق تتسارع فيه السيارات ,
و تركض ركضا كأنها في مضمار سباق لا في شارع عام , أو طريق
للمدنيين , من هول السرعة تري – نسبية اينشتاين – تعمل ! حقا هي
تعمل و لا تتوقف أيضا , كأن مصابيح تلك السيارات تدعم النظرية و
تأخذ ما قاله " أينشتاين " و تطبقه , هذا لأمر سهل . فليذهب المدنيون
إلي الجحيم !

ولكن مع هذا كله , لا زال مشهد بقاءه لليلة هو ما يشغل الحيز الفارغ
في عقله , هل من معلومات ؟ يفكر فقط لعل و عسي أن يجد مكانا ,
هو عنده منزل و لكن ما يأرقه أيضا أنه كيف سيتركها هنا , كيف

سترك زوجته في تلك المستشفى , ليس معها أحد , فرضا لو حدث لها
مكروه , كيف سيطمأن عليها ؟ عقله يشك كثيرا و يتسائل أكثر ,
لايجاد حل وسط لذلك الموضوع , قال في نفسه بالنهاية :

يجب أن أعود الي المنزل !

تحرك نحو باب الغرفة و فتحه بيده اليمني و خرج منه , و معه أغلق
الباب بهدوء , و علي درج السلم ببطء يسير وصولا الي قاعة
الاستقبال " الضخمة " , خارجا من المستشفى كمبني عملاق كان هو
مثل ذرة فيه , و أستقل سيارة أجرة . بيضاء اللون مع خطوط سوداء ,
و عادت به الي الشارع , علي البdraوي . شكر حسن الرجل و تركه
و دلف الي الشارع , الشارع كان مناخه مطبقا للأنفاس , و لظلمته
كان لا يري منه شيئا . و قطع الظلام لا ترحم شخصا ولا حتي كيانا
خفيا يتجنب الضوء في ظلمات خفيه عن الأنظار , كل ما يتبدد فهو
يتبدد بتلقائية في الظلام فقط , و خاصة في منتصف الليل ! بسيره
البطيء الذي يمل , أقترب من منزله الذي يقبع في مبني عملاق
الطول , و الحجم . صعد اليه عن طريق المصعد و أخرج من جيبه
مفتاح شقته , و قام بفتح الباب بهدوء كما أغلقه خلفه بهدوء , بلا
ازعاج لحقوق الجار !

فأطل بنظره علي الشقة بالكامل , و تخللت عينه مشهد المطبخ من جديد , رأي أمامه زوجته و هي تجلس تبكي مرة أخرى , تحمل بين ذراعيها يوسف , و كان يقول بلهفة . بابا , بابا , سمعها منه , فلم يصدق نفسه فأقبل بسرعة الي المطبخ ليري المشهد من جديد يعاد أمامه , و رأي زوجته لا خوار فيها علي الاطلاق , لا قوة فيها لتقف حتي . و كان الشيء المميز هو أنها كانت تنزف قطرات دماء علي ملابسها , كيف لم أراها ؟ تلك دماء حقيقية ؟

ظلت هواجسه تطاردة , كيف لم أري تلك الدماء من قبل ؟ و كأن حياتها المزرية و " المريضة " تعاد له أمامه من جديد , فجلس بالقرب من المطبخ فأختفي كل شيء و لم يعد يري زوجته , و لم يعد يري يوسف , فنظر الي المكان الذي كانت تجلس عليه " نيهال " , فوجد آثار بقعة دماء متجلطة علي الأرض , كانت بضع قطرات فقط , بشكل دائري حول بعضها , محيطة نفسها جيدا , فجعل يركز عينيه قليلا علي حالة الدماء المنثورة علي الأرض تلك , فأقترب من المطبخ بحذر , و لم يكن هناك أحد معه !

وضه أنامله يتحسس بها تلك القطرات من علي الأرض , كان ملمسها جافا , و كانت برودة الأرض تغطيها أيضا , لذلك كان تركيبها -

الفيزيائي - متغير تماما عن حالة الدماء الطبيعية . جلس بالقرب منها علي الأرض , في تقرب شديد عليها , و لم يترك ذلك المكان , يبدو أنه ورث من زوجته التعلق بأرض المطبخ جدا , و سطحة البارد , برودة المياه في أوج الشتاء في مصر , نظره شادرا تماما عن ما يحيط به و كأن تأثيرا ما قد أثر عليه , بالطبع ليس ما تأثرت به زوجته – لاختلاف الجنس - , و لكن لاحتفاظ ذلك المكان بروح زوجته بعد , روحها لا تزال تحلق و هي ما زالت حية بعد ! قبل أن تقضي أجلها و تغادر , لا زال يبقي في المنزل , يؤثر كثيرا بمن يقدم الي هنا و خاصة في غيابها , و يتأثر أكثر لو كان الحاضر هو " حسن " , قرينها الروحي في الحياة , و ان شاء الله بعد الممات , كمجرد دعوة ! لذلك ما كان منه سوي أن يجلس وحيدا , مرخيا ظهره علي حائط بارد , لا يشعر بشيء و قد بدأت هالة سوداء في الجحوظ حول عينيه من أثر قلة النوم , و لسهره الطويل في ذلك اليوم , و لم يبلغ النعاس مقلتيه أبدا ! فكان أشبه الي حالة يرثي لها , بل و يبلغ الرثاء فيها بأن يطلب لها طبيب – نفسي – ليفحص ذلك الشخص , حسن المنطوي و المظهر لشخصية " بائسة " المظهر , و الطابع !

في الغالب أن نظرية الابتسام قد تجلت عن وجهه , و لم تعد من الملاحظات علي شاكلته , فلم يعد يبتسم بل يجلس كاسرا وجهه و كأنه " المهرج الحزين " في أفلام الأبيض و الأسود , الجميلة , ولا يبدوا له من ملاحظة واحدة حتي طابع الساعده , فقط – بوجهه الحزين – كان ينظر للسقف و يتطلع فيه بشدة , ثم يعود للنظر للحائط المائل أمامه و يصرخ بشده :

لمااااااااااا اذا ؟

يعاتب كل شيء أمامه :

ليس هذا ما أستحقه !

فضل يقولها كثيرا , ربما من كثرة حبه فيها أو لأنه قد جن حقا ! و لكن ليس المجنون هو من يكرر الفعل , المجنون هو من يعتاد علي الفعل , و يسمح له بأن يصبح قانونا , و أحيانا شريعة يطبقها علي نفسه فينغلق عن المجتمع , و يكن في عالم بعيد كل البعد , مجذب كل الجذب عن جميع الناس , و أفكارهم المنبئة .

قرر أخيرا في جلسته تلك , أن يغلق جفنيه , و لكن كان شعورا بلا جدوي فأغلقت عيناه , و طرح علي الأرض , مثلها تماما , بلا حرك , و لكن نبضه كان منتظما , فكان لا يرثه له , ربما هذا قد يحدث له

حسدا لو أحد راه , لكن تلك الهالة السوداء حول عينيه , هي ما لن يحسده الناس عليها علي الاطلاق , فهي صفة مكتسبة لا تخصهم !
نعم , نام علي الأرض و لم يشعر بشيء بعدها , الوقت كان قد تخطي منتصف الليل بساعتين تقريبا ! لذلك كان جديرا له أن ينم علي الأرض , لأن البرودة تسرع من عملية النوم .

كان الشيخ محمد يجري اتصالات مع طرف ما في المستشفى , فبدأ يقول :

السلام عليكم و رحمه الله !

قال الطرف الآخر :

و عليكم السلام !

قال الشيخ محمد :

الطبيبة عائشة معي !

أجابت " الطبيبة " :

نعم معك , من أنت !

قال :

أنا زوج فاطمة , التي زارتك يوم أمس و كانت مع سيدة تسمى "

نيهال " , اعتقد انك تعرفينها جيدا !

أجابت :

اه , نعم أعرفها .

فقال :

أنا زوج فاطمة !

أجابت :

تكرمنا يا أستاذ ...

قال :

محمد !

فأكملت :

يا أستاذ محمد , هل حدث لزوجتك شيئا ما !

قال :

هي بخير !

قالت الطيبية :

اذن ماذا تريد يا أستاذ محمد !

أجاب :

متي ستلد بالضبط ؟

أجابت :

نتيجة للفحوصات , فبعد أسبوع من الأمس باذن الله !

قال :

ولكن كانت فيما يبدو أنها متعبة بشده في تلك الفترة الأخيرة !

ثم أردف :

كان ذلك ملاحظا علي وجهها كثيرا !

قالت و هي تتنهد :

هشا شيء طبيعي يا أستاذ محمد , الحمل شيء صعب لذلك هذا ما

يؤدي لمثل تلك النتائج .

قال :

أمم , حسنا !

فقالت بملل :

هل هناك شيء آخر يا أستاذ محمد !

قال :

هل بإمكاننا أن نتقابل لتعلميني أكثر عن حالة زوجتي , أرجوك !

فقالت :

ماذا تقول يا أستاذ حسن !!

قال :

في المستشفى ان أردتي .

أجابت :

و هل هناك شيء اخر لاخبرك به عن زوجتك !

فقال مبررا :

انني أشعر بأنها ليست علي ما يرام ؟ و كنت أريد أن ارعف المزيد

من المعلومات عنها !

قالت بتردد :

غدا , في مكتبي في المستشفى , بعد الظهر !

ثم أردفت :

حسنا ؟

قال :

بالتأكيد !

ثم أغلق المكالمة معها و جعل في خباء , يقبل الهاتف بطرية لا تعقل ,

و كأنه لم يقبل من قبل , فظل اللعاب علي الهاتف يسيل بعد أن توقف

عن – التقبيل – و وضعه جانبا و أمسك بالغطاء الذي يكسو جسده و

يدفأ جسده و احتضنه بين ذراعيه و نام هنيئاً مريئاً , و زوجته لا
تدري أي شيء فقط كانت تصدر صوتاً كدليل علي نومها !

أستيقظ صباحا , مع هواء صباحي يسير من النافذة , فتح عينيه و كان في غاية السعادة و الابتسام , لاسباب معنوية أكثر منها مادية , لذلك ما كان له سوي أن يبتسم في صمت دون علم أحد , فأخذ في تنظيف جسده و أستغرق وقتا في المرحاض قبل أن يخرج منه , في حالة رائقة , و أخذ يقف دقائق أمام المرآة , و يعدل خصلات شعره للخلف مبينا أثرا من اجمال ولو قليلا , لكن يفي بالغرض !
لمحته الزوجة و قد قامت بعده بقليل , تقوم لتعد الطعام ثم يجلسان علي المائدة الصغيرة الذان يضعانها في غرفة النوم , تكفي فردان فقط , فيجلس معها و يأكل ثم ينتهي - سريعا - , فيثير شكوكا في - زوجته - أكثر من ذي قبل , خصوصا بعد أن رآته يتجمل بتك الطريقة , فقالت له باستنكار :

لما البدر قد بزغ صباحا ؟

فأبتسم لها في المرآة و قال :

لأنه قد يأس من الظلام , فقرّر الظهور في الضوء !

فقالت :

هل يخاف من الظلام أم ماذا ؟

تلك خطة الاستدراك السرية - للنساء - !

قال :

ولكن الظلام شديد الحلقة فكيف سيري فيه ؟
تلك اجابات الرجال – المعتادة - !

قالت :

حالك غريب اليوم يا مولانا ؟

أبتسم و قال :

أدعوا لي فقط بأن يوفقني الله !

ثم أبتسم و هو ينظر اليها :

من قلبك !

فأجابت :

من قلبي و ربي !

فغادر من أمام المرأة , وقف أمامها قائلاً :

اليوم مهم للغاية !

فقالت هي :

أعلم !

فأستطرد :

لذلك لا تنسي دعوة في غسق النهار !

قالت :

قبل أن تنسي , هل أديت صلاة الصبح !

عدل هندامه و قال :

الحمد لله !

قالت و هي تربت علي كتفه :

بالتوفيق !

قال بود :

هل بإمكانني أن أحتضنك اذن !

أجابت :

بالطبع يا محمد !

تخلت عن " مولانا " في تلك اللحظة لحساسيتها .

فأخذ هو في عناقها , يبدوا أنه لم يتذوق أن يحتضنه أحد منذ فترة , الا

جماعة من الرجال , يقبل عليهم و يقبلون عليه , لكن مع – فاطمة – لم

يذق هذا الشكل من الحب منذ فترة , لذلك كان منه أن يدم العناق و

يقول :

كم أحبك !

فتجيب :

و أنا أيضا !

فيندلع الحب بينهما -- كشعلة - موقدة !

فينتهي ذلك العناق , فيقول :

سأذهب !

قالت :

معك الله !

دلف خارج الغرفة الي باب المنزل و فتحه بهدوء و الابتسامة علي وجهه منذ الصباح , لو لاحظت ذلك لأثار شكها , لكن الله سلم ! و كان يسرع في مشيته علي درج السلم للحاق في الموعد , حتي وصل الي الشارع , علي الب دراوي , و سار بسرعة أيضا وصولا لبدايات الشارع علي طريق " جسر السويس " , منتظرا احدي وسائل المواصلات , فتدقم سيارة من بعيد فيشير لها كانت بيضاء اللون , فأستقلها و سارت به مسافة ليست بطويلة , و لكن كانت مع اشعة الشمس متعبة للغاية , تنثر افراز العرق في الجسد بالكامل , لحسن حظه أيضا أنه وضع " مزيلا للعرق " , كان في ذلك اليوم مع نسبة عالية من " الحظ " في أفعاله .

أرتجل من السيارة حين وصلت الي المدخل الرئيسي للمستشفى ,
اعطي نقودا حسنة الي السائق الذي شكره قبل أن يغادر , و سارت
بعيدا تلك السيارة " البيضاء " , و دخل هو علي قدميه الي المستشفى
, في ساحة الاستقبال أقترب من موظف الاستقبال , فقال له مبتسما :

حجز أم جديد ؟

قال " الشيخ محمد " :

حجز !

فجعل الموظف ينظر في قائمة الحجوزات , و كان قد أعطي له الأسم
الخاص , ثم عاد ليقول له :

لا يوجد أسم " الشيخ محمد " هنا !

قال :

جرب أسم " محمد خليل " .

بعد بحث , قال له مبتسما :

نعم يا فندم , حجز مع الدكتورة عائشة أليس كذلك ؟

قال مبرزاً أسنانه :

نعم بالضبط !

قال له و هو يشير بيده :

الطابق الثاني يا فندم !

أبتعد بقليل و قال له :

شكرا !

سار صاعدا علي درج السلم " الرخامي " , المظلي بزخارش غاية في الجمال , أثارت اعجاب ناظريه , و جعلته في غاية الانبهار لدرجة أنه كان يتلمس الحائط و هو يصعد , كان كل شيء من حوله يثير انتباهه كل ثانية , مما جعله لا يعرف أين الطابق الأول من الثاني , و لكن بعد مشاورات مع ذاته التي تخاطبه , تأكد أنه في الطابق الثاني , و أنطلق باحثا عن مكتب الدكتورة " عائشة " , فوجده في نهاية الرواق , فدق عليه مرتين فسمع صوتا من الداخل , كانت هي تقول :

تفضل !

ففتح الباب بهدوء و دخل , كانت ملامحه عليها تبدوا غريبا , تسريحة شعره في شخص لم تره من قبل , يثير الغرابة حقا , و كان يتقرب منها و يعد هدامه للتأكد من الأناقة – لا غير –

قال لها واقفا :

هل أجلس !

أشارت الي الكرسي :

تفضل !

و للحقيقة أعجبته – للغاية – !

فجلس , قالت له :

أولا من أنت ؟

أجاب :

محمد خليل !

قالت :

هل أنت الذي كنت تكلمني بالأمس ؟

قال مبتسما :

بالضبط !

قالت :

أتريد وصفا مبسطا أم تفصيليا لزوجتك !

أجاب :

مبسطا !

قالت :

لديها مرض " الرحم الوبائي " !

ثم أردفت :

هذا المرض يصيب النساء الذين يحملن مولودا , و أتاها هي قبل أن
تدل و في العادة المرض يأتي أثناء الحمل أو بعد الولادة , ألا لأن في
الحقيقة لاحظت اختلاف ذلك علي زوجتك .

قال و يبدو أنه لم يتأثر :

و ماذا نفعل الان ؟

قالت :

دعني فقط أكمل الكلام !

قال :

تفضلي !

قالت ملصقة يدا بيد :

يا أستاذ محمد , زوجتك تمتلك هذا المرض " الخطير " الذي قد
يودي بحياتها بسبب فيروس هو المكون لذلك المرض , و من
الفحوصات التي أجريتها فأن نسبة المرض تتكاثر في جسدها بحيث لا
تشعر به , و أصبح بلا سيطرة , و لم نعد نتحكم فيه , لذلك فأنا أسف
أن أخبرك بأنها ستموت بعد أسبوع !

قال و الدموع في مقلتيه :

أيبوع !

فأجابت :

نعم , أسبوع فقط !

صمت قليلا , ثم عاد ليقول :

اذن علي أن أبحث عن زوجة جديدة !

أجابت بعدم تصديق :

أتبحث عن زوجة قبل أن تموت زوجتك , كيف تفعل هذا يا أستاذ !

انفجرت غضبا !

قال " مولانا " :

أنا فقط أبحث عن مستقبل لي قبل فوات الاوان , لأنه في مصر هنا

النسبة في الزواج قليلة , لذلك يجب أن اخذ احتياطي و لاحيا حياة

سعيدة بعد ذلك !

قالت :

يبدوا أنك لم تستطع الاختيار , صحيح ؟

قال :

ربما !

ثم عاد ليقول :

نعم لم أستطع !

فأجابت :

اذن هي لها حق الان في أن ترعاها ثم بعد ذلك فلتبحث عن من
شئت !

قال :

ولكن كنت أريد أن نتكلم لاحقا !

قالت :

لما ؟

أجاب :

أريد أن أتكلم معك لاحقا !

قالت :

حسنا !

ثم قام و قال :

نسيت أن أذكرك , سأكلمك بعد أسبوع !

قالت :

لن تجدني !

قال و قد عقد حاجبيه :

لماذا ؟

أجابت و هي تبتم :

سأكون قد مت !

قال و قد أزدرد لعاهه , فأبتسما لبعضهما ثم غادر و أغلق الباب خلفه بهدوء , و ظلت هي تبتم في داخلها , لشيء ما لا تدري ما هو بعد , غير حال قلبها و جعلها تبتم له , هل هذه دلالة علي شيء ؟ هل لهذا سبب ما ؟ , يبدو أن مظهره ذاك , و تسريحة شعره " السخيفة " و الساذجة أيضا أبقت شيئاً داخل قلبها .

خلق الله الذكور لتعجب الإناث , و خلق الله الإناث لتوقع بالرجال !
و كان محمد عيسير علي الدرج , و هو لا يسير , قلبه ليس معه , قلبه هناك , تركه لحين الاحتياج له بعد أيام , أوقات لاحقة هي ما سيفيد في الحياة , لم يشعر بنفسه الا و هو يقف أمام موظف الاستقبال , قال محمد :

أيمكنني الحجز الان ؟

أجاب :

بالطبع يا فندم !

قال بابتسام :

يوم الاثنين القادم !

قال :

تعني بعد أسبوع ؟

أجاب :

نعم !

قال بابتسام :

تم الحجز يا فندم !

فغادر مبتسما , لديه الآن موعد سيأتي له لاحقا , و هو سيكون في أفضل الأحوال – بالتأكيد – لذلك سيكون يوما " دراميا " في حياته . غادر المبني و وقف ينتظر السيارات , فأتت سيارة و أقلته مرة أخرى الي المنزل , كما وصف له العنوان تماما , شارع علي الب دراوي , علي طريق جسر السويس .

فأرتجل بعد مسافة عن السيارة , و سار داخلا لمنتصف الشارع , عند عمارة كبيرة فيها منزله , فصعد علي السلم بهدوء و دلف الي منزله , بخطي ثابتة , فأكمل سيرا الي غرفة في الداخل يجلسان فيها سويا كالعادة , نظر لها فوجدها تجلس تشاهد التلفاز , أخرجها من انسجامها و قال :

السلام عليكم و رحمة الله !

قالت بدون أن تنظر له :

و عليكم السلام !

قال و هو يزيل هندامه :

كيف أخبارك لليوم !

أجابت :

بخير و الحمد لله !

قال و قد أقترب من الجلوس بجوارها , كانا سجالسان علي الفراش و

أمامها تلفاز عريش , كأنه احدي دور العرض السينيمائية , قال لها :

ألا تعرفين ماذا حدث معي اليوم !

أجابت و قد ألتفتت له :

ماذا ؟

قال و هو ينظر لبعيد :

أتريدين أن تعرفي حقا ؟!

قالت بلهفة :

قل , هيا !

صمت للحظات , ثم قال :

أنت مريضة !

قالت :

مريضة !

قال :

لقد كنت في لقاء مع الطبيبة في المستشفى !

قالت غير مدركة :

قالت لك بأنني مريضة !

أجاب :

نعم !

قالت :

و ما نوع هذا المرض ؟

قال :

مرض في الـ

و لم يكمل , خوفا من الصدمة عليها !

فقالت :

مرض الـ ماذا ؟

قال :

مرض وبائي في الرحم !

أجابت غير مدركة :

مرض في الرحم ! كيف ؟

قال بحزن :

مرض يصيب المرأة في العادة بعد الولادة و هناك حالات موثقة ,

لكن قالت لي بانك حالة ليست مثلهم , أنت جاء لك المرض قبل

الولادة .

قالت :

و ما الحل ؟ ما الحل ؟

أجاب :

الحل !

قالت :

أليس هناك علاج ؟!

قال بأسف :

العلاج !

قالت :

الا يوجد علاج ؟

أجاب :

العلاج هو ...

قالت :

هو ماذا ؟

أجاب :

لقد حددت لي لقاء بعد أسبوع , و سنذهب لها لنعرف ما هي أولويات

العلاج ؟

قالت و قد استراح عقلها :

الحمد لله , الحمد لله !

كانت تظن بأن هناك شيء , تلك هي البدايات . الشك !

ثم أردفت :

لقد أعددت الغداء , هيا لنأكل !

أجاب :

بالطبع .

فقامت لتجهز الطعام , كان في الواقع معد من قبل لكن كانت في

انتظار من يأكل معها , و كان زوجها هو الوحيد الذي يأكل معها و

تتكلم معه أثناء الوجبات في اليوم .

كانت " نيهال " لا تزال في المستشفى , بالأمس قضت الليل فيها , و معها يوسف بجانبها دائما , حتي حل الصباح بزقزقات عصافيره , و ضوئه المشاكس , قامت الممرضة التي كانت ترخي جسدها قليلا علي الكرسي , فبدأت في الرؤية بشكل أوضح , كانت لا تزال " نيهال "

نائمة , تفقدت كل الأجهزة التي تحيط بها , نبض القلب , الضغط .. ,
و ما يشابه ذلك .

فدخلت في ذلك الوقت عليهم , كانت الطبية تجري تفقداتها في الطابق
الثاني , فمرت علي تلك الغرفة , تتفقد مريضة أحببتها , لذلك كان من
المشرف لها بأن تلقي عليها نظرة . قالت و هي تتقدم أمام السرير :

كيف حالها ؟

أجابت الممرضة :

بخير منذ الأمس !

سألتها مجددا :

هل قامت بحركات غير طبيعية بالأمس !

قالت :

لا يا طيبة !

أجابت :

جيد !

فجعلت تترقب هي الأخرى ما يتواجد بجوارها , أجهزة كثيرة حولها
تهدف الي قياسات مختلفة , لذلك كان من الواجب عليها أن تدقق في
كل جهاز علي حدا , لأن لو تداخل رقم مع رقم قد يؤدي الي شيء

غير مرغوب فيه , أو في نتائجة و قد يكون خطير , فيقضي علي كل شيء في ثانية .

ثم قالت للممرضة :
أجلس .

أطاعت الأوامر , كان كرمها مع الممرضات , و مع من يعمل معها في تلك المستشفى هو ما يجعلها محبوبة هنا . و لكرمها الشديد أيضا أن نتيجة أي حرف يخرج من فمها لا تعقيب بعده , تنفيذ فقط . هذا هو جزاء الاحسان , أخذت كرسي لتجلس بجوار الممرضة الشابة , قربته و جلست عليه تنتظر , نهوضها وشيك . لذلك جلست تراقب حركة عيونها لحظة لحظة , و لم تغفل عنها حتي شاهدت قيام جفونها من النوم , و كانت تفتحها ببطء , نظرها كان يراقب الجالسين ممن حولها بصورة غريبة , لم تكن الهوية معروفة بعد , لالتصاق سائل العينين بها , الدموع . و لكن ما أن فتأت تنظر جيدا حولها لتجد الطيبة تقول لها :

صباح الخير يا نيهال !

قالت :

صباح الخير !

كان ردها هادئ جدا .

قالت لها الطيبة :

هل تحسنت حالتك اليوم ؟

أجابت بتناقل :

لا أعرف , ربما !

سألتها :

كيف لا تعرفين !

قالت بهدوء :

لا أعرف !

تنهدت الطيبة و قالت :

حسنا , لا أعلم ماذا يحدث لك لكن . حسنا !

ثم أردفت :

يجب أن نحمد الله علي أنك توقفت عن النزيف !

أنصتت " نيهال " ثم قالت :

الحمد لله !

ثم أستطردت :

أعندي مرض آخر تريدان أن تقولينه لي , هيا أنا اسمع !

قالت :

لا ! (بصوت جش)

قالت " نيهال " :

جيد .

فقالت لها الطبيبة :

هل تريدین شيئاً قبل ذهابي !

نظرت لها و قالت :

لا شكرا !

ثم عادت لتقول :

و لكن هناك شيء واحد !

رفعت إصبعها لأعلي !

فقالت الطبيبة :

ما هو !

قالت :

أين حسن !

و كأنها كانت تنساه من قبل , أو منذ الأمس !

قالت الطبيبة :

لا أعرف !

ثم استطردت بجدية :

بإمكاني أن أكلمه ليأتي !

قالت " نيهال " :

أنا اعلم أين ستجدينه !

قالت :

أين ؟ أشارت لها بأن تقترب منها , و قالت بهمس في أذنها :

عندما تذهبين الي المنزل ستجدين غرفة مضاعة , ستجديه هناك

مكتئبا !

أستغربت من حديثها , فسألتها :

و كيف عرفت هذا الشيء ؟

قالت بنظرة حادة :

ملك الموت !

قالت و قد جحظت عيناها :

ملك الموت ؟!

قالت بهدوء :

يزورني بين الحين و الآخر !

قالت :

ملك الموت يزورك !

أجابت بثقة :

أي نعم !

في الحقيقة لم يكن معلوم بعد هل باستطاعة ملك الموت أن يزور
البشر هكذا ؟!

زاد الأمر غرابة عليها , في البداية هلوسات , و في النهاية ذاك , أليس
يكفي ضربتين في جولة واحدة ! أم أن ذلك شيء صعب . لربما هذا
ما يقضي علي الخصوم مبكرا .

فقالت لها الطيبية مغيرة الموضوع :

سأحاول الاتصال به ليأتي !

ثم غادرت الغرفة , تركت ما يسبب لها عقلا ساذجا , و عقلا يصاب
من شدة الغموض فيما يراه و ما يحدث حوله , و أهمها تلك المرأة في
الجوار , لكنه يأبى أن يتخلي عن انسانيته في مساعدتها , لذلك تحافظ
علي سيرها الي نهاية الرواق لتصل الي غرفتها , مكتبها المتواضع
الذي تجلس فيه . تقبل عليه و تجلس بين أحضانه علي كرسي يهتز
يمينا و يسارا و تفكر في " نيهال " و أيضا لا يبتعد تفكيرها عن "

حسن " . هما الأثنان لهما علاقة ببعضهما غير مفهومة الي الآن لديها , أحدهما يميل الي التخاريف العقلية , و الآخر غاب و لم يظهر من الأمس .

جلست تقلب أحدي الأوراق المرصوفة أمامها من أمس , تحاول ايجاد أي رقم متعلق بذلك الشخص الذي يسمي " حسن " , أو لتوقيره " مخبول حسن " لكي نعطي لكل شخص حقه , ظلت تبحث و لم تكل أبدا كأنها تريد انهاء تلك القصة مبكرا , و ذلك الشأن الغريب من بعيد لبعيد قبل أن يحدث تطور , أو تموت نيهال ! و لكن لتجد ما يثير انتباهها هو مازال بعيدا عن ما يقرب خيوطها منه , أين رقم حسن ؟ أتذكر أنه أعطي لي رقمه ! و لكن أين هو ..

ظلت تحدث نفسها , لعلها تقتنع بأنها ستجد شيئا عما قريب , لحسن حظها أن ذلك كان له مفعول السحر , فوجدت من بين تلك الأوراق المطوية و الصتفة أيضا , ورقة صغيرة تكاد لا تري بالعين المجردة بين تلك الأوراق , لكن وجدتها أخير كان رقما يتكون من أحدي عشر رقما , انه صحيح !؟

الان يجب أن أتصل به !

قالت بصوت مسموع لنفسها , فأخرجت الهاتف من حقيبتها من علي المكتب , و أدخلت ذلك الرقم " الأحدى عشري " علي الهاتف , و بدأت في اجراء تلك المكالمة , لحين أن يجيب شخص عليها , فهي تسمع نقرات متتالية تنبع من سماعات صغيرة في أعلي الهاتف , ليتكلم و يسمع المخاطب في نفس الوقت . لم يرجب أحد عليها الي الآن , و كأنه يتجاهلها لسبب ما , لكن كان يزيد لها في أن تظل في اجراء المكالمة له , هي ما صدقت أن وجدت هذا الرقم , فأجابها أخيرا بصوت جش :

السلام عليكم !

أجابت :

و عليكم السلام !

فأكملت هي :

أستاذ حسن معي ؟

أجاب بهدوء :

أظن كذلك !

لعنت تلك العائلة بأكملها ! غرباء الأطوار جميعهم !

فقالت :

أين أنت الآن ؟

أجاب بهدوء :

في البيت , لماذا ؟

فسمعت صوت تكسير بجانبه , فقالت بقلق :

ما هذا الذي يحدث عندك !

أجاب ببرود دم :

كسرت المرأة فقط !

ثم أردف :

كسرتها بالمطرقة لو أردتي أن تعرفي !

" تبا لكم عائلة ! "

لم تتمالك نفسها , فقالت :

كسرت ماذا ؟

أجاب :

المرأة , أكانت لك !

ثم أردف :

سأعيدها لك سليمة فقط ان أردتي !

قالت بتنهيد مكثف :

لا .. أريد .. شيئاً !

ثم أكملت :

هناك شخص يريد أن يراك ؟

فأجاب و هو يضحك :

ملك الموت ؟!

ثم جعل يضحك بصوت عالي في الهاتف , فقالت :

هل تعلم بخصوص ذلك الشأن ؟

أجاب :

أعلم الكثير عنه !

قالت :

و ما رأيك ؟

أجاب :

بعد يوم واحد من الآن ستعرفين اجابتي !

ثم أكمل :

ما أسمك ؟

أجابت :

عائشة !

قال :

أسمك جميل يا عائشة !
و صار يضحك بشكل مبالغ فيه .
" تبا لكم عائلة ! " ألف مرة .

قالت :

شكرا لك !

قال :

ألا تريدان أن تعرفين أسمى !
قالت بلا مبالاة :

لا أريد أن أعرف شيئا !

قال :

أستاذ حسن !

ثم صار يقهقه مجددا .

بدا علي وجهها بأنها ستغلق المكالمة عما قريب , لكن قالت :
هل ستأتي أم لا ؟

قال :

أين تريدان أن تقابليني ؟

أجابت :

لست أنا من أريدك , بل زوجتك التي تريد أن تراك ؟

قال :

ملك الموت !

و صار يضحك كالـ " الحمار " !

قالت :

لا يهم , تعال الان فهي تحتاج أن تراك , لقد قاربت علي الموت يا

أحمق !

لأول مرة تقول كلمة " أحمق " لأحد المرضى !

قال بهدوء :

لا أزور موتي !

ثم أكمل :

لقد كانت بالأمس مريضة للغاية فلم يتمالك قلبي ذلك المشهد , لذلك

لا أريد أن أراه مجددا !

ثم أردف :

هل من الممكن !

قالت :

هل ليست ميتة بعد !

أردفت :

شارفت علي الموت فقط !

صار يضحك قائلاً :

لقد قلت لك , لا أزور الموتى ولا من يقتربون من الموت !

ثم أردف مزيدا من السخرية :

و لا أزور من يكون ملك الموت صديقهم , لربما يقبض روعي و

هو يمزح !

لسخافة مزاحه , الا أنها تماكنت نفسها من الضحك , هكذا المصريون

يضحكون حتي في المواقف " البائسة " , لأنه ببساطة شعب ضحوك

, يميل اليه ميلا عظيما !

فقالت :

زوجتك تحتاجك يا حسن !

قال :

و من لا يحتاجني , هناك الكثير من طلبات الصداقة في الحياة لذلك

أضع معظمهم في خانة الحذف , و البعض نادرا ما يبقي , لذلك ليس

عندي أي صديق علي حسابي الشخصي علي " فيسبوك " سوي أبي
و أمي فقط !

ثم أردف :

و من تبقي فهو في سلة المهملات !

قالت :

و زوجتك !

قال يصوت يصدر من جانبه " مرة أخرى " :

هي ليست عندي علي " الفيسبوك " !

ثم أردف :

ليس لديها حساب لأنها ليست من هواة التكنولوجيا بعد ! و لن تلحق
بها علي الاطلاق .

قررت أن تختم الحديث مع ذلك الرجل , فقالت :

اما أن تأتي يا حسن و زوجتك بخير , و اما أن تأتي و زوجتك قد

قبض ملك الموت نفسها و هو يمزح معها !

ثم أردفت :

أتريد هذا ؟

فقال في لا مبالاة :

أين يوسف ؟

قالت :

انه بين أحضان أمه !

أجاب :

ماذا يفعل ؟!

قالت :

يقول باسمرار (ماما , ماما) !

قال :

بنسأ , لقد كان يقول " بابا " بالأمس , ماذا فعلتم فيه !

قالت :

لأنك لم تزره الي الآن !

فقال مبررا :

يا للمسكين ! كم أشتاق أن أراه !

فقالت بغضب :

ولم لا تأتي لتراه يا أحمق !

قال بهدوء يحسد عليه :

لا أستطيع يا عائشة !

قالت :

ولم لا تستطيع !

كان العرق يتسرب غضبا من مسامها , كأنه يخرج نيران الغضب
علي هيئة قطرات ! يا لرحمة الله بنا نحن البشر , بنو ادم . أظلنا الله و

ما نريد أن نهتدي !

فعاد يقول " الأحقق " :

سيفر مني ان راني هكذا !

ثم أكمل :

و للعلم لقد أصبحت عيناى سوداء !

قالت :

هل هذا ما يمنعك !

ثم أكملت :

ليس ما يهم هو شاكلتك , لكن المهم هو قلبك . عليك أن تعلم بأن
زوجتك تحتاجك الان أكثر من أي وقت مضى , حتي من أيام الولادة
تلك , كان ألما يحتمل و لكن هذا يوم واحد فقط يا حسن .

قال بهدوء :

مشهدي مرعب !!

قام بتحويل صوته الي ما يشبه " المسوخ " !

قالت :

لا يهم !

فأجاب :

دعيني أفكر ! و الان هل تريدن شيئا اخر ؟

قالت :

تبا لك !

ثم أغلقت الهاتف .

كان حريا بها منذ البداية أن تغلق الهاتف من منتصف الحديث معه أو حين بدأ في الكلام الذي لا يعقل , أقواله تنم عن حالة ضмор شديدة في عقله , و الأكثرية في قلبه , لذلك لم يعد يشعر بما يقول و ما يفعل , أصاب كل شيء حوله حتي الزجاج لم يرحمه !

و جلست هي تفكر في شأن " نيهال " , ماذا سيفعلون لو ماتت وحيدة هنا ؟ و ماذا سيفعلوا بالطفل الصغير , يوسف . كل تلك الأمور وردت علي ذهنها في لحظات و اتت عقلها بالبطء الشديد أثناء مرورها , أصعب من ذي قبل , و أشد تفكيراً و أكثر عرقاً , كم الورق المتناثر أمامها , رقم الهاتف في الورقة , أمور غير منتظمة في لحظاتها و

دقائقها في هذه المستشفى منذ أن أتت تلك المرأة , أو حينما أتت تلك العائلة لتحولها الي كابوس .

كان يجلس وحيدا , أو علي الأحري معه خياله يؤنس وحشته , و ينير له ظلمته في تلك الشقة , أو هناك ذلك الزجاج المكسور علي الأرض الذي كان يعطي له أملا في أن يلهموا به قليلا ليقتل بعض الدماء في عروقه فيفرح جدا بها , خياله قد يودي به الي الجحيم ! و لكن هو مد هكذا , في حالته تلك . أقرب ما يكون سعيدا الي الموت منه الي الحياة

لكن رغما عنه لن يموت الان , ببساطة لأنه لم يحن وقته الي الآن .
لكل أجل كتاب !

كانت جلسته غير ثابتة حين أستيقظ من نومه , وجد نفسه لا يزال
مثلما نام بالأمس , لا تزال قطع السيراميك تحيط به و الحائط البارد
الذي أصبح عاشقا له , و راحة يديه المبسوطتان علي الأرض و كأنها
لا تجد شيئا لتمسك في زمامه بعد . فقام متكاسلا من علي الأرض ,
تتخبط قدمه اليمني باليسري , و لا يعرف أيهما تتخبط بالأخري ,
المهم أنه حدث تصادم , و عدم قدرته علي السير خطوتين الي كانت
الثالثة هي وقوعه الحتمي , و شكله الغير منتظم علي الإطلاق , لم يعد
" حسن " كما كان من قبل , الان هو مسخ !

سمع صوت يأتي من داخل الغرفة في ذلك الصباح , فدلف إليها بعدم
رغبة , لكن رغبة خفية في اسكات رنين ذلك الهاتف اللعين , أمسكه
بيد لا تعرف لها يمين من يسار , ضغط علي زر عشوائي كان باللون
الأحمر , فقد كانت الرؤية معتمه رغم أن الغرفة كانت مضاءة
بواسطة الشمس , الا أنها لم تغني شيئا , فأقبل بوضع الهاتف علي أذنه
, فسمع صوتا لم يكن ليعرفه علي الاطلاق , مثل باقي الأشخاص ,

هل لديهم هوية ؟ من أنت ؟ , كانت تقول بأنها الطيبة , و تسمى عائشة أيضا , أسمها جميل للغاية !

راق صوتها له , فكان فيما يبدو يكلمها ليس تلبية لرغبات كانت تريد منه أن يفعلها , لكن لصوتها الدافئ الأقرب الي صوت العصفور الصغير أو فيما يقترب من صوت البلب الذي لم يسمعه من قبل , كانت طلباتها غريبة للغاية , مرة كانت تطلب منه الذهاب لأن " زوجته " تحتاجه لمرضها الشديد , و مرة تقول له بأن " زوجته " تريده بشدة , و مرة تقول له بأن " نيهال " تريده بشدة , من هي " نيهال " حقا ! لوهلة ظن أن هناك مكيدة لتوقع به بسبب أولئك الناس غرباء الأطوار . و لكن لم يكن يهتم , رده عليها كان مفحما لأي " زنديق " لا يفقه شيئا , و تعددت اجابته أيضا بنفس نمط السخرية منها , و الاستهزاء بما تقول , " مسوخ " كثيرة في تلك المكالمات , و لم تستمر المحادثة المملة تلك , فأغلق معي الهاتف , لقد تمت المهمة بنجاح !

و أغلق معه هو الآخر هاتفه و وضعه بجانب السرير , علي الحافة حتي اذا أراد أن ينتحر فقط يقفز , كانت حياته لا تخلي في الاونة الأخيرة من تغير في نظرتة الي الحياة , الدنيا , الأصدقاء , المستشفى

, عائشة ! حقا من هي تلك المرأة ؟! و لكن صوتها يعجبني , و هذا يكفي . فدلف مرة أخرى خارجا من الغرفة , كان هناك أكثر من مكان للجلوس فيه , و التبضع في أي شيء و بعض التكسير في الزجاج ! قرر الجلوس علي حافة حائط كان بالقرب من الباب , كانت تلك منطقة محببة أيضا ! كان هناك بإمكانه أن يري ذلك الفراغ من حوله , فينظر باستمتاع لا يجد أي شيء , فيطمئن قلبه و يهدأ لأن لا أحد معه ولا يحيط به كالثعبان ! حتي بالكاد يقترب من أن يخنقه , تحرر من هذا ذاك و أنفرد بشقته وحيدا !

سويا كأيام الخوالي , فيضع رأسه علي الحائط منتشيا بكل ما يحدث , لا يسمع صوت و لا يشعر بشيء , من الأفضل له أن يعود للنوم الآن , فكان اقتراحا مقبولا و قد كانت الساعة تقترب من الحادية عشرة , لم يكن ليعلم الساعة لولا القمر الذي يطل من النافذة , علي الأرجح أن ذلك القمر هو بمثابة " ملك الموت " عند أناس آخرين , يقول لك ما شئت و قتما شئت , كيفما شئت ! أهم ما في المعلومة أن تعرف كيف توصلها بدون أي خدش أو تعويضات مالية فيما بعد . و جلس بعد معلومة صحيحة مثل هذه , حتي لم يكن يشعر بنفسه و لا بجفون عينييه و هي تنغلق علي ضوء ليس بضوء , علي ظلام دامس في

العينين , مرخيا جسده بكل ما أوتي من " قوة " , و أستغرق نوما
طويلا , يحبه و يعشقه !

كان في صباح اليوم التالي , يقف بثبات من فراشه , كأنه حظي بحلم
سعيد في منامه , لكن لم يكن أكثر سعادة من وجهه حبيبته النائمة
صباحا , و تكاد شفتيها أن تفرج عن ابتسامة حين ينظر لها صباحا , و
لكنها نائمة !

هذا هو العائق الوحيد لكن أحيان ما تعطي بروزا لشفتيها يحبه قلبه
جدا , ليس متضخما و لا متقلصا , هو متوسط للغاية , فينظر لها و
يدلف خارج الغرفة , ثم ما يلبث أن يعود ووجهه قد أكتسب نضارة
جديدة و مشهد براقا يحمل في طياته بعض الماء الوفير , و المتناثر
في وجهه بالكامل و بين خصل شعره المتوسطة , فيقف ليمشطه
بتسريحة جميلة , و أيضا تثير الجمال و تجعلك رمزا له .

فيصبح قائلا و هو يقف أمام المرأة :

يا فاطمة !

كانت نائمة !

فيصبح مجددا :

يا فاطمة !

قالت بصوت منخفض :

نعم !

قال بهدوء :

ألن نتناول الافطار اليوم !

قالت في تنأوب :

كم الساعة ؟

أجاب :

التاسعة صباحا !

قامت بهدوء من فراشها و قالت :

ها أنا ذا قد قمت !

و قامت لتقترب من الخروج من الغرفة , تزيل علامات النعاس من حول عينيها و بعض الهالات السوداء من حولهما و تجمعها المكثف , فما تلبث أن تقضي علي كل هذا برشقات من الماء تندلع علي وجهها فتقضي علي هذا و ذاك . ثم تدلف خارجا , هناك طعام بالداخل يجب أن يجهز بسرعة , وقفت تعده كالماهرين القلائل في المجتمع المصري , و قالت معلية صوتها :

يا محمد !

أجاب :

نعم .

قالت :

لقد أعد الفطور , هيا فلتجهز !

أجاب و هو يدلف خارجا قاصدا المائدة :

أنا جاهز !

فأقبلت عليه بوجبة خفيفة , لا تثقل المعدة أبدا , و لا تتعب القلب من
فرط طلاوتها و جمالها , كانت فقط تتكون بضعة أطباق من الفول , و
بعض كرات البيض , و نبات الخيار مقطعا بـ " احترافية " عالية , و
الخبز , هذا ما يشبع حقا ! فجلس يأكل ما يشتهي قلبه من هذا النوع ,
و ذاك أيضا , ثم ينعش المعدة بقطع الخيار كوجبة ثانوية في ذلك
الفطور , و يقول مثنيا لزوجته :

كم هو جميل هذا الطعام !

فتقول مبتسمة :

لأنه من خيرك !

فيقول :

و من أعده !

فتقول :

الحمد لله !

ثم يردد خلفها :

الحمد لله

شكر النعمة هو أكبر الأدلة علي حب الله لك !

ثم تنتهي تلك الوجبة كسابقيها مع مضي الوقت قدما , بلا توقف , فيذهب كل منهما الي المرحاض و يقوم بغسل يديه جيدا و فمه و البقايا حول فمه ان وجدت , حتي تصبح كاللؤلؤ , في بريقها و لمعانها . و كل ما فيها تقريبا .

ثم يجلسان مع بعض رشقات من كوب " الشاي " , يجلسان يشاهدان التلفاز , ما يتابعانه هو شيء جيد بالتأكيد ! فأخرج " الشيخ محمد " الهاتف من جيبه , كان ينوي اجراء مكالمة مهمة , لم يجريها منذ ساعات , كم أن الوقت يمضي بسرعة فلا تلحق في أن تفعل ما تريد , كان الرقم هذا مجسلا عنده في قائمة الأسماء , فأخرجه من بين هذا كله و ضغط علي زر الاتصال , فسمع صوت رنين , و ما زال الرنين مستمرا حتي ظن أن صاحب هذا الرقم لم يعد متاحا في الخدمة بل لم يعد متاحا في الحياة , لشدة ما يبقيه علي الهاتف منتظرا هذا الوقت ليجيب عليه , أخيرا أجاب .

قال له :

أين أنت يا حسن ! أقوم بالاتصال عليك و لا تجب علي الا متأخرا هكذا ؟

فقال بتثاؤب :

كنت نائما !

فقال " محمد " :

أين أنت الان !

أجاب :

في المنزل !

سأله :

و أين زوجتك ؟

فيقول :

في المستشفى !

ثم يقول و قد زادت نبرة الاهتمام :

أين زوجتك أنت ؟

يقول باستغراب :

ماذا ؟

فيعيد له السؤال :

أين زوجتك ؟

تأكد من ما سمعه و قال :

هنا بالتأكيد !

سأله " حسن " من جديد :

هل زوجتي عندك !

أجاب :

لا بالطبع !

فيقول :

أين هي اذن !

أجاب :

لا تعرف أين زوجتك يا حسن !

ظل يهمس بكلام غريب في الهاتف !!

قال محمد :

ما الذي تقوله ؟

أجاب بعد ثواني :

لقد عرفت أين هي , لا أريد منك شيئاً .

قال :

أين هي ؟

صمت بعض الوقت ثم قال :

معي هنا !

أطمئن و قال :

كيف هي حالتها اليوم !

أجاب :

كالعادة !

ثم أردف :

بخير .

فقال حسن مبتسما :

جيد !

ثم سأله :

هل تريد أن اتي لك !

قال بلهجة غضب :

لا .. لا تأتي !

قال " محمد " :

لما غضبت هكذا ؟

أجاب :

فقط لا تأتي ؟

قال :

قل لي لما ؟

أجاب لهجة تشتعل غضبا :

فقط .. لا .. تأتي !

ثم أردف :

أفهمت !

قال مستسلما :

حسنا , لن اتي !

ثم أردف :

كما تشاء , لكن حين تحتاج الي في شيء فقط أتصل بي علي هذا

الرقم سأتي اليك مباشرة !

ثم أردف :

أنت أخلص صديق لي يا حسن !

فيجيب و قد هدا :

لا أعرف كيف أشرك !

قال :

لا تشكرني يا حسن , أنت شيئا عظيم بالنسبة لي ! أنت صديقي .

قال مرة أخرى :

لا أدري كيف أشكرك !

قالها مجددا !!

قال " محمد " :

لا شكر علي واجب !

سمع صوت تكسير عالي , قال بقلق :

ما الذي يحدث عندك !

أجاب :

لقد كسر شيء !

قال :

ما الذي كسر ؟

أجاب بصوت منخفض :

المرأة , كسرت !

و صار يضحك لثواني , قال " محمد " :

من الذي كسر ها !

فقال بصوت يكاد يسمع :

أنا !

صوته كان لا يمت له بصلة علي الإطلاق !

توغل القلق في " محمد " فقال :

أنت كسرتها ؟!

ثم أردف :

لماذا يا حسن ؟

قال :

لا أستطيع أن أنظر لوجهي في المرأة يا صديقي !

ثم أردف :

لا أحب نفسي !

قال :

كيف لا تحب نفسك ؟!

أجاب :

لا أحتمل أكثر من هذا !

و قبل أن ينهي " حسن " المكالمة قال :

ولا تحاول الاتصال علي هذا الرقم مجددا !

و أغلق الهاتف بقوة !

فلم يتوقف عقله عن ما يدور حول ذلك الرجل , و كيف يتكلم معه ؟

ألم يكونا صديقين منذ أيام , الآن ماذا حدث ! الان قد تيقن أن صديقه

حدث له العديد من التغيرات في تلك الفترة التي أنقطع عنه فيها , منذ آخر مرة كانا يتكلمان و لم يكن هناك شيء مثل الان , كان كلامه طبيعيا كأني بشري , لكن هناك ما حدث و جعله هكذا , و كان يظعر علي وجه " محمد " القلق و الريبة , فقالت له زوجته بقلق هي الأخرى :

ماذا هناك يا محمد ؟!

قال :

حسن ؟!

أجابت :

ماذا به ؟

قال :

حالته غريبة !

سألته مجددا :

حاول توضيح ما تقول يا حسن .

أجاب و كله ألم :

يبدو أنه يعتزل الناس , و يبقي منفردا في منزله !

قالت :

أعانه الله يا محمد , فهو قلق عي زوجته و هذا قد يكون ما جعله يظل
منفردا بعيدا عن الناس !

قال " محمد " :

هل تقولين بأنني يجب أن أذهب لأزوره ؟
قالت :

ولكن أولا قل لي ماذا قال لك قبل أن أعطيك النصيحة ؟
قال :

كان متشائما !

فصمت ثواني ثم قال :

و لا يريد أن يتكلم معي حتي أنه أغلق الهاتف في وجهي , أغلق
الهاتف في وجه أعز أصدقائه يا فاطمة !!
قالت :

فيما يبدو فهو لا يريد أن يتقابل مع أحد اطلاقا !
ثم أردفت :

لذلك لن ينفع أن تزوره يا محمد , لأنه من المحتمل بأنه لو رآك
لأغلق في وجهك الباب مباشرة !
قال :

و ما الحل ؟

قالت :

أين نيهال ؟

كأنها أشتعل في رأسها فكرة للتو !

فقال :

غالبا في المستشفى !

قالت :

سأذهب غدا لأقابلها ؟

قال متنيها :

ماذا تنوي يا فاطمة ؟

أجابت بثقة :

سأحاول فعل شيء جراء ما يحدث !

قال :

لا تفسدي ما نحاول فعله !

قالت و في فمها الثقة :

لا تقلق , أعرفها جيدا !

قال و قد ترك جسده يتمدد علي الفراش :

يا الله , يسر علي صديقي حسن , و رده الينا ردا جميلا !
ثم نظر لزوجته و قال :

امين !

فرددت خلفه :

امين !

فتركها و غاط في النوم علي جانبه الآخر , بحيث لا تقع أمام مرمي
بصره , ليتركها كما هي , تفكر بغد و كل شيء بالامكان أن يتغير من
جاء ما يتقوله لنيهال . و لكن كانت تعد كل ذلك و هي قاربت علي
النوم فلم تكمل تلك الأفكار و راحت هي الأخرى في نوم عميق مذهب
, لا تفكر . بل لا تدرك فقد أصبح كل ما أمامها و ما خلفها ظلام دامس
, الفضاء الفارغ فقط الذي لا يظهر أي أبعاد له , لا زمان , لا مكان ,
لا عمق , و كأن لا فيزياء في ذلك العالم !

كان في الليل مثلما كان في الصباح , لا يفعل شيئاً مما يطري له قلبه ,
أو يسعد حتي لحيته الكثة التي نمت و بسرعة رهيبية لغيابه عن غسلها
ليومين علي الأقل ! بل ليس له نية مستقبلية لفعل ذلك , و لو أغرم
بفعل قوة خارجية لا يتحكم بها و لو لعبت الجن بعقله لن يتزحزح عن
موقفه , و كأن موقفه هذا ستخر له الجبال وهو لن يخر , يحسب أنه
صلدا ليقف , لكن ما أن يري ما سوف يري , حيناً مقبلاً قد يغير رأيه
في كثير من تلك الأمور بخصوص اللحية و قلة الماء !

بين البارد يجلس , ظهره علي الحائط يستشعر كل قطعة منه , ولا
يبأس أبداً من أن يأخذه الصقيع الي أكثر برودة لكن ما يهم هو البقاء ,
ما يهم هو أن تبقي , لذلك كان لا يحلم بشيء , لا يفكر , لا يستوعب ,
لا يقبض , لا يبسط , تعدد النفي عنده فصار كأنه قطعة " هلام "
تجيء و تذهب مع الريح الغادرة . و كان الوقت قد قارب علي ما قبل
منتصف الليل بدقائق , طالت أو قصرت تلك الدقائق فهو لن يعنيه
شيء . جالس هو يعجبه ذلك الحال , فقرر في لحظة الوقوف و
الذهاب الي الشرفة للنظر الي الشارع الخالي , الذي لا تنبض فيه حياة
, و لا ينبض فيها بشري بالحركة أو يدب فيها بخطوات تسمعه توقظ
نقير الكلاب من بيوتها . و تجعل هناك نوع من النشاط , أو نبض

العروق الساكنة , لذلك قرر هو بسيره الوئيد مقتربا من تلك الشرفة ,
التي يقف ليضع ذراعيه بتشبت علي حديدها , و نظراته لا تبتعد الا
يمينا و يسارا عن ذلك الشارع المقيت .

لاحظ خلو ريقه و من سيل لعبه أن هناك شيء مفقود لليوم لم يعمل
به , أو يأخذه مأخذا جادا في أعمال ذلك اليوم الذي لا يتضمن الا
الاستيقاظ و النوم , لذلك كان حيا به أن ذلك الشيء أن يكون من ضمن
الرئيسيات في حياته , كانت علبة صغيرة تضمن ثلاث سيجارات أو
أكثر هي ما تبقت , في الاونة الأخيرة تصعد الأمر به كثيرا الي محمل
الجد , فصر كمن أستقبله الاكتئاب بصدر رحب فلا يلبث الا أن يعتنقه
و يبكي , و يجعل منه رفيقا و أكثر من ذلك صديقا و فيا مخلصا , هذه
الصفات لا تشتمل بالكاد علي أحد في هذا العالم , لكن الاكتئاب
كشخص يعيش بيننا بامكانه أن يصبح صديق و فيا مخلصا , يا لعجائب
الزمان !

أخرج احداها من بين أكثريتها تلك , و أشعل فيها بعود ثقاب كان
متواجد أيضا بين جوانح تلك العلبة الصغيرة , أخذ يتنفس من تلك
السيجارة و ما أستغرق ثواني حتي عادت له النشوة المطلقة , لحظات
يسيرة تمر علي تلك التجربة بما يتضمنها من شعور بالنجاة , من

شعور بالفرار , من شعور بالهروب من المجتمع , و ما يثلج قلبك و يجعله يثار غيظا و حقدا فكأنه ذلك الذي يبرد قلبك , و لا يسمح لك بالغضب , لو علم " ابليس " بوجود تلك الأشياء لأمر بتدميرها من كل دول العالم , بما فيها من تعطيل لمصالحه الشخصية بين البشر و بين الخير من وجه ثانوي ليس هذا من وجهته الأصلية , لكنه يعيق التقدم أيضا !

أنفاس الدخان كحلقات لا تنتهي من فم ذلك الرجل " العتيد " , يتنفس مواد كيميائية بدلا من مواد طبيعية , يسلك مسارا مختلفا عما كان عليه , فيجعله يفعل ما يعجز عنه الطفل الصغير و أحلامهم التي تتمثل في أن يلمسوا أذنهم من حول رأسهم ! و جعل ما لا يمكن أن يحدث يصير حقيقة أمام عينيه , هذا من تأثير ما يأخذ منه أنفاس تتضاعف كل ما أشتهي المزيد , و لا ينتهي ذلك المزيد الا بانتهاء قطعة السيجار الرديئة تلك , ما الذي جعله يميل كل هذا الميل الي ذلك الطريق البائس , ليس هناك ولا حتي نفر من البشر ليتعايش معهم , و كانت وحدته من نتاج أفعاله .

ثم يراقب ذلك القط الذي يلهو في حدائق " القمامة " التي تتواجد كالعادة حول احدي الصناديق البلاستيكية الصنع , و لكن ما صنعت

منه لا يدافع عنها حين يتم تكسيرها - بدون عمد - من قبل أشخاص مجهولين , فتجعل هي تلك القطعة - البريئة - ما يخلفه الناس حول تلك السلة , مكانا متحفي المظهر للقمامة , فتخرج ما بداخلها و تبدأ في أكل ما يحلو لها و تترك الباقي ملقا علي الأرض , بلا أهمية و لكنه في " منطق البشر " قد كون لوحة يجب بل و حتما أن تأخذ جائزة علي هذا " الإبداع القططي " في الرسم !

كان يشاهد ذاك بملل لا ينقطع فكان فيما يبدو أنه مثل البشر , يتركون ما يخلفون , و لا يأهبون , فجعل يترقب أكثر اختفائها خلف أحدي السيارات و لم تعد لتظهر مجددا , يبدو أنها شعرت بأن " بشري " يتطفل علي خصوصيتها ليلا , فراقب ذلك بضحكة تخلو من شيء مضحك !

انتهت أنفاس الدخان من حول فمه فتذمر من جديد حتي أخذ قطعة
أخري منها ليستطيع فقط إكمال النظر إلي " زقاق " تلك المدينة التي
لا تترك رجلا إلي حقت عليه , و لكن هي فقط ما تبقي له . و هذا ما
جعله أيضا يتواري في الظل , لأن مصيرا من هذا أو ذاك ينتظر أن
يحدث له من قبل من مثله !

لم يكن يستطيع أن يقضي المزيد من الوقت بدون السجائر , منذ أيام اعتاد عليها عتيادا شرها للغاية , فأصبح بمثابة مدمنا عتيدا , و لا يريد أن يفارقها بعدما كان ذلك الرجل التقى الي يشهد له بالصلاح و ما كان يته ربه هو صداقته الوطيدة مع " الشيخ محمد " مما أكسبته المزيد من الاحترام , و لكن تناثرت بعض هذه الصفات أو كلها تقريبا , فلم يعد يشعر بأنه كان من العباد , أو أنه كان مم يحافظون علي الصلاة في المسجد . ليلا أو نهارا , أو أنه كان ممن يشهد لهم بالخير في تلك المدينة , و لكن ذلك كله قد أندثر تحت أتربة السجائر و المزيد من العادات السيئة الي أندمجت معه أيضا , و ما كانت الا ثلاث أشياء في يومه , الاستيقاظ . السجائر . النوم , تلك هي ما ينوي القيام به في كل يوم و ليلة .

و ظلت معه السيجارة توقد و تنطفأ , بسبب الأنفاس التي تضيء و تنقطع من فمه المتلذذ بها , مرت عليه ساعة لم يشعر بها سوي بالشهوة و النشوة , شيئان في سيجارة واحدة , و كانت هي نقطة الانطلاق في تلك الليلة , حين أنهت ثاني السجائر لذلك اليوم , فلم يكمل الوقوف بلا هدف هكذا , فدخل بلا شعور أيضا الي الداخل و أغلق النافذه , و سار بضع خطوات و العلبة لا تزال في جيبه , لم يحن

موعد الثالثة , فما كاد يكمل سيره حتي هوي علي الأرض بلا حركة ,
أنام هذا الرجل أم لا ؟ لا يعرف له شأن فهو من هذا الشكل هو تأثير
سجارتين في رجل مكتئب , قضي ليلته في الأدخنة التي ملئت جعبة
قفصه الصدري , فانفجرت في جسده و في خلاياه و تحكمت الأدخنة
في جسده كاملا , و لم يعد يتحرك . ألا أن للسجائر شأن عظيم ف
بلادنا العربية !

قال لها و هو يأخذ لقمة :

متي ستذهبين لها اليوم يا فاطمة !

أجابت :

بعد الفطور بإذن الله !

قال :

حسنا , و اذا حدث شيء فقط قل لي .

أجابت بلقمة تدخل فمها :
بالتأكيد .

ثم أستمرأ في تناول الطعام حتي أنتهيا منه و قاما من حول المائدة الصغيرة , هما أثنان فقط ! و قام كل منهم بغسل يديه ثم ذهبت " فاطمة " لتعد ملابسها و تقوم بارتداء ما يناسب , و كانت في دقائق جاهزة للرحيل , و كان " الشيخ محمد " يجلس علي الأريكة في الخارج يحتسي كوبا من الشاي كما يهوي بعد كل مائدة , و بعد كل طعام . نظر لها و قال :

لا تتأخري يا فاطمة !

قالت بابتسامة :

بإذن الله !

ثم دلفت من المنزل من بابه و أخذت معها مفتاحا كان يمت بصلة لباب الشقة موضوعا علي طاولة في مقابلة الباب . و تركت حسن يصدر أصوات متتالية من احتسائه لكوب الشاي , رشفة واحدة منه معها صوت خرير ماء لا يطرب الأذن شيئا , و لكن هكذا هو يحتسي و هكذا هو في عادته اليومية .

فقام بعد انتهاءه من شبه كوب من الشاي , ليمسك الهاتف الخاص به من داخل الغرفة و يجري اتصالا هاما , كان ينتظر أن يجريه و لكن المجال قد أصبحا متاحا الان لكي يفعله , أخرج رقما مميزا من بين الأرقام الأخرى , و كان يحمل أسما أيضا , فضغط عليه و ضغط علي زر الاتصال , سمع صوت دقات الهاتف ثم بعدها سمع ذلك الشخص أخيرا و هو يقول :

السلام عليكم !

فيقول بابتسامة تملو شفثيه :

و عليكم السلام !

ثم أردف حسن :

كيف حالك يا أيتها الطيبة ؟

أجابت :

بخير يا أستاذ محمد !

ثم يقول و قلبه بنفطر :

كنت أريد طالبا منك ؟

أجابت :

قل , أنا أسمعك !

قال :

ما رأيك في أن نذهب الي نادي لنجلس سويا ؟!

أجابت بعدم فهم :

ماذا تقصد يا أستاذ محمد ؟

أجاب :

نذهب للجلوس سويا , لنتحدث قليلا !

ترددت قليلا و لم تتكلم , ثم قالت :

و لكن ماذا تريد مني !

ثم أردفت :

لم أعد أشعر بالاطمئنان لك في الآونة الأخير يا أستاذ محمد , تطلب

مني أشياء ليست معقولة بالنسبة إلي !

قال :

هناك أمور أريد أن نتحدث فيها و لكن ليست علي الهاتف بل وجها

لوجه !

قالت :

حسنا , و لكن متي سنتقابل !

قال بسرعة :

الان !

ثم أردف :

سأرتدي الثياب و اتي الآن لأخذك من المستشفى لكي نذهب سويا ,
لأنك لا تعرفين أين ذلك النادي !

قالت :

و أنا في انتظارك !

حقا لم تكن لتتفق بها !!

قال :

لن اتأخر !

ثم أردف متذكرا شيئا ما :

هناك أمر , سأتي لأخذك و لكن سنتقابل من المبني الخلفي للمستشفى
و ليس من الأمام .

قالت غير متفهمة :

لما كل هذا ؟

أجاب :

زوجتي ستأتي اليوم لتزور " نيهال " . لذلك لا يستحسن أن لا ترانا

هكذا !

أجابت :

موافقة !

و أغلق معها تلك المكالمة " السعيدة " !

في ذاته كان يحب مثل تلك اللحظات , حينما يحصل علي ما يريد بأقل تكلفة كانت , لذلك هرول في تجهيز ملابسه و كل ما يجعله جميلا وسيما ليست به عائبة , ووقف أمام المراة يقوم بتعديل ملابسه للمرة الأخيرة ثم دلف خارج الغرفة , حتي وصل الي الباب و أخذ مفتاحا ثانويا كان موضوعا خلفه و أغلق خلفه الباب بهدوء . كانت رحلة ممتعة ذهابا بالسيارة للقائها , كان لا يفعل شيء أثناء القيادة سوي ترديد أسمها و كيف سيتكلم معها , تلك النمطية في التعامل , هو يريد أن يخلق أسلوبا حواريا ليستطيع أن يجلب نظرها اليه بأي طريقة كانت . و هو ما يفعل .

المبني الخلفي للمستشفى كان بعض الشيء السيارات فيه كثيرة , و الأكثرية كانت لسيارات المستشفى الخاصة , لذلك قبل أن يكمل في الطريق داخل هذا الموقف الخاص , قام بالاتصال عليها , و قال لها :

أين أنت ؟

أجابت :

انا أقف خلف سيارات المستشفى !
فأجاب و هو يضغط علي الوقود :

ساتي اليك !

أجابت :

في الانتظار !

و ألتف من حول تلك السيارات الضخمة , التي تحمل شعار المستشفى
, و راها بالفعل كانت تقف وحدها تتلفت يمينا و يسارا حتي وقع
نظرها علي سيارته النصف فارهة التي يقبل بها عليها , يبدو أنها
كانت مستعدة بأناقتها أيضا , فوقف بجوارها مباشرة , و أنزل زجاج
السيارة و نظر لها و قال :

هيا ! (بنظرات حانية)

قامت بفتح باب السيارة و جلست علي الكرسي ثم أغلقته بنفس الهدوء
حتي كانت تردد في نفسها :

فليمر هذا اليوم علي خير يا الله !

و أنطلق بها و كانا في سيارة واحدة , في الطريق كان تركيزة نسبة
منه الي الطريق و النسبة الأكبر اليها , لذلك نظراته من حين لآخر لم

تكف طوال الطريق , و كانت دائما ما تتحاشي النظر اليه , فقد كان كأنه لم يري امرأة من قبل !

حتي كانا أمام ذلك النادي بالفعل الذي قال لها عليه , كان نادي أقل ما يقال عليه فقط ملئ بالأشجار و به بعض الحدائق , يكفي للجلوس فيها علي طاولة صغيرة للحديث , دخلا ذلك المكان بعدما وضع سيارته خارجا في جانب النادي , و كانت تلك الحدائق الزهراء جميلة , كانت تجلب أنظارها الي ذلك المكان بقوة , أشكال الورود المختلفة و ألوانها الزاهية و المتفتحة , حتي ظنت بأنه قد يكون يستطيع اختيار بعض الاشياء , ولو بنسبة قليلة , و لكن ما لا يتغاضي عنه هو نظراته الحانية . مقززة للغاية !!

لم يتركها حتي هنا بنظراته تلك حتي اعتادت علي " حرمانه " ذلك , أخرج لها كرسيها قبل أن تجلس و قال بـ " رومانسية " :

تفضلي بالجلوس !

قالت :

شكرا !

ثم جلس هو أمامها و قامت بوضع حقيبتها الجلدية علي الطاولة , ثم نظراته واصلت فعلها , و لكن ما لبث أن قال :

هناك أمر أريد أن أقوله لك ؟

أجابت بملل :

قل , أفصح (بتعبير استهزائي)

قال مبتسما :

أظن أنك لاحظت تغير في علاقتنا في الفترة الأخيرة !

قالت مستدركة :

من جهتك أنت , أنت الذي تتصل بي !

قال مطئطاً رأسه :

نعم أعلم !

ثم أردف :

و لكن لتلك التغيرات بالطبع أسباب ؟!

قالت :

و ما هي تلك الأسباب يا أستاذ محمد ؟

بدت عليها نبرة الجد .

قال و كأنه يشرح :

منذ أن قالت لي زوجتي بأنك من أسعفتها و قالت لي بأنك مهذبة و لا

يتسن يلك لومة لائم و لا طرفة عائب , لذلك قررت أن أتصل بك في

المكالمة الأولى , ان كنت تذكرها فقد قلت لك بأني أريد أن أقابلك
لأسال عن أحوال زوجتي , و ماذا حدث لها , و في نهاية ذلك اللقاء
لمحت في عينيك الابتسامة قبل ان أغادر , لذلك شعرت بأنها ليست
نهاية لقاءاتنا سويا !

قالت :

يبدو أنك لا تعرف شيئا !

قال :

لا , أعرف جيدا يا عائشة !

" لم يقل أي لقب في الاحترام , لقد كان فظا ! "

قالت :

عائشة !

أعاد الكلام متأسفا :

أستاذة عائشة !

ثم أردف :

أعرف أنك تريد أن ننهي ذلك اللقاء سريعا !

أجابت مبررة :

لا , لا أكمل ! (استهزاء أيضا)

قال مبتسما :

هناك رابط بيننا !

قالت بعدم فهم :

أي رابط هذا ؟! لم أكن أعرفك من قبل حتي تقول رابط يا أستاذ محمد !

" هذا هو الاحترام "

قال :

الرابط شعرت به في لقائنا الأخير أيضا , و أعلم أننا لم نكن نعرف بعضنا البعض , لكن هذه هي الحياة .
ثم أكمل بسفسطة :

العلاقات البشرية تظهر تلقائيا , بدون أن نتدخل فيها الا في لحظات قلائل في مرحلة ما في تلك الصداقة أو العاقبة , أفهمتي الآن !
أجابت بنفس السفسطة :

العلاقات يجب أن يكون لها بداية حقيقية لكي تتكون , و أنت تقول بأنك حين قابلتني أول مرة شعرت فقط من نظرات عيني , و لكن هذه ليست بداية حقيقية .

" سفسطة + سفسطة = سفسطة " !

أجاب :

اذن , من ما تقولين أفهم بأنك تريدين بداية حقيقية !

قالت بتبرير واضح :

أقصد بأن لكل علاقة بداية حقيقية !

قال :

بداية حقيقية ؟

أجابت :

نعم !

يبدو أن هناك فكرة أشتتت في علقه العديد من البدايات الحقيقية , قم باختيار واحدة منها ثم قام بحركة مفاجئة و قبلها من وجنتيها , لحسن الحظ أنها لم تأتي " مباشرة " ! لتدل علي بداية حقيقية بل و عميقة في ذات الوقت , هذا من مبادئ السفسطة !

جعلت تزيل بقايا تلك " القبلية " من وجنتها , بمحرمة كانت في يدها , تزيلها بكل قوتها , و ما لبثت أن عادت بغضب لتقول :

يبدوا أنك قد تهاديت جدا !

أجاب بهدوء :

أنت تريدين بداية حقيقية ؟!

ثم قال مبتسما :

تلك بداية حقيقية !

أجابت بغضب مكظوم :

ليست تلك ببداية يا أحمق !

" من السهل نشر الفضاظة بين الناس ! "

قال :

البدايات الحقيقية دائما ما تكون مادية , أليس كذلك ؟!

ليتها لم تكن تعرف أي شيء بخصوص البدايات الحقيقية !! صمتها

كان غضبا منه , لذلك لم تعد تتكلم للحظات ثم قالت :

المادية دائما ما تكون في النهايات يا أستاذ ؟!

أجاب :

جيد انها أتت مبكرا !

ثم أردف :

أنا لا أريد أن تسأمني مني , أنا فقط أريد أن تبقي بيننا تلك الرابطة !

أجابت :

أنت كنت تحاول أن تقضي عليها الان !

قال :

انها رابطة متينة يا أستاذة عائشة !

قالت :

ولكنها هشة , لاننا لسنا في بدايتها مطلقا !

ثم اردفت :

البشر دائما جامدون في قبل البدايات , لم يتخطاها أحد , علي الأرجح أنهم يتبعون مبدأ " إن اقتربت احترقت " و لكن قليل من يطبقون مبدأ " إن اقتربت اخترقت " .

قال :

و نحن أي منهم الان ؟

أجابت و لا تزال هوامش الغضب عليها :

نحن لسنا في التصنيف !

قال :

لما , ألسنا بشر ؟!

قالت :

أنت لست بشرا , و يجب أن تكون الرابطة بشرية لتكون في قبل البدايات علي الأقل .

قال :

حسنا , يبدوا أن هذا الموضوع لن ينتهي !

ثم أستطرد :

هناك ما أحب أن أقوله لك و سأغادر بعدها !

قالت :

لأسرع , قل !

أجاب بعد تنهيدة :

أنا أحبك !

" كلمة الحب دائما ما تكون ثقيلة علي الطرفين " !

ثم قام من علي المنضدة و تركها مذهولة كل هذا الدهول , يبدو أن الحب قتلها , و جعلها لا تنطق , ولو حرفا ! بلا أي رد فعل , ثم وضع لها ورقة مطوية و سار مبتعدا عنها , خرج من ذلك النادي و أستقل سيارته و هم بالذهاب عائدا الي بيته . لم يكن مهتم بشيء مما حدث ! كانت الصدمة عليها ثقيلة نوعا ما , كلمة الحب لم تسمعها من قبل , لم تشعر بتأثيرها من قبل , قلبها لم يكن يطاوعها في الحركة بل كان فقط يريد أن يجلس و يستشعر تلك الكلمة من جديد , الحب و ما يجعل المرء منا مختلفا بين حالة لأخري , كانت تنظر لتلك الورقة و تقول أنه بالتأكيد ترك لها شيئا متعلقا به لأنه يعلم بأنها ستكلمه مجددا ,

لسبب أو لآخر ستكلمه , ليست تطلب تفسيراً و لا توضيحاً و لكن هذا
جذب من الوتر الضعيف في القلب , ألا و هي الحب !
أمسكت لتك الورقة و بدأت بعناية تفتحها , لتجد ما كتب بخط يدوي
حاد , الحب ليست كلمة تقال و لكنه شعور يحص . ذيل تلك الجملة
حساب " الفيسبوك " الخاص به ! يبدو أنه يريد أن " يحب " بعيداً
عن أنظار زوجته عبر الرسائل النصية , لم تبدي أي رد فعل علي
وجهها , فقط قامت من علي الكرسي و خرجت من النادي تنتظر أي
وسيلة مواصلات لأرجاعها الي المستشفى , لم تنتظر حتي أتت
السيارة المنشودة , و أستقلتها عائدة الي المستشفى من جديد . في
الطريق لم تكن تفكر سوي في شيئين متناقضين , محمد و الحب .

كانت " فاطمة " قد وصلت الي المستشفى بالفعل , أقتربت من موظف
الاستقبال و جعلت تسأله :

زيارة الي مريضة عندكم تسمي " نيهال " !
أجاب بعد بحث علي جهاز الكمبيوتر :

نعم , في الطابق الثاني !

قالت و هي تغادر :

شكرا !

ثعدت علي الدرج وصولا الي الطابق الثاني , كان هناك العديد من
الغرف فبدأت في تفقد الغرفة الأولى التي كانت بجانبها , وجدتھا !
كان لحسن حظھا أنها قريبة من السلم , فدقت علي الباب ثم فتحتھ , و
كانت في الداخل الممرضة لا تزال جالسة علي كرسي بجانبھا , و
رأت أنها لا تزال نائمة , و كان وجهھا لا يوحي بالخير , فأقبلت لتقف
بالقرب من السرير و علامات القلق زادت علي وجهھا , و قلبھا يريد
أن ينفطر من مشھدھا هذا , وجهھا شاحب و تبدو كھيكل عظمي , و
لا يظهر في جسدها شيء سليم , و كان هناك قطعة قماش فيها بقع
حمراء كبيرة , بعد أن تفقدتها بعينیھا , دماء !!

تلك الدماء لا تزال داخل هذا القطن و القماش , ثم نظرت الي "
الممرضة " و قالت :

متي ستستيقظ ؟!

ثم نظرت الي ساعتھا , و قالت :

من المفترض أن تستيقظ بعد قليل .

ثم نظرت اليھا , و لم تكن فيها أي حركة تشير بأنها تستيقظ بعد !
فأخذت كرسي من أحد الجوانب في تلك الغرفة المتوسطة , و جلست
بجانبھا .

تنتظر استيقاظها لتحاول أن تطمئن عليها فقط , لأنها فعلت لها من الخير الكثير , خصوصا في الزيارة الأخيرة , و ذهابها معها لتتأكد من حالة الجنين سويا , و هي التي ظلت معها في مرضها , و هي التي لبث طلبها حين قالت لها بأنها تحتاجها و عادت اليها من السفر , انها لا تستحق كل هذا , انها الخير و الخير يتمثل في جوارحها كما لم يشهد العالم من قبل !

نظرت " فاطمة " الي الفراغ و جعلت تكلم نفسها :
يا نيهال , كم أنتي صديقتي , كم أنت حبيبتي , كم و كم و كم ,
تعددت أسباب ما أحب قوله لك , لذلك يا حبيبتي أنا بانتظارك .
كانت تغني لها أكثر بصوتها الهادئ !

ثم نظرت اليها من جديد , رأت جفونها تتحرك , و لكن حركات بسيطة فقامت علي الفور و قالت بسعادة :

نيهال , نيهال !

ثم ما لبثت عيناها أن نظرت لها بالكلية , و قالت " فاطمة " :

نيهال حبيبتي , لقد أستجبت لندائي !

كانت تبتسم فقط , ثم قالت بتقطع :

فاطمة .. فاطمة !

قالت :

أنا معك يا نيهال !

قالت :

يوسـ .. يوسف , أين هو ؟!

نظرت الي الممرضة , فقامت بإحضاره من فراشه الصغير الذي كان بجانبها و أخذت " فاطمة " منها الولد الصغير , و قربته منها و هي تقول :

ها هو ذا !

ثم أكملت بتبسم :

يوسف !

مدت يدها ببطء و لم تكن لتستطيع حمله , فساعدتها " فاطمة " قبل أن تعطيها اياه و قالت :

لن تستطيعي علي حمله ! سأضعه بجانبك هنا .

نظرات كانت تحكي العديد من قصص الدموع و قصص الشفقة , مجرد ابتسامة من فاطمة هي الأمل , وضعت جانبها لكي تطمأن عليه و يكون أمامها حيا يرزق و لا تقلق عليه فقيرا , و جلست هي الأخرى في مواجهتها , لتبدأ حديثا معها , قالت لها بابتسامة :

يا نيهال !

انتبهت لها و قالت :

فاطمة !

قالت :

كيف حالك الان ؟

أجابت :

تبقي القليل !

قالت بتركيز :

القليل من ماذا ؟

أجابت بهدوء :

القليل من الدقائق .

قالت :

لا زالت أمامك الحياة بكاملها , لم تقولي هذا مبكرا للغاية !

نظرت لها و قالت :

ان كل الا واردها !

ثم أردفت :

قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم .

قالت فاطمة :

ليس هذا ضمن نطاق حياتك الان !

ضحكت و قالت :

في كل وقت !

بدأ وجهها في الشحوب أكثر ولكن لا تزال تتكلم , هذا هو الوضع

الطبيعي !

قالت :

انا أعلم أنه في كل وقت و لكن أنتي يا نيهال شابة عشرينية !

" عشرينية " تلك تستحق عليها السب و القذف !

ضحكت بفتور , و قالت :

أنا لم أصبح عشرينية الان , لقد صرت بلا ملامح في العمر !

ثم أكملت :

أنا مزيج من الشباب و الكهولة !

قالت فاطمة :

حياتك ستتحسن ان شاء الله !

قالت بنفس اللهجة :

ان شاء الرب !

قالت :

هل أصبحت مسيحية أم ماذا ؟!

أجابت :

لا , من قال هذا !

أجابت :

أنت قلتي الآن .

قالت :

ما الذي قلته ؟!

قالت :

لقد قلتي " ان شاء الرب " .

أجابت بضحك :

و هل هذا يدل علي أنني أصبحت مسيحية !

أجابت :

الله ليس أسمه الرب !

أجابت بنكهة من " السفسطة " :

و الرب هو الله ! أنتوقعين هذا ؟!

أجابت :

لم يذكر في القرآن الكريم بأن الله ذكر باسم " الرب " ككلمة واضحة
صريحة ؟!

قالت :

أعندك كتاب الله !

ثم أردفت :

أقصد القرآن الكريم ؟!

أجابت :

نعم .

قالت :

الصفحة الأولى , سورة الفاتحة , الآية الأولى . اقرئها !

قالت :

الحمد لله رب العالمين !

تبسمت " نيهال " وقالت :

في فاتحة الكتاب ها هي !

ثم أردفت :

أعندك ما تقولين ثانية يا صديقتي !

أجابت مصدومة من " جهلها " :

أخذنا و الله و ما نشعر !

قالت :

الحمد للرب علي هذا !

أغلقت المصحف ووضعتة كما كان في الحقيبة , و نظرت لها و كان
وضعها المتقلب يثير الحزن و يجعله كالجبال لا تخر و لا تنسف .
فقالت لها مؤنسة :

هل بإمكانني أن أظل معك لليوم !

تدخلت الممرضة و قالت :

يجب أن نستأذن الطبيبة أولا ؟

قالت :

و أين هي ؟

أجابت :

لا أدري و لكن هي بالتأكيد في مكتبها !

قالت :

هلا تذهبي لتأتي بها من فضلك !

اومات رأسها ثم قالت :

بالطبع .

و قامت من مكانها و دلفت لتبحث عنها , فجلست " فاطمة " علي
الكرسي لتتقرب منها أكثر , و قالت لها بابتسامة :
هل تريدان أن أبقى معك ؟
أجابت :

سيكون هذا جيد , لتساعدني في البكاء علي حين أموت !
نظرات القلق و الغضب و هي تقول :
لم تذكرني الموت كثيرا يا " نيهال " , ليس الموت يسيل كاللعاب
لبصقه كل دقيقتين في أوجه الناس هكذا , الموت كلمة ثقيلة يا صديقتي
, لا تجعلها عادة في لسانك بل اجعلها ذكرى في قلبك و جوارحك .
قالت بهدوء :

لو تعلمون عليم اليقين .
ثم أكملت بنظرات ثاقبة :
لترون الجحيم .
أكملت ثالثا :

الموت هو المنتظر في كل الأوقات , هو حبيب الملايين كما يقال !
أخترقت الحوار في تلك اللحظة و قالت لهم :
الطبيبة ليست هنا !

قالت " فاطمة " :

هل تعرفين أين من الممكن أن تكون ؟

أجابت :

لا , لا أحد يعرف الي أين تذهب !

أستسلمت قائلة :

حسنًا , تفضلي بالجلوس !

أقبلت لتجلس علي الكرسي , و كانت لحظات الحديث قد نسي فيها ما

كان الكلام يدور حوله , فلم يعد له حبل لربط أوتاره من جديد , و لكن

قالت فاطمة كاسرة كل القواعد :

أعتقد أنه يجب علي أن أغادر يا صديقتي !

أمسكت " نيهال " بيدها الرخوة و قالت :

أريد لأحد أن يبقى معي ممن أعرفهم , لا أريد أن أبقى وحيدة هكذا

بلا أي شخص قريب مني !

قالت :

أتعلمين ؟! سأبقي معك !

ثم أكملت بسعادة :

أنت تستحقين هذا .

فجلسا يتبادلان تلك النظرات و أصبحا كقطعة واحدة لا تتفرق , و كان يوسف يبكي بين الحين و الآخر و لكن ما يلبث أن تداعبه " فاطمة " فيتوقف عن البكاء و الصراخ . و مرت المزيد من الثواني حتي قررت أن تجد ملابساً لترتديها بدلا من هذه الملابس , فنصحتها " نيهال " قائلة :

هناك حقيبة أسفل ذلك السرير !

قالت :

هل أتيت و معك ملابس أيضا ؟!

أجابت بهدوء :

- ألم أقل لك بأن كل الاحتياطات في جيبي !

ثم أردفت بتبسم :

نعم , علي الأرجح لم يكن أنت !

فأخذت " فاطمة " تبحث في الأسفل , قامت باخراج حقيبة حمراء اللون , عريضة و طولها ليس بطبير , و لكن ثقلها كان يوحى بالكثير من الأشياء في جعبتها حقا ! قامت بوضعها أمامها و ي تفتحها بهدوء , فقالت لها " نيهال " و هي تشير بصعوبة علي قطعة ما :

هذه ستناسبك !

اخرجت جلبابا من الحرير قد أهدتها اياها والدتها , كان منذ الزيارة الأخيرة التي لا تفتأ ذكرها في كل شيء , فأمسكت بها و قامت بتعيينها علي جسدها , أبتسمت " نيهال " بضعف و قالت :

كأن أمي هي التي ترتديها !

ثم أردفت :

تلك الخرقة الحرير أهدتها أمي لي أثناء زيارتي الأخيرة لها ؟!

أجابت بابتسامة :

انا حقا رائعة !

ثم أكملت :

شكرا لك يا نيهال , الان بإمكانني أن اجلس بجانبك علي سرير واحد

!

ثم أنطلقت فرحة بالملابس , و ما لبثت أن عادت بها و هي ترتديها بطريقة أكثر أناقة من الملابس ذاتها , فكانت كالجميلة في حبة البازلاء , أقتربت من السرير و قفزت لتجلس بجانبها , شعرت بالحرية الان .

قالت نيهال موجهة رأسها صوبها :

جميلة , أليس كذلك !

أجابت :

بالطبع , و ملمسها راقى للغاية !

ثم أردفت :

و الان بما أننا قد اقتربنا من المغرب , هل تريدان مشاهدة الغروب
مع بعضنا البعض ؟

أجابت :

كيف ؟

قالت و قد قامت لتبعد " النافذة " من مرمي البصر :

هكذا !

و أقبلت مجددا لتجلس بجانبها و قد أطلت بنظرها نحو قرص الشمس
الدائري , لونه يميل الي البنفسجي في تلك اللحظات و لكن له رونق
معين لا ينبثق منه و هو أن لكل غروب منه معاشا جديدا , و ما يميز
ذهابها و لو لقليل من الوقت هو أنها تمنح البشر فرصة أكبر للحصول
علي جرعة من " النوم " لساعات .

فكان النظر لا يبتعد حتي و قد بعدت نهائيا , لأنه كان الجمال في ذاته
و في طريقة غروبه , و كان الهواء العليل يصطدم بوجههما فيعطي
فقط لـ " فاطمة " السعادة و السرور من داخلها و من خارجها في
ابتسامتها و رأسها تسبق جسدها للخلف , بينما كانت " نيهال " تنظر

فقط , و لكن الدموع كانت كبحر في حجرة مقتلتيها , و لكن لم تسال
بعد , لأن السر في مرضها و هذا الدم الذي ليس له دواء إلا وقفه فقط
, هذا يحمل مصيرا واحدا في النهاية !

* * *

كانت تقترب من مبني المستشفى فقد كان بارزا من بعيد , كقوام بين
كل اولئك الأقسام المحيطين به , من قزم صغير الي متوسط الي قزم
كبير , لكن في النهاية يمثلون قزما بالنسبة الي ضخم , أو مبني
متضخم ! فطلبت بأن تقف أمام المستشفى , لترتجل من وسيلة
المواصلات التي استقبلتها بصدر رحب , كما لو أنها ضيف خفيف ,
فتنقلها حيث تشاء , فارتجلت بساقين ووقفت تنظر للمبني لحظات ثم
سارت داخله , و كأنها تري هذا المبني " الضخم " للوهلة الأولى , و
كان في استقبالها العديد ممن يعملون هنا بعبارات كثيرة , لم تستوعب
أحداها لسرعة إلقائها و لكن مضمونها يتمثل في (مرحبا) , هذه
الكلمة كمعني شامل أفضل من أي كلمة أخرى في المعجم العربي
.حتي و صلت في طابق معتادة عليه , الطابق الثاني كما يطلق عليه ,

أقبلت بالسير في تلك الردهة الطويلة إلى أبعد نقطة سحيقة حيث يقبع مكتبها الخاص , و كأنه نوع من الاحترام لكي لا يزعجك أحد , أنت حر في مكان سحيق عن الناس و عن مصادر الإلهاء لأي سبب كانت , أو مهما كانت هيئتها , مدنية أو عسكرية ! فأخذت تفتح باب المكتب بهدوء , و أقتربت من كتبها المتواضع في نظرها و جلست أمامه و عقلها يحمل الكثير من المفات للتفكير فيها , قد تكون في وقت واحد و لكن من الواجب حتما أن تفكر فيها و الا لن تخلد للنوم اليوم , بل ستظل الي فجر متجدد يوميا للتفكير فيها لو قاومت , و أغلب البشر لا يقاومون سوى ربع ساعة و ينطلقون في التفكير رغبة في " الرحمة " أو " الإغاثة الإلهية " لهذه الأفكار , فيشرعوا في اعطاء كل ملف حقه الي أن تنتهي جميعها .

و لكن لم يكن أمام مكتبها شيء , فكانت الراحة مبدأ في ذلك الوقت لتأخذ ناصيتها بها و تقرر عدم فعل أي شيء سوى الجلوس و رأسها للوراء و لا تفكر في أي شيء , لا وجود لملفات ولا وجود لأسباب تتعلق بها رغبة في الرحمة ! ليس هناك ذرة حركة في الغرفة !

* * *

جائها صوت عالي :

- يا طبيببة هناك حالة طارئة في الطابق الثالث , نحتاجك هناك !
فأسرعت تقوم و هي تقول :

- أنا قادمة !

بالفعل لم تهأ , فأسرعت خلفها في ذلك الطابق صعودا علي قدميها
الي الطابق الثالث , كانت حالة طارئة تنتظرها في الأعلى , كان هذا
عقابا من القدر علي أنها نامت في فترة المغرب !

علي طريقها في الأعلى تلقت خبرا بأن تلك العملية ستكون خطيرة
للغاية , و أنها تحتاج تركيزها الكامل , فكانت عملية في " القلب " لم

تكن تعرف ما هي نوع تلك العملية التي في القلب , قبل أن تري أحد
الاطباء الكبار في الغرفة الخاصة بالعمليات و هو يقول لها :
أسمتعدة يا عائشة !

فتقول و هي تضع الكمامة و اليدان الطبيتان :
مستعدة !

فتقترب لتعلم ما هي تلك العملية , أتضح لها جليا بأن هذه العملية "
قلب مفتوح " لذلك حاولت أن تفيق أكثر من الغيبوبة التي كانت تنوي
أن تهرب بها من العالم , و كانت قاربت أن تأخذها بعيدا الا أنها حان
ثدقا و حقا أن تعود لتؤدي واجبا في بشري يحتاج العلاج اللازم بل و
يحتاج العلاج و الدعاء في نفس الوقت !

* * *

كان " الشيخ محمد " في غرفته , يخرج الهاتف من منضدة بجواره
ليجري اتصالا علي زوجته , لمجرد السؤال لماذا تأخرت هكذا ؟! و
كأنه يهتم بها و لكن لمجرد مظهر فقط .

بحث عن رقمها و أسمها , فضغط عليها ليتصل , ثم جاء رنين الهاتف
يوحي بأنها تستقبل تلك المكالمة الان , فسمع صوتها :

مساء الخير يا مولانا !

أجاب :

- مساء الخير يا فاطمة العزيزة !

ثم أردف :

- زوجك في الانتظار منذ زقت طويل ؟!

أجابت بسعادة :

لا تنتظرني .

بتسأول قال :

لماذا ؟

أجابت بمرح :

سأبيت اليوم مع " نيهال " في المستشفى !

قال :

ألم تقولي لي بأن ...

قالت :

و لكن هذا ظرف طارئ لذلك سأظل معها !

أجاب مستسلما :

حسنا يا فاطمة . لك ما شئت !

أجابت بابتسامة :

شكرا لك يا محمد !

ثم أغلقت الهاتف و أعادته من جديد الي حقيبتها الجلدية , و جلست
تكمل معها الحديث الي أبد الأبدين إن شاءت و لكن المهم أن الحديث
سوف يحدث , سوف يحدث .

و جلس " محمد " بعد وضعه الهاتف جانبا , جلس يتابع التلفاز "
السني " كما كان يتابعه – كعادته – اليومية , هو في الأصل لا يشاهد

غيرها في برنامجه اليومي , و أحيانا قد لا يشاهدها لوجود أعمال أخرى لا تتيح له الفرصة بذلك , زوجته علي سبيل المثال . كيف يستطيع التوفيق بين هذا و ذاك , يحتاج برنامج لذلك و هو ما يفعل !
و لكن بما أن زوجته في الخارج فهي ليست ضمن جدول اليوم ,
يضمن هو في ادخال شخص اخر أيضا في هذا الجدول , و لكن ما زالت الأيام تعاند الانضمام اليه , و لكن يقينا سيأتي بسبب البريد الالكتروني الخاص بي علي " فيس بوك " , بالتأكيد سيفيد !

* * *

بعد انتهاء " العملية الجراحية " و التي ثبتت نجاحا باهرا لطاخم
المستشفى بأكمله و خصوصا لأن هذا المجال لم يكن متوفرا في تلك
المدينة المتوسطة في المعيشة , فحق عليهم أن يهنئوا بنجاحها نجاحا
تاماً و شفاء هذا المريض منها , فبعد تلك العملية , قررت " عائشة "
العودة مجددا الي غرفتها , لتعطي لنفسها بعض الراحة و لجسدها
المتهاك من التعب , و من أعصابه المدمرة التي لا توجد فيها طاقة
للقوف علي قدمين سويا , نزولا من الطابق الثالث الي الطابق الثاني
, العرق بدأ في الظهور علي وجنتيها و لكن لا بأس , أكملت السير
تجاه الغرفة و فتحتها بهدوء كمن يفتح " قبر " لا به أحد فبالتالي ليس
به أي تردد صوتي في ذلك المكان , أخذت الكرسي بيد و جلست عليه
ورأسها للوراء تماما , لو أصدر صوتها صوتا لhez المستشفى بأكملها

, ألم ما بعده ألم , صراخ كبير و عويل مكتوم , لا ينفذ إلا بطاقة و أين هي تلك الطاقة , لا يوجد بنزين أو سولار لكي تعمل ؟!

و لكن ما من مشقة الا بعدها راحة , مبدأ يسير لا يصعب تطبيقه في الحياة , فكان خمولها ذلك قد يؤدي بها الي النوم و لكن بقيت كما هي , و الكرسي ثابت بها الي الخلف , و رأسها هو المتحكم به , جسدها معطل , هذه هي حالتها ! و لكن هناك ما يسيل الغرابة في ذلك الموقف , لقد نسيت تماما أن عقلها قد نسي فتح ملفاته لليوم و هذا ما جعلها تركز في الألم أكثر من الملفات تلك , الألم كمصدر للصعادة فهو مصدر رئيسي بعد أن يذهب , لذلك من أجمل اللحظات في الحياة هي الانتظار للتخلص من الألم , و بالأخص لو كان جسديا . فذلك يعطي لك طاقة أكبر !

* * *

جلستا سويا , مع بعضهما كالصديقتين , في غرفة واحدة تجمعهم ,
ليست الفتيات حين يجتمعن أنه ستحدث كارثة , و لكن ستحدث حالة
فريدة من الحب بين قلب و قلب , و قد تتعدد القلوب لتصل إلي كوكب
الأرض بأكمله , و كانا يتسامران كالعادة في مساء ذلك اليوم , و القمر
قد بزغ ضوئه و عاد يسطو علي الشمس , سمع صوت يأتي من حقيبة
أحدهم بينما كانا في الحديث , نظرت " فاطمة " حولها , لتجد حقيبة "
نيهال " يصدر منها صوت الهاتف , قامت و تبعثها " نيهال "
بالأنظار , أخرجت الهاتف و نظرت لتجد أسم المتصل , والدتي
العزيزة , ثم أقتربت بوضع سماعة الهاتف في أذن " نيهال " , ثم
سمعتها تقول :

كيف حالك يا والدتي !

قالت الأم :

أنا بخير يا نيهال , كيف أنت ؟

أجابت و هي تتنهد :

الحمد لله علي كل شيء !

فقالت :

و كيف حال يوسف ؟

قالت بتبسم خفيف :

بخير !

قالت :

و كيف حال حسن ؟

أجابت :

كالعادة !

" سؤال لم يكن في موضعه ! "

قالت :

لم صوتك ضعيف هكذا !

أجابت :

مريضة فقط !

قالت و القلق بدأ في الظهور :

معاذ الله ! ماذا يحدث لك يا ابنتي ؟!

أجابت :

لا تقلقي يا أمي , فترة و ستمر !

قالت الأم :

قولي لي لماذا أنت مريضة ؟

أجابت :

الولادة فقط !

قالت :

و لكن كنت معاقة حين كنت معنا !

أجابت :

و لكن كنت مرهقة بعد الشيء , لذلك زاد عندي حين قدمت الي هنا .

كانت درجة المرض ليست ثقيلة حين كنت معكم , فقط حين قدمت الي

هنا !

قالت و قد هدأت :

حسنا , و لكن لا تنسي مكالمتي بين كل فترة و أخرى أو كل يوم

لأطمئن فقط !

أجابت :

حسنا يا أمي !

قالت الأم :

شفاك الله يا " نيهال " , وداعا يا حبيبتي !

أجابت " نيهال " :

وداعا يا أمي !

أمسكت " فاطمة " الهاتف و بعدته عن أذنها و أدخلته الحقيبة كما كان
و عادت لتجلس بجانبها , كانا يتحدثان في موضوع ما و لكن ما أن
أتت تلك المكالمة حتي لم يعودوا يتذكروا ما كان يدور وله الحديث ,
لا كلمات و لا جمل أيضا !

* * *

عادت في الاعتدال في جلستها مرة أخرى , بعد استراحة بعض الوقت لتعيد الجسد الي حالة اليقظة و تعيد له ما سحب من الطاقة , هذا حقه لذلك وجب أن يعود له كاملا بلا نقص . كان فقط هناك ملفات بسيطة علي الأرض , لم تكن كثيرة حتي تبذل مجهود في قرائتها , فجعلت تقلب في الملفات واحدة تلو الأخرى , حتي وقعت أحدي هذه الملفات علي الأرض , فخفضت " عائشة " رأسها علي الأرض لتجلبها , فأمسك بها جيدا و رفعتها , و كان هناك ورقة صغيرة ملقاه علي الأرض أيضا , أثارت ربيبتها فأمسكت بها و أختها صعودا لتضعها علي المكتب أمامها , و بدأت في فضها , و فض كلماتها التي تعج بها من الداخل , من حيث عمقها و ليس من حيث الكثرة , ما أن نظرت فقط نظرة واحدة لها تذكرت كل شيء , الصباح , المقابلة , ذلك الرجل , محمد , أستاذ محمد .

كان هذا بريد الكتروني و يتزيله توقيع بخط يد رديء , فأمسكت بها جيدا لتعيد التفكير في هذا الموضوع و ما حدث في الصباح , بعد أن كان النسيان قد محاه من الذاكرة , فأخذت تفكر في ما يجب فعله الآن مع ذلك الرجل ؟ الذي لا يسأم أبدا من أن يظهر لها شيئا جديدا من أسلحته الخفية ليجذبها جذبا من بدنها الضعيفة , و كانت تقلب نظرها بين الهاتف الخاص بها , الذي كان عن يسار نظرها مباشرة , و الورقة التي في مرمي نظرها , هذا أم هذا . هذا أم ذاك , تدور أعيناه كثيرا في تلك اللحظات و لكن الحق أن القرار كان لي به الخيرة من أمرها , كان قد وضع لها حدا لا تخترقه , قرب لها الخصوصية في طبق من ذهب , و هي شيء ثمين لا يساوي ما في الدنيا , أعطي لها حسابه الشخصي أو " البريد الالكتروني " الخاص به , يبدو أنه يستأمنها كثيرا علي ما لديه !

حملت الهاتف الخاص بها و قامت بفتح تطبيق " الفيسبوك " , أزرق و أبيض , و قامت بادخال ذلك " البريد الالكتروني " في خانة البحث ي الأعلى , ظهر لها شخصا واحدا فقط , الشيخ محمد . و كان مكتوبا باللغة العربية , ضغطت عليه ضغطة حتي أظهر لها صفحته الشخصية بالكامل , بما فيها الصور التي لا يضع منها سوي القليل , و

تحتوي علي صورة واحدة أو صورتين علي الأقل له , في المسجد ,
لذلك كانت كل صورته مألوفة , من أسمه الملحوظ , و كانت خانة
الرسائل لا تزال مفعلة لديه , فترددت قبل أن تضغط عليها , الرسالة
لها معني في هذا العالم , حتي لو لم تكن وجهها لوجه , الرسالة الخفيه
تثير فضيحة أكثر من الرسالة المعلومة , و لكن رسالتها تلك كانت
معلومة . أسمها مدون في الصفحة الخاصة بها , " أنا عائشة " , و
لكن كانت منقوشة بحروف لاتينية قديمة , من العصور البابلية علي ما
أعتقد . هذا الحساب بالتأكيد يدل علي شخصية تعرف اللغات حذق
معرفة , حتي تيقنت منها و صار تطبيقها سهلا , فبدأت في الضغط
علي خانة " الرسالة " , فظهر لها مساحة فارغة و في الأسفل مكتوب
" أكتب ما تريد " , و لكن لم تكن تعلم حقا ماذا تريد أن تكتب أو ماذا
تريد أن تقول له , فهو يربكها بتصرفاته فماذا تقول ؟ و يربكها
بأسلحته فماذا ستفعل , ترددت بالقرب من موضع الكتابة مجددا , و
لكن في النهاية ضغطت عليها , بدأت في التفكير قليلا في ماذا ستقول
, لم تواتيها أفكار كثير بقدر جيد , لرداءتها , و لأنها كانت لا تليق
بموقف كهذا !

فبدأت في الكتابة ببطء , كتبت :

السلام عليكم !

ورد نص الرسالة علي هاتف " محمد " فقام علي الفور بإحضاره , و
نظر إلي الرسالة بسعادة غامرة , لقد تحقق . كلمته أخيرا , فأسرع
بالكتابة قائلا :

و عليكم السلام !

فكتبت تقول :

كيف أخبارك !

كتب :

الحمد لله !

ثم أنتظرت قليلا , و كتبت :

هل تحاول أن تتلاعب بي !

كتب يقول :

ماذا ؟!

ثم أكمل كتابة :

لقد أعطيتك حسابي الخاص فقط , لنتمكن من التواصل !

فكتبت :

أنست ما فعلت !

كتب بقول ووضع في نهايته " وجه سعيد " :

القبلة , لقد كانت جميلة 1

كتبت بغضب :

أنت وغد حقا !

كتب :

لا تسبيني من فضلك , لقد فعلت عن ظهر قلب . لم يكن لي الخيرة

فيه !

كتبت :

كيف عن ظهر قلب ؟

كتب :

ردة فعل تلقائية لجمالك ؟!

كتبت :

و لكن قبلة ؟! و تلقائية ؟

كتب يقول :

القبلة هي التعبير الرسمي !

صمتت قليلا , ثم كتبت :

التعبير الرسمي عن ماذا ؟! ثم قل لي ألسنت عندك زوجة يا رجل ؟

كتب :

زوجتي في الحقيقة لا تعطيني الكثير , قليل ما أخذ و أنا لدي الرغبة
في تلك المشاعر الإنسانية , و لكن لا أجدها معها , لذلك هناك حلول
ثانوية لذلك كله .

ثم أكمل كتابه :

و من ضمنها تلك القبله .

كتبت :

و لكن هي الان حامل منك !؟

كتب :

حامل بمرض , أليس كذلك ؟

كتبت :

هذا ليس بمانع , في الأخير هي حامل منك ولا تدري أ ستلده أم ماذا
!؟

ثم كتبت من جديد :

و هي لك عليها حق قبل كل هذا , أن تزوجتها و أنت الذي اخترتها ,
و هي اخترتك يا محمد , لما قد تفكر في تركها هكذا , قل لي !

كتب يقول :

و لكن كل هذا لا يعني شيئاً في النهاية , هي لم تعطي لي حقي و
ربما أنا اعترف في أنها لم تعطيني الحب الكافي سوي في الطعام و
الشرب فقط , لكن هناك ما هو أسمى من ذلك كله ' هناك ما يجب أن
يعطي يا أستاذة عائشة .

فأنتظرت بعض الوقت . و كتبت :

و لكن هذا لا يسمح !

فكتب :

و لكن أريدك أنت في الوقت الحاضر !

كتبت :

أنا لست سلعة للبيع هكذا !

ثم أردفت بالكثير بما في قلبها و هي تكتب :

أنا لا أريد أن أتعلق بشخص هكذا أنت زوجته في الي مكتبي في
حالة مرض , ثم يقع في حبي , و يتعلق بي و يريد أن يأخذني بطريقة
أو بأخري . لست من يفعل هذا , لكل شيء تفعله يجب أن تستحقه .
لذلك لن تأخذني الي حين تكون وحيدا و لذلك لن تأخذني الا حين يشاء
الله بذلك يا أستاذ !

كتب :

أذكرين نتيجة التحاليل التي قلتها لي !

كتبت :

نعم !

كتب :

هل هذا المرض يؤثر في صحتها !

كتبت :

هل تشعر بتغير في ملامحها أو شحوب في وجهها ؟!

كتب يقول :

لا !

كتبت :

اذن فهو لم يؤثر فيها الي الان , و باذن الله مادام لم يؤثر فيها و

حفاظها علي الدواء الذي قلت لها بأن تأخذه سيجعلها تشفي باذن الله !

كتب :

و لكن ما هي اثاره الجانبية !

لم تفهم ما المخزي من كلماته , فكتبت :

ماذا تقصد !

فكتب يقول :

هل هذا المرض خطير علي الجسد لكي يجعلها ...
ثم أكمل يكتب :
تموت ؟!
كتبت :
الموت !!
ثم أكملت الكتابة :
أي سؤال هذا !
كتب " محمد " :
هل لو أصبحت بلا زوجة , أتقبليني ؟!
كتبت :
سأفكر حينها , و لكن ليس بتعمد !
كتب :
الموت لا يجري بتعمد إلا من الغضب !
كتبت :
لا أعرف ماذا تنوي و لكن لا تفعل !
ثم كتبت :

أنا لست أحب الأشخاص هكذا , الحب عندي هو الاستحقاق , اظهر
ما تستحق لتوضع بين قلبي , لذلك تلك " القشة " التي أخرجت زواجي
إلي الآن !

كتب :

لا تخافي !

ثم وضع رسالة عبارة عن رسم تعبيري لوجه مبتسم , فظهرت علامة
أنها شاهدها و لم تجب , و لم تكتب شيء .

* * *

أقترّب " حسن " في فضائه الصغير في شقته المنزوية في عمارة ذات طول و عرض أن ينكمش أيما انكماش , يشعر بضيق كبير يخنقه و يقطع نفسه , كأنه بلا رئتتين , و لكن لأسباب مادية , شربه الشره للسجائر من احد تلك العوامل الأساسية في تدهور الحالة بهذا الشكل , حجر الزاوية في الانهيار الرئيسي لعموده النفسي و البدني , و قريبا عموده الفقري سيتهالك من قرب الدخان من الإحاطة به و تقييده تماما , كان الليل كان ينزوري في الشقة بأكماء , معتمة بلا ضوء سوي القمر و لا يكاد يعطي ضوءا في تلك الليلة , لكن يفي بالعرض , حالة السواد و اللون الباهت التي تحيط به كانت بمثابة ملخصا عن حالة منذ أيام عديدة , غلب السجائر ملقاة علي الأرض و فارغة تكاد لا تري فيها قطعة " تبغ " لتشعله لتشتت فقط رائحته , لا يوجد ما تتمني يا أحرق ! , و هو في ركن علي الحائط الذي بهت هو أيضا بالسواد ,

أصبح بلا صباح , و يمسي بلا صباح , اللون الأسود صار علما
رئيسيا في كيانه .

مدة ساقه بين سيراميك هادئ و آخر مضطرب لامتلأه بالغبار
الكافي ليجعله سكرانا يلوح يمينا و يسارا , لم يكن له موضع محدد ,
كأن كل ما يحيط حسن هو الركام و الغبار و التبغ كمصدر للبروتين
في جسده و حالة إنعاش في حالة السأم من كل ما يراه أو من كل ما
يحيط به , يا لبت الحياة تسمع نداءه هذا و تغيثه من فجوة كبيرة , قد
فرغت ساقيه فيها و أحيطت بالتراب و ما بقي من جسده القليل حتي
يصير كائنا أصله تراب و قد عاد الي التراب , هذا أمد قريب ووشيك
جدا !

ولكن ما من حياة , بدون ظلام في النهاية و ما من ظلام الا بقداحة ,
و ما من قداحة الا بضوء يضاء فيها بالأصفر و الأزرق , فيعطي
انطبعا جميلا علي أن فرنسا لا دخل لها بهذا .

أين كل ما كان يتعلق به في السابق ؟

ذهب كل هذا مع الرياح , أم أن الرمال لم تجعله شيئا مرئيا أمام العين
المجردة , أم جعلته من مكوناتها الرئيسية فخطفته كالمختلسين و حمته
في باطنها لادعاء معين , كفر , فجور , زندقة ! و لكن كل ما أخذته

في مصير " حسن " لن يعود . لأن لا شيء يعاد من بطن الحوت أو من تحت الرمال أو من بطون البشر , لذلك ليس هناك داعي للتنقيب و إخراج الأمعاء المغلظة و المخففة لإيجادها . بإمكاننا أن نقول أن ما دخل لا يخرج أبدا !

هل هذا هيكل عظمي ؟! تزايد في جحوظ العينين و تزايد في الألم في كل شيء و لا تزال عيونه محاطة بالسواد " المقرز " , فلا يسر نظرك لوجهه , و لا تنتظر له الا ستتقيأ مباشرة , هالة محاطة و كأنها مرسومة بدقة حول عينيه , تمنعان أشعة الضوء من المرور بهما , و لا تعطي للخلايا في العينين بأن تستنشق الهواء في الصباح , أو أن تأخذ طاقة من الشمس " الحميمة " , لا . هي عائق متملص و لا ترغب في الزوال أبدا , هذا اختيار بحث لمن يملك تلك الهالة القانية , محددة و كأنه مهرج في مسرح للدمى " المقرزة " !

كل ما في " حسن " قاني كـ الخ !

زادت تلك الخصلات حول وجهه فجعلته أيضا كث الشعر , و يتخلل فيهما الكبر طولا و سمكا , فتعيس البشرة من اداء عملها أيضا , حياتها كلها أصبحت " معاقة " , جسد بلا حركة , شعر كث مغترب , و لحية تنمو يوميا بلا رحمة , و في الأخير ... الخ

* * *

كانت تجلس معها , تظل رقيبتهامع كل ثانية تمر , و تجعل دقيقتها
أسعد من ما كانت تتوقع , لمرور صديقتها معها و هي بجانبها الان في
مكان واحد , تجمع لذيذ بطعم ورائحة أيضا , في خضن هذا شعرت "
نيهال " بوعكات قوية في معدتها , فسخرت بصوت عالي أخترق أذن
" فاطمة " :

!!!!!!!!!!!! اه !

كأن مبرات صوت تنبت في حلقها بسرعة كبيرة لتصدر مثل هذا
الصوت " الجهور , من شدة الفرع لحقت بها و قد كانت بجانبها و
لكن التردد جعلها لا تعرف يمينا من يسارها , فأسرعت تمسك بيدها
التي بدأت تطيع علي ذلك الفراش بقوة شديد , و قالت :

ما الذي يحدث يا نيهال ؟!

لم تكن تستطيع الاجابة فقط كانت تصرخ , فأسرعت الممرضة تذهب
لتأتي بها , تلك الطيبة في اخر الرواق , كانت غائبة منذ فترة و لكنها

بالتأكيد لن تتأخر أكثر من ذلك , اقتربت من الباب بهرولتها تلك و
اصطدمت بالباب , ففتح علي مصرعيه و ظهرت مرتبة بعض
الشيء , فقالت لها الممرضة بلغة سريعة :

نيهال .. نيهال ! هناك خطب ما فيها !

قامت من فورها , وق قالت و هي تجر قدماها بسرعة نحو الباب و
قالت و الممرضة تبعتها و قد أغلق الباب بقوة :

ما الذي حدث ؟

أجابت :

كانت هادئة الي في وقت ما أنقلبت و صارت تتأوه في مكانها
بصوت عالي !

أقتربا من الباب , حركت ضفته و دلفت الي الغرفة . معها الممرضة
بالطبع , أقبلت مسرعة تتفقد حالتها في الأجهزة الكثيرة أمامها , كانت
حالتها غير مستقرة بالمرة , تقلبات في مقاييس الأجهزة من الأدلة
الجازمة علي أن حالتها لا تطمئن و لا تبعث خيرا و لا أي اطمئنان
في الجوارح , و بالتالي القلب سيتم في الدق بصورة لا تصدق !

ثم تبدلت نظراتها اليها , و كانت لا حول لها , تنقبض حالتها و تتغير
من انقباض في الوجه الشاحب الي .. دم ! , ظهر نزيف مفاجئ من

مكان القماش الذي كان وضع لنزيف كان منذ يومين , كان بنزف و لونه يتغير من لون فاتح الي لون قاني لا يبشر بخير , علي الفور أزال تلك الخرقه من القماش فلم يكن مشهدا يثير السرور , كانت تنزف و كل ما يحيط بعضوها الأنثوي يملكه الغضب من تقطع , إلي جروح , إلي أقرب ما يقال تشوه جسدي .

يا للهول !!

نزيف الدم لا يستطيعون ايقافه الا بمحاولات متعثرة قد لا تفيد بشيء و لكن هي محاولات , تحضر المزيد و المزيد من قطع القماش و تضعها لتحاول ايقاف تلك الثغرة , نزيف حاد , و لكن مع كل ذلك فهو مازال يعطي و لا يتوقف , بل أصبح قانيا جدا , و مع كل تلك المحاولات نظرت " الطبيبة " لأعلي لتتفقد حالة " نيهال " فما كانت تصدر صوتا منذ مدة , لم تكن تبدي أي حركة علي الاطلاق , كأنها نامت ؟ و لكن من يجيء له النوم و هو ينزف بتلك الغزارة ولا يتألم حتي , أو يبعث اشارة من المه الي العالم الخارجي , للاطمئنان , و لكن هي ليست كذلك , قالت بقلق :

نيهال , نيهال !

لم تجب , لقد كانت عينيها مغلقتين بجفونها الثقيلة ووجها قد أصبح
أبيضاً فسفورياً , و لكن فلتنطق شيئاً لتعرف ؟
كررت القول بلهجة أكثر من قلق :
نيهال , نيهال !

كانت " فاطمة " تقف بجانبها تربط بيدها , لاحظت برودة شديدة بدأت
في الظهر في يدها , أثار ذلك قلقها و جعلت تتأكد من حرارة يدها و
حرارة " نيهال " هناك فارق كبير ! بينما " الطبيبة " تحاول فعل كا
ما بوسعها , و تكلمها بأسمها و لكن لا تجيب , شعرت بأنها يجب أن
تفعل شيء قبل فوات الاوان , هذا هو الغيث الالهي ربما !
أقتربت من أذننها و قالت :

نيهال , قل لي . أنا صديقتك ما الذي يحدث لك , أرجوك يا نيهال
!؟

أصبحت تجزم في خواطرها بأنها لن تجيب , و لكن سمعت صوتاً
خفيفاً يصدر منها :

فاطمة !

أجابت بسرعة :

ماذا يا نيهال , قل لي كا ما تريدني !

أجابت و هي تتلفظ أنفاسها بصعوبة :

يوسف !

ثم توقفت و عادت لتكمل :

لا تنسي أن تعطيه لأبيه !

قالت :

لما ؟

قالت و هي تضغط علي الكلمات بلسانها :

والده سيرعاه !

قالت :

و لكن حسن !!

قالت و قد قل صوتها :

ما الذي حدث لحسن ؟

قالت بنبرة حزن :

لم يعد حسن !

أجابت :

حسن شخص محبوب !

ثم أكملت بصعوبة :

شخص متدين !

ثم ثالثا :

زوجي العزيز !

قالت " فاطمة " :

لم بعد حسن كما كان يا نيهال !

لم تعبر بأي شيء , فقالت :

يوسف أعطيه لحسن !

ثم صمتت لكثير من الوقت , و نداءات " فاطمة " تزداد طلبا لها في الكلام , صوتها كان به بعض المشكلات أيضا , و لكن يعطي أملا , و لو كان ضوءا بسيطا لذلك الذي يحدث , لم تعد تشهق لم تعد تفعل شيء , قلبها أنقض و توقف الدم فجأة عن سيلان الدماء فتوقفت " الطبية " عن الامساك بالخرقة تلك , و جعلوا جميعا ينظرون لها و هي أشبه بالهيكل العظمي , لم يبق منها شيء , فتح فمها ببطء و ازداد جسدها برودا , لا دماء , لا كلام , لا نيهال !

أتعلمون حين يموت شخص مقرب منك , فأنت تصبح بعده لا شيء , أنت تشعر بالبرد يحوم حولك من بعد فقدانه , و كأن موته جعل الدفأ و الامان له و جلعك أنت تتقلب في ظلمات بلا بصر و لا قلب لينبض في وسط ذلك الدمس الكاحل , أكثر ما فيه من ظلام هو ما يكس المرء , و يجعله منحصرًا بلا شيء ! الموت , ذلك الرقيب العتيد و العنيد , قد يكون من السهل تعريف الموت بأنه الخلاص و الهروب من سرادق الدنيا الحزين و الذهاب الي سرادق الاخرة السعيد , لا , كل ما أنت فيه هو نعيم مقام لك , و لكن ليس الموت الذي يفعل هذا , الموت شيء شريف جدا , أتدري لماذا ؟!

لأنك تصبح انسانا حينها , تتخلص من جسدك البشري الذي لا يهوي سوي الماديات , و تصبح حرا , طليقا , روحيا , لا جسديا , تصبح كالذي تم انقاذه من غرق سفينة الـ " تيتانيك " , نعم أنت صرت

معجزة في القانون النفسي عند " فرويد " رغم أنه قد مات قبل أن
يكتشف هذا , أنت حر من جسدا اللزج , من تكدس قطع اللحم فيه و
انتشار العضلات و الأوتار في كل جزء فيه , قد تعرف وظائف
البعض , و قد تجهل و وظائف الكثير , و قد تحاول أن تعلم و وظائف
القليل فقط لتتنفس و تأكل و تشرب , أما الباقي فليذهب الي الجحيم !
الموت أنقذك من كل هذا العناء , أعطي لك الأمر و اعطي لك الحق
في أن تحلق فوق أي سماء تريد , عند سماوات كثيرة منها ما هو
مضطرب لا يستطيع التملك علي أعصابه و منها ما هو شديد البرودة
مثل القطب الشمالي علي " الأرض , و منها ما هو حار مثل " دائرة
الاستواء " , تختلف و لكن أنت تمر من ذلك كله فقط لهدف واحد ,
لكي تري ربك , أيا كان ما تعبه , أنت تذهب لهدف واحد لتراه ,
الموت يجمع كل ذلك تحت بند واحد , النفس هي الأسمي ! من بين
العديد من المصطلحات الجسدية التي تحمل أسما و عنوانا أيضا لكن
سيظل ذلك هو الأساس في كل ما يتعلق بالموت , و سأخبرك سرا
صغير يا من تقرأ تلك السطور , الموت هو القضية الحتمية , بل هو
الشيء الوحيد الذي قد يجد فيه بض الأناسي الراحة فيه , لكن سأعطي
لك جرعة امل في أن ترتوي منها جيدا ..

(الموت هو الحضور مع الله)

* * *

جعل البكاء في عينيهم بطاء كأسهم الساعة في ترقبها و هم ينظرون جميعا لهيئتها و يتكمشون بأعينهم علي مقلتيهم رغبة في الدمع الكثيف , الدمع الذي يروي و لا يفقر , تلك هي أية الله ماثلة أمامهم في أبهى تجلياتها . انظر الي العظام كيف ننشرها ثم نكسوها لحما , حقا صدق الله تعالى في هذا الوصف , الخلاق في التعبير القراني , قيض ملك الموت روحها أخيرا , كان ينتظر الأمر من ربه و قد اتاه الأمر فما تأخر عن تنفيذه , للمها بأن ربها رحيم بها , كفل لها ملك الموت بأن يبقى معها حتي في اللحظات الأخيرة من أنفاسها . و كانت كلماتها الأخيرة نابعة من قلب يستبشر لغد ضياء فيه كثير , و ضلال فيه قليل . أنقول لم تكن تعلم . أم – كالعادة – نقول أن ملك الموت أخبرها بأمر الله كل هذا ! حقا لسنا نعلم شيئا البتة بخصوص تلك المواضع , كانت الممرضة الشابة التي تقف بجانبهم لم تكن لتري هذا المشهد من قبل ,

بأم عينيها الان رأتة محققا أمامها , لم تري الجسد بهذا البروز , لم تري الجسد بدون النفس , لم تري الدماء التي كانت تنهمر بتلك الغزارة في شخص يموت , لم تري أي شيء من هذ من قبل , " نيهال كانت بالتأكيد حالة استثنائية و مريضة لا مثيل لها في قلبها – خاصة – و ف بأجنحة المستشفى – عامة - , بل لم تري الموت من قبل ! لا تعلم سوي ما قيل لها من بعض الحكايات و القصص المختلفة , كانت صغيرة , لذلك البصيرة تنضج و تنضج حين تكبر , و دائما حين تري شخصا قد فارق الحياة من بيننا و صعدت نفسه الان , لا تفتأ سوي أن تجلس بجانبه و تقبل وجنتيه أو ذراعيه أو كفيه , بذلك أن تقبل الروح , لتأخذ منها بعض العلم ولو قليلا , و خاصة لو كان علما اخرويا . بإمكاننا أن نقول أن ذلك العلم سننتقل من جسد المتوفي اليك عن طريق الحب , نعم , الحب و سيلة تربط بين الأجساد و بعضها البعض أو بمعنى أشمل تربط بين الأرواح و بضاً البعض , الرابط المشترك بين بني ادم أجمعون منذ البداية الي النهاية , هي الروح الواحدة و النفس الواحدة !

كان الذهول بلا منازع هو السيد التام , لا نظير له , السيدة قد صعدت روحها من بينهم و لم تعد تخترق حواجز الفيزياء لتتحرك , أصبحت

في طور العدم الفلكي , و الان في الطور البرزخي لما ما وراء الطبيعي , كان يوسف يبكي و بشدة بارغم من انه لا يزال طفلا صغيرا لم يبلغ الشهر بالكاد , و لكن فيما ملاحظ علي تعبيرات وجهه حزنه الشديد لسبب مجهول , صياحته و صراخه كان مرتفعا , فأقتربت منه " فاطمة " و أخذته بين يديها و لكن لا يزال يبكي بلا توقف , من الأكيد أن بصيرته لم تفتن قط ببأن والدته قد وافتها المنية قبل أن يبلغ الحلم , أو حتي قبل أن يعقل شيء في الحياة , و لكن لا يزال يصرخ , أخذت بدموعها في محجري عينيها التي لا تزال قاطنة فيهما , أخذت تأرجحه و تلعب معه لتسكته بعض الشيء و لتذهب عنه هذا العناء و الصراخ الذي لا ينصرم , فظل لحظات علي ذلك . قررت أن تدلف به خارج الغرفة لربما هناك شيء متعلق به في تلك الغرفة , هو بالتأكيد يري أشياء لا نراها , بالامكان أنه كان يري " نفس " أمه و هي تحلق لأعلي و تودعه بحرارة , لربما رآها حقا . لا علم لدينا عن الأطفال أو عن ما يكشف عن عيونهم من الغشاء الذي يغطي البالغين و الشباب و كل من ليس طفل علي وجه الأرض , ملك الموت ربما ! أهذا ما قد يثير فزعه ؟ هو لا يعرف ملك الموت حتي

يراه , و لكن من الوارد حدوث أشياء أخرى , لتجعل بكاء مختلطا بدموع تسقط من عينيه , لربما شعر لهذا .

أخذته بسيرها علي قدمين لا تحتلان الوقوف و خرجت به لتجلس بالقرب من الغرفة ببضع سنتيمترات , علي كرسي من مجموعة الكراسي المتراسة , فجلست به و حاولت بشني اطرق أن تسعده أو أن تذهب عنه تلك القرحة التي يعاني منها لسبب مجهول !! و لكن مع مرور الوقت بدأ نقص معدل البكاء عنه فيما يدل علي أنه أستقبل اشارات السكون التي كانت تعطيه اياها جلوسها و هدوئها معه , و لعبها معه لمجرد أن يسكت و لا يرهق الكثير من حباله الصوتية , كان صوته مزعجا و قد يصم الاذان – كالعادة – و لكن لم يكن بمقدورها أن تستمر في هذا .

كان الوضع في داخل تلك الغرفة لا يظل مذهولا , أو بمعنى أصح خائفا ! الموت أمامهم , الموت يحيط بهم , الموت معهم , ملك الموت كان هنا ! و لكن لم يكن هناك سوي متوفي واحد في الغرفة و كان معد له كل شيء من أجل أن يموت . و من أجل أن يبتعد كل الابتعاد عن هذا العالم لأنه بلا جسد , جسده كان لا يحتمل ربع " نفس " لكي يعيش فما بالك بنفس كاملة , بلغت الحيرة عند الطيبة هي كانت تتوقع

هذا بل و كانت معدة كل هذا لتلك اللحظة و لكن هناك أشياء أخرى
لربما غفلت عنها تلك المرة , أين ستدفن ؟ من سيأخذها من المستشفى
؟ أين زوجها ؟! كل تلك الاسئلة تتراود في ذهنها واحدة تلو الأخرى
, و لكن احداها قد يصح و الكثير لا يصح بل لا يجب أن يتخدم
كتطبيق له , قالت للمرضة بصوت من الجدية :
أحضري أستاذة " فاطمة " من الخارج .

قالت و هي تنفذ :

حسنا .

ثم فتحت الباب , و أغلقته خلفها و ما لبثت أن عادت و معها " فاطمة
" و في يدها " يوسف , وقفت أمامها تنظر لها بتمعن و تركيز ثم
أرخت جفنها و قالت بنبرة علمية :
أين أستاذ حسن ؟

قالت :

لا أعرف !

قالت :

هل تعرفين أين يعيش ؟!

قالت بعد تفكير " مطول " :

لا , لا أعرف ! و لكن زوجي يعرف !
قالت :

نحن نريد أن يأتي ليوقع علي استلامها فقط !
قالت :

و ماذا لو لم يأتي , هل ستبقي هنا !
قالت :

سنحاول أن نفعل حلا آخر !
ثم أردفت :

و لكن زوجها سيكون لها دورا أساسيا في ذلك .
قالت :

لا أعرف !

ثم أكملت بعد لحظات :

أريدها فقط أن تبقي هنا لحين أن نحاول أن نأتي بحين !
قالت :

حسنا , يتم وضعها في " ثلاجة الموتى " في المستشفى لحين قدومكم
لأخذها !

و قبل أن تغادر قالت لها :

و من الأفضل أن تأتوا به , لأنها كانت تحبه كثيرا !
قالت " فاطمة " بنظرة الرضا :

بإذن الله سيكون معنا !

ثم تركتها في الغرفة و غادرت ومعها " الممرضة " , سويا كما كانا
سويا كما رحلا , يبدو أنها ملتصقة معها في كل أعمالها سواء كانت
في الخير , أو كانت في الشر . بقت هي وحيدة مع تلك " الجثة "
الخاصة بصديقتها , ووالدة الطفل الصغير الذي بين يديها , لا تدري
ماذا تفعل في ذلك الموقف فقط كانت تقف أمام ذلك الفراش الذي كان
يحملها في لحظاتها الأخيرة و المكسو باللون الأحمر القاني من نصفه
السفلي , و النصف الأعلى يتزرن مع وجهها الشاحب , كانا أبيضان
متلائمان , كان عندها أفكار و عندها ما تنوي فعله في تلك اللحظات ,
هناك زوجها , و هناك حسن , و أفكار أخرى لا تتذكر معظمها ,
كانت أمسية قاحلة في بقائها مع زوجة حسن و صديقتها في ذات
الوقت , ولكن لا وقت للمدح أكثر فيها فهي أصبحت جثمان خامد .

أقتربت من الجلوس علي الكرسي بالجانب لقد وقفت الكثير من الوقت علي قدميها لتأملها للحظات جثمانها الذي يكسوه الكثير من الدماء الملتخية ببعض الشوائب , و القليل من الجمال ! و في يدها يوسف , كان شبه نائم بين يديها فلم يعد يتحرك , صراخه مرهق له و لمن يحيط به , في تلك الأثناء كان اذان الفجر ينطلق محيطا بها من جميع الاتجاهات , لم تلحق الفجر الأخير من حياتها , تلك خسارة لاخرتها , خسارة أنها لم تصلي ركعتين اخيرتين قبل مماتها , خسارة أنها لم تسجد لها سجدتين اخيرتين قبل مماتها , الله أكبر , يزيد الله الكثير من اماننا في الآخرة , الله أكبر , الله هو الخالق , أشهد الا اله الا الله , سبحانك يا الله أنت الواحد و لا مثيل لك . أشهد أن محمد رسول الله , أرسلت عبدك محمد بالهدي و النور المبين ليرسل رسالتك للعالمين ,

حي علي الصلاة , السجود و الركوع خالصان لك يا رب العالمين ,
حي علي الفلاح , الهدى هو قادم من من الصلاة بين يديك , الله أكبر ,
الموت قضاء محتم , لا اله الا الله , اللهم اغفر لجميع من قبض ملك
الموت أنسهم و كان مسلمين لك , ترددت تلك الكلمات بين مسامع
الصديقة و بين جسد الجثمان , كانت حلقة دائرية من الهدى و النور و
الايمان و الوحي و الاخلاص و الود و الطيبة و الاحسان , حقا لا
بديل سوي لله , لا طريق سوي بالله , لا خليل الا الله !

ليتها كانت معنا لتصلي الان ركعتين فقط و لكن الله أمر و نفذ , لله
جنود يفعلون كل شيء ما أمرهم به الله , الموت هو احدي تلك الأوامر
, لا تدري بأي أرض تموت ولا أي زمان تحلق فيه الي رب العالمين
, و لا كيف سيقبض ملك الموت نفسك , لربما تقبض و أنت تصلي و
ذلك خير الوفاة , و لربما تقبض و أنت تحتفل لسبب ما , فتقبض و
أنت تحتمل , في كلتا الحالتين لا تأخير لأمر الله , لست نبيا , أنت فقط
بشري .

أخرجت " فاطمة " الهاتف من الحقيبة , كان هناك أمرا مهما لتفعله .
ثم وضعت الهاتف علي أذنها ثم بدأت تقول :

أين أنت يا محمد !

أجاب :

لا أزال في المنزل !

قالت :

شيء ما حدث يا محمد .

قال بنبرة القلق :

ماذا !

قالت :

البقاء لله يا محمد !

قال :

نيهال ؟!

قالت و الحزن كساها و الدموع :

نيهال قد فارقت الحياة من بيننا !

قال :

رحمها الله يا عزيزتي , لقد كانت طيبة القلب , دسوقة اللسان ,

عفيفة المظهر , لقد كانت مثال يحتذى به ! و لكن قدر الله و ما شاء فعل

, انا لله و انا اليه راجعون .

قالت :

انا لله و انا اليه راجعون !

ثم أردفت :

هناك أمر يجب أن نتخذه يا محمد !

قال :

ما هو ؟

قال :

يجب أن تدفن نيهال , و لا يجب أن تغادر المستشفى سوي بتوقيع

زوجها !

ثم أردفت بتقطع :

حسن !

قال :

و لكن حسن ؟!

ثم اردف :

لم يعد كما كان !

قالت :

ما الذي يحدث له !

قال :

لم يعد كما كان , بل أصبح الان وحشا لا يريبه شيء , لقد أصبح
منعزلا علي نفسه و الاكتئاب يسيطر عليه و هو لا يخرج من منزله
علي الاطلاق !

ثم أردف :

أتصلت به من فترة ليست بالعبيدة , كان يحدثني بطريقة غريبة عن
الطبيعية , ليس هو حقا , و كان يكسر في الزجاج و كل شيء من
حوله و أنا اتحدث معه , و أصبحت كلماته لا تعطي معني , لا يعطي
جملة واحدة الا بتقطع , و لا يتوعي ما تقولينه له !

قالت :

اذن ما الحل يا محمد ؟

قال :

لا أعرف و لكن ماذا تعلن الان ؟

أجابت :

بين يدي يوسف و أجلس و أمامي ...

و بدأت في البكاء تلقائيا , لم تكمل لفظ " صديقتها " أو تنطق أسم "
نيهال " !

ثم أردفت و هي تبكي و صوت نحيبها مسموع :

هي أمامي الان , فقط جثمان بلا شيء , جثمان قد أفرغ من كل ما
هو جميل !
قال :

لا تبك يا فاطمة , هذا قضاء الله و قدره !
هدأت قليلا , فأردف :
هل اتي الان لأخذك ؟
قالت :

هل نتركها هنا بلا أحد معها , لا سأبقي معها يا محمد , لن أغادر أنا
هاهنا جالسة لن أتحرك !
قال :

حسنا كما تريدين , ساتي اليك غدا , و أري ماذا سنفعل , في الصباح
سنتحدث يا فاطمة !
قالت :

لا تتأخر !
قال :
بالطبع !

أغلقت المكالمة معه , كانت تحمل أخبارا ليست بالجيّدة لها , فزوجها كما يقول " محمد " فهو أقرب الي ما يكون مجنوننا الان , و لا يتحرك خارج منزله خطوات بالكاد ليتجأ و يأتي الي هنا علي ساقين ثابتتين و عقل متزن , قدماه لن تساعداه للقدوم الي زوجته , رغم أنها كانت تساعداه في السابق لفعل أي شيء لمجرد أنها تقول له أن يفعل كذا , أو يأتي بكذا , أو تريد قبلة في وقت كذا , كل تلك الأشياء كانت رحلة ممتعة في الماضي , و لكن ما التغيير الا و له سوء , و السوء عند حسن أزداد فوضاوية و سوادا في حياته , لا أحلام بل أصبح كاسرا لكل شيء في محيطه , و لا أمل , فقد أي شعلة تضيء له الطريق فأصبح يعيش منعزلا عن عالم الضوء , بعيدا عن كرة الشمس الكبيرة تلك التي تلوح في الأفق يوميا , أصبح هو لا يلوح لها عندما تأتي , أصبح يلوح للظلام فقط , أصبح يلوح لنو جنبسه من المتشائمين و الغارقين في الأزقة بحثا عن قطة للعب معها و لو كانت لا " تلعب " , بحثا ع أمل بين ثقوب الجدران لربما وجدوا قطعة خبز تأوي الجوع المحتضر في البطون من شدة ما أيتغرقه ليجد لقيمة أو يجد قطع متناثرة من هذا أو ذاك . أصبح مثالا للا شيء , لذلك لا حياة فيه و لا

حياة لأشخاص آخرين معه , هو فقد الأمل ولا يريد أن يتكاثر من جديد !

كتلك الأوصاف هي كفيلة بأن تقضي عليه في ضربة واحدة , أيادي كثيرة تضرب في ذات الوقت و كل يد لها نصيبها من القوة , التشائم يده لها السطوة لأنها تحل محل يد الشيطان , و الحزن تثل يد من يقضون علي حياتهم لمجرد موت احد اقربائهم , أليس يكفي المزيد من تلك الضربات و الصواعق التي تسير صوب وجهه مباشرة و بسرعة فائقة , فتقضي عليه و تنهك ما بقي من عظام أو ما بقي من أنف ليتهشم بالكامل بعد ثوان . حقا ليست الحياة تستحق أن تقضي عينا بضربة واحدة و لكن اذا كانت ستقضي علينا رويدا رويدا فيا مرحا بها , مرت الدقائق تلك فقامت لتصلي الفجر و جعلت تطيل في السجود لتمنح لنفسها فرصة الدعاء لصديقتها , تمنحها المزيد من الدعاء لتحيا مزيدا من النعيم , الكثير من الحروف يساوي المزيد من الدرجات العلي باذن الله , فتصعد لجنان لا تظماً فيها , و لا تموت فيها و لا تحيا , كانت تستحق أن يدعي لها و بطريقة مطثفة , دقيقتين في السجدة الواحدة , لها هي فقط , لم تعطي لنفسها بعض كلمات لتمنح هي الأخرى رزقا ربما قد يجعلها تحيا حياة سعيدة , لا , الصديقة هي

التي ساعدها , هي من فعلت كما ما تريده منها , لم تري هذا قط من شخص اخر , الأنثي حقا تساعد الأنثي , حتي أنتهت من صلاتها و كانت قد وضعت " يوسف " بين أحضان أمه من جديد , فوجدته قد غط في النوم , فأتقربت هي لتجلس بالقرب منهما علي الكرسي , بهدوء كانت تراقب ذلك المشد , الحي بجانب الميت دائما , و الميت يدعوا الي الحي , بينهما علاقة , بنهما أسباب , بينهما و صاصل من المؤكد أنه لا يري , و لكنه في القلب , القلب هو ما يحيل القرب الي نسيج العنكبوت , و يحيل البعد الي حبال طويلة لتستطيع أن تصل بها اليه فينسج لك خيطا عنكبوتيا خاصا لك , لأنك لم تقدر علي البعد عنه و لم تستطيع أن تعيش حياة وحيدة بدونه , بطلبت منه غزل تلك الخيوط الطويلة , فما أستغرق وقتا حتي أرسلها لك و قد زينت باللؤلؤ و قطع المرجان , و الذهب الممفرغ فيه و المطلي بكثافة , أنت تستحق أن تكون بداخل خيط العنكبوت و أن تقيد بقوة فلا تف رمي الحب من جديد , لا تفر من الحب بين قلبي و قلبك , لا تبعد عني و لا أبعد عنك , لأننا صرنا متلاحمان صرنا عضلتين في عضلة واحدة , صرنا نضج دما واحدا , من جين واحد , من أب و أم واحدة , أنت قريب مني , أنت

ستسكن معي في الجنان حين يأذن الله بذلك , كن قريبا مني يحبك الله ,
أنا أمك يا يوسف . لا تبكي !

* * *

تحركت الطيبة صوب المتوفاة , بجثمانها المتهالك , و حملت الغطاء
الأبيض الذي كان نصفه لا يوضع عليها , لم يكن كاملا , أكملته
بوضعها علي وجهها حتي صار الجثمان محاطا من كل الجوانب
بقطعة قماش بيضاء كبيرة , تبرز مناحي جسدها الذي كان متناسقا ,
بل و كان رشيقا , و لكن المرء عكس ما يموت عكس ما يحيا ! كان
جسدها أبيضاً بالقماش الرقيق الذي يسحب الجسد سحبا و يجعله لا
يتحرك , بل يجعله مثبتا علي هيئة واحدة ليس لها اخري , ثم أبتعدت
عنها بخطوات و نظرت لها قليلا ثم أشارت لمساعدتها و هي تقول :
هيا بنا !

ثم تحركت صوب الباب و كانت تسير خلفها تبعا و تنفيذًا لحكمها , و أغلق الباب بهدوء من خلفهما , فكانت لا تجلس تجلس هي معها , تجوارها كما الأيام الخوالي , التي لن تتكرر لهذا الفقد , ليس الان أن نسير معا ! ليس الوقت في أن نهول سويا ؟ ليست اللحظة التي ننطلق فيها بياقا في الطريق حتي يظنون أننا قد جننا ؟! لقد فقدنا تلك الحلقة بفقدانك ؟! جلست بالقرب منها علي كرسي كان كما هو موضوع حيث يقابل كل مريض يأتي الي هنا , و كأن تلك الخاصية تراقب المرضى حتي يري الناس جيدا كيف يموتون أو كيف يتألموت , أو الطريقة التي سيقبض بها ملك الموت أنفسهم ؟ كل هذا شغل انساني في البحث توفره المستشفيات عامة .

فظلت تراقبها عن كثب , جثمانها الخفي , جوانبها البارزة , فطها الواضح في الأعلى , و لكنه كان مغلقا و لم يتفوه بكلمه , و هناك العديد من جوانب جسدها محفورة في الأعلى بحيث كأنهر تظهر كل جسدها تقريبا , هكذا هم الموتى لا يتركون شيئا خلفهم سوي جثمان عاري بلا ملابس و بلا هيئة , أعتقد أن كل البشر ممن هم في الطبقة الرفيعة سيأخذون معهم ملابس بديلة قبل أن يدفنوا في التراب و هم

علي فراش الموت لمثل موقف كهذا , لا يريدون أن يفضحوا و هم
أحياء فما بالك و هم أموات أيضا . هذا لا يشرف حقا !!
جسدها هذا هو أكبر دليل علي أنها لم تكن من تلك الفئة العالية , و لم
تكن في طبقة مزدهرة بعيدا عن أعين الناس , التوسطية التي كانت
عندها و في مسيرة حياتها لم تجعلها قبل أن تتوفي باحضار شيء
معه في الآخرة , لم تجعل لها كنزا يوضع بجانبها فيسترها تحت
الأرض و يوارى سؤتها , ففي الظن أن القماش يستر الجسد هو
صحيح , لهد أنت ترتدي قماشة بيضاء حين تحج يا صديقي , لتعلم
فقط أنك ميت ميت لا سبيل غير ذلك , هذا من حقه أن يذكرك بالموت
و عوامله التي تذكرك بكل ما تعمل و ما سوف تعمل , و ما سيجعلك
تعمل , الي الموت قبل الموت حقيقة تاريخية لم يصدقها الاولون و
لكن ان الوقت في أن يصدقها الآخرون ويؤمنوا بها كما لو كان كتابا
مقدسا يرتلونه و يجودونه في كل يوم و ليلة , أثناء الليل و أطراف
النهار .

حسب خطة محكمة من خطط التزامنية مع الموت و مع الحياة يجب
أن تصدق أن ما ستراه كان في الحقيقة و كان في الواقع بلا ابتذال أو
عجرفة في فعله , لقد حان الوقت للنوم يا " فاطمة " ذلك حديثها

لنفسها و قد بزغت الشمس للأفق , انه الشروق . اتكأت بمرفقها علي
احد الجوانب في الكرسي , علي ذراع من ذراعيه , و جعلت ترخي
جفنها ببطء , حتي لم يمض الوقت و يفعل سحره , كانت هي قد نامت
كالملاك لا تتحرك , و قد رفعت ساقيهما و ضمتهما الي جانب يدها ,
لقد نامت . نوم الجسد و نوم العقل معا في ان واحد !

لم تعد تحلم بشيء يذكر , الضوء كان يباغتها و كأنه يطلب منها
النهوض و لكنها لم تنم بعد يا شمس ؟! ألا تعرفين ما حدث في تلك
الليلة , أبتعدي عنها لكي تنام و تسترخي ! أحاديث تدور كثيرا في
الأيام الأخيرة بين ذمس و بين " فاطمة " من حيث نفسها التي لا
ترغب في الضوء فتطلب من الشمس بأن تبتعد لتنام , و شمس تأبي
الا أن تفعل ما تريد و بحماقتها المعهودة في الشروق , أردت أن تنام
و تسترخي , عليك بوقت الشروق ؟!

و لا تنسي أن تتحدث مع أمنا الشمس قبل أن تذهب الي فراشك , لأنها
لن ترحمك قبل أن تتوصل اليها بأن تجعلك الي صعود الصباح في
منتصف النهار . لن ترحمك يا صديقي . صدقني !

تركت الغرفة و خرجت منها و اصطحبت من ترائفها دوما , الفتاة
اليافعة , و كأنها تسحبها بحبال غليظة خلفها فتطيع بوفاء و تأتي , و
لكن تلك ليت من الشيم الانسانية لتفعل ذلك , هي فقط بحكم الوظيفة
تقول لها و لا تفعل شيء , تحرك اصبعها لتفعل لا لتسحب الحبال
لتأتي خلفها , هذا ما في الأمر !

كانا يقفان خارج الغرفة , قالت لها " الطيبة " و هي تمسك برأسها :
يا الهي , لقد كان يوما متعبا حقا , لا أستطيع أن أفعل جفني الان ,
أريد أن أنام ولا أستيقظ قبل ثمان ساعات !

قالت " المساعدة " :

بإمكانك أن تسترخي يا أيتها الطيبة !

قال :

سأذهب الي مكتبي و أحملق فيه قليلا ثم أسترح في سلام , بلا

ضوضاء !

قالت بابتسامة :

نوما هنيئاً يا طيبة عائشة !

قالت و هي تنصرف :

طاب مساؤك يا حنان , أتمني لك كذلك !

ثم أنصرفا مبتعدان عن بعضهما البعض , حنان الي الأسفل , و عائشة لا تزال في ذات الطابق , عائدة الي مكتبها – المفضل – التي لا تدري كيف كانت ستبقي في تلك المستشفى بلا مكت خاص بها كهذا المكتب العزيز , تجلس بداخله فيسعدّها و حيث تبتعد عنه تحزن ولو كانت ذاهبة لحفلة موسيقية , هي تحزن لفقدانها رؤية الحائط المائل الي الوردي , و الكثير من صورها معلقة علي الحائط , و شهادات تفيد بأنها طيبة " حقيقية " و ليست " زائفة " , هي في الحقيقة لا تحب

الادعاء , هي تحب أن تكون صادقة مع من يتعرف عليها , ما عدا " مولانا " !

باب تلك الغرفة يحمل الكثير من المعاني أيضا تنهال عليها حينما تقترب منه و تدير المقبض لتفتحه فيظهر المكتب متجليا أمامها من جديد , لون وردي مفضل , صورها مع أشقاؤها أيضا تتواجد في ركن صغير في الحائط , هذا من ضمن الكثير من المعاني خلف هذا الباب , قبل أن تفتح و بعد أن تفتح , دلفت الي الداخل و أغلقته خلفها , ليس هناك مفتاح لأنه لا أحد يقدم خطوتين بداخل هذا الممر سواها , بإمكاننا أن نقول أن قدماها جريئة و قوية في الوقت ذاته . بالقرب من الكرسي الجلدي الذي كانت تجلس عليه منذ قليل , أقتربت لتجلس فرأت أن الهاتف لا يزال يعمل علي آخر ما كانت تفعله به , لربما كانت تتصفح , هناك خبر دبلوماسي , خبر عن الإلحاد , زنديق مشبوه به , حصيلة الأخبار في ذلك اليوم و كالعادة الناشر صحيفة سعودية .
بمärke هرطقة !

لم تبالي بكل تلك العناوين الكبيرة , لقد كان هناك شيء آخر بدأ في تحريك قلبها الساكن من موضعه و اخراجه ليعيش عالم الواقع و يتلامس معه فيحدث حدث ما , شيء ما , حب ما بلا أي سبب يذكر !

لربما هذا مما تحمله هذه الرسالة المعروف صاحبها عن ظهر قلب ,
هو ليس من ضمن من يكتفي بارسال رسالة ترحيب علي انها صداقة
! هو يدخل الباب من الأمام لا يدخل من الخلف , هذا ما يميز تلك
الرسالة حقا , العلامة الحمراء واضحة تعني وجودها , حمراء و
يتوسطها الرقم واحد , واحد محب فقط ! هذا لا يكفي لليوم . أتوقف
نبح الحب في تلك البلاد العقيمة أم ماذا ! ألم يعد هناك الحب كما كان
من قبل حين كانت علاقات الحب لا تري و لا تستحدث من طور
العدم و لكنها تتجلي في كل العيون , ليس من شروط الحب أن تتعلق
بالإناث فقط , بل يجب أن تتعلق ببعض الشواذ لتتسم حياتك بالجدية !
ولا يقصد بالـ " الشواذ " هنا نوع ليس من ضمننا , لكنه صنف يتسم
بالجدية و الجلد أيضا ! ليس من شروطه أيضا أن تكون مختلفا في
التفكير , بل من حقك أن تفهم المعني الذي تفهمه , و لا تسرق أو
تقتبس معني اخر من الأشخاص , لكل فرد معني في كل كلمة في
المعجم العربي ! لهذا يسمى " معجم " .

نفضت الغبار عن تلك الرسالة بفتحها , كانت رسالة سابقة لا تدري
من كم دقيقة قد أرسلت أو من كم ساعة و لكن لم تهتم بهذا كثيرا

فقرأت النص في سرها قبل أن تعبر في جهرها . كان الا يزال متصلا
, فقرأت الرسالة و قد كان مكتوب :

لقد علمت بكل شيء يا عائشة !

نص الرسالة كان يحتاج لبعض التركيز , و بعض الوقت لأن ما كان
يحتوية لم يك واضحاً بالشكل الكافي ليستوعبه العقل بسرعة كأي
فكرة أخرى . بعدها بلحظات مرت بدأت تكتب :

ماذا علمت ؟!

شاهدها علي الفور , فكتب يقول :

لقد كلمت زوجتي و قالت لي كل ما حدث !

فكتبت :

أتقصد نيهال ؟!

كتب :

هذا بالضبط ما أقصد !

كتبت :

لقد كان هذا قدرها الحتمي !

ثم أكملت تكتب :

لم يكن هناك صدمة لما حدث !

كتب يقول :

هل كنت تعلمين بأنها ستموت ؟!

كتبت :

لم أكن الوحيدة التي تعلم بهذا الشيء ...

وضعت الكثير من النقاط في نهاية الرسالة , فكتب يقول و قد وضع

تعبير " عقد الحاجبين " :

من كان يعلم بهذا غيرك أيضا !

كتبت :

شخص واحد فقط ؟!

كتب و قد تملكته الحيرة :

من ؟!

كتبت :

....

أستأنف في الكتابة :

لا تريدان أن تقولي ؟!

فكتبت :

....

فكتب و قد وضع تعبير " الغضب " :

قولي لي يا عائشة ! من فضلك .

كيف يتناسب الغضب مع الرجاء في شخص واحد ! هذا " مولانا " .

كتبت بسعادة تلك المرة :

اراك قد أحمر وجهك و غلظت شفثاك ولا تستطيع أن تتوقف عن

التوسل يا أستاذ محمد !

كتب :

أنت مثيرة للشفقة !

كتبت :

الحرية أصبحت مثيرة للشفقة !

فرت كلماته من موضعها و كتب :

و لكن أنت الآن حبيبتني ؟ يجب أن تقولي لي كل شيء !!

هدوء تام و هي تكتب :

و لكن هناك حرية !!

ثم وضعت تعبير وجه مبتسم ! أي حرية تحظي بها تلك الأنثى ؟

كتب :

انا لا أمزح يا عائشة , قولي لي من هو ؟

كتبت و قد تملكها الثقة و بعض " الغرور " ليس كاملا :

هذا السر بيني و بين ذلك الشخص فقط !

ثم أكملت تكتب بسيطرة أكبر :

و قد قالت لي تلك الشخصية بأنه لا أحد يعلم سوي غيري و غيره !

تعددت الظنون به , فكتب بجوال مرتعش في يديه من الغضب "

الطبيعي " :

أهو شخص من أقربائها !

كتبت :

هو شخص قريب منها جدا !

فكتب و قد تملكه اليقين :

أهو صديقها !

كتبت :

لا يمت لها بصلة !

كتب :

أهو عزيز لها ؟

كتبت :

ليس لديها عزيز في أيامها الأخيرة !

كتب :

أهو كان خائفا عليها !

كتبت :

كان لا يخاف علي أحد !

كتب بنشوة المعرفة , فكتب يقول :

حسن !

كتبت و قد وضعت الكثير من تعبيرات الضحك :

يا ابن العبقريه !!

كتب يقول و قد أبتسم :

الحمد لله الذي فضلنا علي كثير من عباده !

كتبت :

ألم أقل لك بأنك القشة التي قسمت ظهر البعير !

فكتب ساخرا :

بل أنا الرياح التي أرسلت القشة , أنا الذي تحكمت فيها , لذلك لا

تتلاعبي معي مجددا !

و أبتسم ابتسامة خفيفة في سعادة بما يكتبه , فكتبت :

و لكن عندي سؤال يحيرني كثيرا يا أستاذ حسن ؟

كتب :

ما هو ؟!

كتبت :

نحن يجب أن نأخذ توقيع أحد قريب منها لكي يسمح لها بالدفن خارجا في أي مقبرة لعائلتها أو لا بد أن يعرفها حق المعرفة فيدخلها في مقابره .

كتب :

حسن ؟!

ثم كتب :

لا يليق بتلك المهمة علي الاطلاق , أحلقي شعري كاملا ان ذهب معك لأي مكان , هو لم يعد كما رأيته أول مرة , لقد صار شخصا آخر !

كتبت :

و لكن ليس هناك سواه !

كتب :

لا تقلقي , سأتي غدا . لقد قلت لزوجتي بأنني سأتي لها غدا و أحاول حل تلك المعضلة .

كتبت :

ألن تقول لي الان ما هو الحل ؟! قبل أن اذهب لأحظي بنوم قبل
الصباح و قبل أن تأتي !

كتب :

لا , ليس هنا بل سيكون وجها لوجه , ساتي أولا و أجلس مع "
فاطمة " لنتحدث سويا ثم اتي لك لنتكلم بخصوص هذا الشأن , لن
يكفي الحديث هنا !

فكتبت :

و لكن تذكر أن قوانين المستشفى لا تسمح بعكس ذلك !

كتب :

سأذكر جيدا , يجب أن يكون الأقربون لكي يسمح لها بالخروج ! تبا
لهذا القانون يا عائشة !

كتبت تقول بتذمر :

لست أنا من وضع تلك القوانين صدقا , أنا فقط أعمل في ذلك المكان
! و تلك القوانين أنا علي يقين بأنها ليس لها دخل بالشعب المصري !
ثم أكملت تكتب :

بما أن هذه المستشفى هي تجارة سعودية و ألمانية في ذات الوقت ,
فهي بالتأكيد ستكون قوانينها صارمة , السعودية و قوانينها الدينية , و
ألمانا و قوانينها الطبية البحتة و العلمية في الوقت ذاته !
فكتب بقول :

و لم كل هذا العناء !

كتبت :

لا أعلم سوي ما قلت ! و هذا ليس رأي وحدي هذا رأي أغلب من
يعملون هنا , و لكن لأننا نحصل علي راتب و أجر جيد فلا نتكلم في
ذلك كثير ا , و لكي أكون صادقة معك فقد حاولت أن أتكلم مع الإدارة
بخصوص ذلك الشأن و لكن بلا فائدة ! كأنني لم أتحدث من قبل , و
لكن ما وجدته صادما بأن المرض هنا سعداء بالخدمة سعادة غامرة و
كأن الذي يسعدهم هو فقط المعاملة و لا تسعدهم بأن يعاملوا بطريقة
ديمقراطية , هذا ما كان يؤرقني و لكن في النهاية أنا أعمل و أحصل
لي علي أجر لذلك ليس هناك داعي للمزيد من هذا .

فكتب :

أعانكم الله حقا مع هذا الرخاء !

ثم كتب :

سأنم الان لأستعد للصباح , ساتي لكم مفي ما يقارب العاشرة صباحا
أو أكثر من ذلك و لكن ساتي .

كتبت :

في الانتظار يا استاذ محمد !

كتب منهايا الحديث :

طابت ليلتك !

كتبت :

طابت ليلتك !

لم يعد يظهر انه متاح الان , لقد اغلق الهاتف و ذهب للنوم , و ظلت
هي كما حالتها تجلس علي ذلك الكرسي , و بعض خيوط الصباح قد
نسجت في الغرفة بأكملها , و لكن لا يهم , تنظر و كأنها لا تزال تحت
ضوء القمر , و لكن الشمس قد أطاحت بكل تلك الأوهام و جلست هي
متربعة في الافاق كلها , شرقها و غربها , لا مفر منها الا اليها ,
وضعت الهاتف بعدما تأكدت من اغلاقه , فلم يعد له ضوء يصدر منه
أو يشي بوجود رسالة جديدة , أو اشعار جديد ! ليس هناك وقت الان
لمثل تلك التراهاات .

اتأكت بمرفقها علي جانب الكرسي , تحاول أن تذهب في النوم لوجود وقت محدد ستستيقظ فيه في الصباح , فبدأت معها الأمور تصبح يسيرة و جفونها أصبحت خفيفة معها , فأغلقتها بسرعة و لم تفتحها , لقد ذهبت الي النوم بعد صراع مع جفونها و مع عقلها في أن تنام فقط , و قد فعلت ما فعلت فاستحقت جائزة النوم المثالي في ثانية ! و قد كان للضوء دور في ذلك , بنسماته الصباحية التي أثلجت و أرخت عضلات جسدها و عظامها و أوتارها و كل ما في جسدها من تعب و إرهاق إحالته الي نوم و راحة , للشمس دور رئيسي في جعلها بلا جفون الي الصباح بصدق !

جفونها لم تثقل بسبب ضوء و نسيم بلا حرارة , بل نسيم بارد من احد الأقطاب , أعطي لها أملا و ابتسمت و نامت بأجمل ما يكون من علامات علي وجهها , و وجنيها الحمراءوات , يظهران جمالهما في وسط ذلك الحدث الجلل في نومها الذي لم يكن له عوامل و لا أسباب , كان نوما بلا نوم .

ضوء الصباح يفرج عن هموم المساء , و يجعلها بلا أي أمل في الفرار من صلابته و قوة جلده في التحكم بزمام الأمور , و ما كان بالأمس ليس بالتأكيد سيكون مثل اليوم , الصباح عوامله أكثر تأثيرا في الأحداث , دائما ما تكون الأحداث يسيرة في أوج الصباح , و الليل بعواقبه الوخيمة قد تقضي عليك و تجعلك هزيلا , ذلك القرارات الصحيحة تتواجد بأكثرية في الصباح و تندر في المساء لأنها عبارة عن اختيار فقط , و الاختيار في ذلك لديه حدث شيق , و ما حدث في البارحة عند " فاطمة " جعل أغلب قراراتها في المساء تبدو هزيلة

للمغاية , لذلك هناك ارتقاب لحلول الصباح لحل قيود تلك الأزمة , و حدود المشكلة التي تصعب علي الليل و القمر , و لا تصعب بالتأكيد علي الشمس و الصباح . كانت تستيقظ ببطء كعادتها في الأيام الخوالي و القديمة من تراثها اليومي , جعلت تزيل الجفون بتحريك إرادي فيهما و نظراتها لا تزال مليئة بالطبقة الشفافة التي لا تري منها سوي صورة بلا ملامح و لكن كل شيء أمامها معقود الأوصال علي حد قريب من " الهلوسة " . و لكن بعد لحظات تحللت تلك الطبقة و جعلت تري بوضوح شيئا فشيئا , يا للشمس الجميلة ! تعطي أشعتها علي الأرض و تضيء من كان مظلمًا و تهدي الطريق في المكان الذي تتواجد فيه , و تنير لمن لا يري سوي بعينه و تهدي لمن يسير بلا حب أو تفاؤل , عند النظر الي غصونها المنسدلة من السماء تشعر كأنك في جنة الله في الأرض حقا , ليس لوما عليها أننا شوهدنا صورتها و جعلناها مزار للإرهاق و التعب الجسدي و الضمور في العظام , و ربما بعض الأمراض الاخرى , ضربة شمس علي سبيل المثال , و لكن هي ليست مثلما نتوقه , هي جميلة لكل من يراها و كل من ينظر لها و لا يخاف أن تحترق عينيه و تلتهب جفونه و يحترق وجهه و يتغير لونه , هي تحبك مثلما أنت تحبها و لكن أنظر لها فقط ,

هي تريد ذلك الحنان عليها و الرفقة بها فهي مثل بنو جنسها ,
أصغرهم , تريد أن ترافقها يا صديقي , كن لها محبا تكن لك أشد ما
تحب في الآخرين , هي أنت و أنت هي , الشمس أم لكل من حرم من
نعمة الأم !

كرسيها المتكاسل هذا أيضا , لا يزال في موضعه منذ الأمس و منذ
أيام كثر , قامت و هي تتحسس الأرض لتأخذ نعلها و قامت بمط
ذراعيها في الهواء مع حدوث بعض صفعات في الظهر لم تكن ثقيلة
لتمرض , بل كانت راحة تامة ! و جعلت في تفقد الغرفة , كل شيء
كما هو , نيهال , يوسف , جثة علي الفراش , هذا أمر طبيعي و كل
هذه الاثارة حدثت بالأمس . كان هناك مرحاض علي أعلي المستويات
في تلك الغرفة , فقررت أن تمتع نظرها بما لا تراه في حياتها و تدخله
لتعيش حياة سعيدة لم تحظي بها من قبل و لكن في حدود المعقول ,
ليست مجنونة لتفعل أكثر من هذا ! و قد كان من المراحلض النادرة
في حياتها الخاصة , كان من بعض الذهب و كانت هناك الكثير من
العلامات التي تبرز شعار المستشفى كنوع من لوحة فنية لا يرسمها
الا انسان الي و ليس بشري ! و لكن هكذا هو الحال يدار , تجارة و
تحقق ما يفيد للمجتمع , لحظاتها لم تطل في الداخل فخرجت و هي

أكثر اشراقا ووجهها كان أكثر اضاءة من أمس و يوم أمس و يوم يوم
أمس , كانت بمثابة الملكة في يوم تنصيبها و ما كان ينقصها فقط
سوي تاج من الشهب يليق بوجه كهذا , بخطواتها الهادئة أقتربت
لتصلي " الصبح " قبل أن يأتي زوجها . بعدما انتهت من الصلاة
جلست لتنتظر و لم يكن هناك من صوت مسموع في الزقاق الخارجي
لذلك الطابق و لكن هناك بصيص من الأمل دائما في كل شيء , حتي
لو لم تكن تدرك ذلك الأمل , فأنت تستشعره بداخلك و تصف أجمل ما
فيك لتضع له عين و أنف و أذن , تضع له هيئة بشرية متكاملة كأنه
صديق لك , و هذا ما يميزك عن غيرك يا صديقي , اذا كنت تريد أن
تجعل من حولك يهتمون بك أكثر , قم ببناء بصيص من أمل لهم علي
هيئة بشرية , ستشعل قلوبهم اشتعالا لا يتواجد سوي في الدرك الأسفل
من النار !

و كأن كل ما حولها انعدم و ليس هناك هيرتز , لا تدري أهي الوحيدة
المستيقظة في ذلك الطابق أماذا أم انها لا تزال وحيدة في ضعورها و
في داخلها , أم انها لا تزال محيطة نفسها لتك الغرفة " المتوفاة "
حديثا و لم تمضي منها سوي سويغات فقط , و جعلت لها بؤرة تسير
حولها بلا هوادة , و يجعلها معصومة عن بقية الناس , و في ذات

الوقت معصوبة عن بقية المستشفى , ليت الوقت يمر بسرعة كي لا تتعرض لنوبة قلبية قبل أن يأتي هو و يريحها من هذا الألم !
أهناك ما ينتظرها أكثر من هذا , جلوسها علي كرسي لا يطيق استمرارها في الجلوس عليه هو حقا شعور لا يرغب فيه بتاتا , و لا في أي وقت كان , كأنك تشعر بنبض من الخشب و ابتعادة عنك , فما بالك بأن تنبذ من البشر , هذا ليس عدلا !

و أكثر ما ستثير الغيظ أيضا و يجعله في احتدام مستمر , هو انها في جلوسها تنتظر شخصا لا تعرف متي سيأتي ؟ و هل سيتأخر عليها – كعادته - أم ماذا ؟ أم سرتجل تلك المرة من موضع البطء الي موضع السرعة و يقدم ليخلصها من تلك الحيلة التي تعي فيها , بعض من شعورها يقول أنه سيأتي و الاخر ينفي , أيهما ينبع من العقل و أيهما ينبع من القلب ؟! هذا غير معرف الا الان . و ردها اتصال عاجل علي هاتفها فأسرعت في حمله لربما كان " هو " , قبلت المكالمة و بدأت تقول :

السلام عليكم !

قال الطرف الاخر :

انا في الطريق !

سعدت لذلك كثيرا , لقد كان " هو " حقا !

قالت :

لقد كنت قلقة علي انك ستتأخر علي تلك المرة !

اجاب :

كيف اتأخر عليك يا زوجتي !

قالت بلا مبالة :

فعلتها الكثير و الكثير !

ثم أردفت :

كم تريد أن اذكرك ؟!

توتر صوته ثم ضحك و قال :

هذا كان في الماضي يا عويوتي !

ثم أردف :

و الان المرء قد تغير الي الأفضل , الحياة لا تتوقف في الماضي بل

تستمر في الحاضر حتي تصل الي المستقبل !

أجابت :

سنري اليوم !

ثم قالت :

اين أنت الان !

اجاب :

انا علي طريق " جوزيف تيتو " .

قالت بقلق :

حذاري يا محمد من هذا الطريق , هذا الطريق يسمونه الناس أسما
بشعا جدا , طريق الموت , لذلك احذر و أنت تقود لا أريد أن افقد
اثنين في أقل من أربعة و عشرون ساعة !!

قال لها بهدوء :

لا تقلقي لن تزيد عدد الضحايا !

ثم أردف :

ها انا ذا لقد وصلت , انا سأشع سياراتي في الموقف الخاص
بالسيارات ثم ساتي اليك يا عزيزتي !
أجابت و قد هدأ نبضها :
حسنا , في الانتظار .

ثم أخرجت تنهيدة بعد أن اغلقت تلك المكالمة " السعيدة " التي أحيت
لها أملا من جديد , لقد اتي " محمد " الان و سوف تحل جميع
المشاكل بالتأكيد و سوف تحل جميع المعضلات التي حدثت و لا تزال

جارية في أحداثها الشخصية و في تلك الغرفة التي تجلس فيها بالخصوص !

كانت تترقب صوت خطواته في الرواق , و صوت إيقاعها الذي يتناغم مع القلب فيجعله مبهتجا و سعيدا لأن " زوجها " قد أتى أخيرا , و لم ييأس منها و لم يبتعد عنها , و لم يتركها وحيدة هنا , كان ذلك في الحديث معه بالأمس , أعطاهما صوته فتجملت من أجله , و أعطاهما نبرة من خوفه فأعطته جلوسا علي كرسي خشبي , هذا لقاء هذا سيجعل الحدث مكتملا , كان يتصعد علي السلم بخطوا ثابتة , وصولا الي الطابق الثاني . لاحظ قلبها الوقع فقام من فوره و تبعه الجسد ينظر من النافذة الصغيرة , نعم كان هو ؟! , أنتظر تحتي يفتح الباب حتي أقبلت عليه باحضانها و لم تتوقف تلك الشغوفة , تلك المحبة , تلك المستمتعة بلحظات الحزن , دموعها انهمرت في دلالة علي حزنها و سعادتها في ذات الوقت , تظهر مشهدين حدثا في وقت مختلف و لكنهما لم يتجاوزا حدود الأربع و عشرون ساعة !

و أمسك بها أيضا خشية أن تفلت من قلبها و يتركها و يهاجر بعيدا فلا تعد تنبض بذلك الحب مرة أخرى , أمسكها و تركها تقبله من وجنته بكل مرحها و سرورها , و كان ذقنه قصير الشعر فيه فكانت تمسك به

و تصدر له الما داخليا و لكن هذا ليس من مواقف الألم , هذا من مواقف العشق , ثم ابتعدت بثواني و نظرها لا يزال محمقا في مقلتيه التان لا تزالا مضيئة كما كانا , لم يتأثرا بعوامل التعرية , في الهواء , أو في الماء , قالت و قد أخفت بعض تلك الابتسامة :

انت قدمت بالفعل !

أجاب :

لا أتأخر عليك كما قلت !

في وسط تلك النظرات و الهمسات , جال نظره بالغرفة الي ذلك الجثمان المغطي بالقماش فجعل يقترب منه خطوة خطوة بهدوء , بلا أن يصدر صوتا تتحسسه فتنبت من موتها , هذا كظن عقلي باطن , أخذ ينظر لها و كانت كقطعة واحدة , القماش لا يظهرها سوي أنها جسد خاوي بلا دماء و بلا أي لون , فقط الأبيض هو الشامل لكل تلك الألوان الثانوية , و نظر الي " يوسف " الذي كان يحتضنها و يربط بخصرها بشدة و هي لا تزال مجرد " جثمان " لا تشعر بشيء , فأخذ يقترب منه و يضع اصبعه ليوقطه , هزات خفيفة أيقظته و جعل يبكي بصوت عالي ثم بعدها بلحظات يهدا , ثم يبكي ثم يهدأ , حالته ليست طبيعية , فأخذ يحمله من بين أحضان امه , سرخ بصوت عالي و لم

يتحمل ذلك الألم " محمد " فأخذ و ابتعد به عن أمه و هو يمسك به جيدا لكي لا يفلت من فرط هزاته القورية في جسده و كأنه يريد أن يطعنه فقط ليعود الي أحضان امه مجددا , فلحقته " فاطمة " و كانا لا يزالان في الغرفة و لكن في أبعد منطقة فيها , قالت فاطمة :
سأذخه انا !

قال :

هل تستطيعين ان تسكتيه !

أجابت :

سأحاول , لربما يريد جسد أنثي لا يريد جسد رجل .
اعطاها اياه بكل اقتناع , فجلع يقل في بكاءة و لم يعد يصرخ كما كان , هدا الصوت تماما , فقالت و هي تنظر بتركيز الي " محمد " :
ألم أقل لك بأنه يحتاج أنثي لا يحتاج ذكر !

فسكت و لم يعلق , و جعلت ترخيه بين ذراعيه و هو قد أستراح أكثر و أغلق فمه و بدا عي وجهه أنه نام مجددا , كانا فقط يريدان مجازفة لأن يجلباه من بين أحضان أمه لقطع خيط العنكبوت الذي كان بينهما , و لكن بالتأكيد يعاد ربطه من جديد فيما بعد , قال محمد :

هل نتكلم في الخارج أم هنا !

أجابت و هي تشير الي الكرسان الخشبيان :

تفضل بالجلوس هنا , أنا لا أجلس سوي علي هذا الكرسي في تلك
المستشفى !

قال :

حسنا !

ثم أقتربا و جلسا بالقرب من بعضهما , فنظر لها و قد كان يفكر بعض
الثواني ثم قال :

أكنت تريدان الحل ؟!

أجابت لهفة :

نعم , بالتأكيد !

قال :

يوسف سيبق معنا !

ثم سمت , فقالت :

و ماذا عن نيهال , ألن تدفن !

أجاب و قد أخفض رأسه :

في الحقيقة لا أعرف كيف سنفك عقدة هذا الموضوع , و لكن نحتاج

الي جلسة بعيدة عن كل هذا لنفكر جيدا !

أجابت :

هلا نجلس في الاستراحة في الأسفل لنتكلم , الهواء في الأسفل رائع
و ينعش العقل !

أجاب :

حسنا , موافق !

فقاما من علي كرسيهما , و كانا بهدوء يقتربان من ذلك الباب , و
كانت لا تزال تحمل " يوسف " بين ذراعيها , فهي قد تيقنت أنها لو
تركته هنا وحيدا مع جثمان متوفي لربما سيحدث له شيء في المستقبل
, لذلك ليس من الام لها أن تتركه هنا , في غرفة تظلم بين الفينة و
الأخري حين تبتعد الشمس و قد يثير هذا من فزعه , لذلك هذا ليس
بمكان امن لكي تتركه بداخله , هذا قد يشبه منزلا مليئا بالمهرجين
السمجين بالنسبة لطفل صغير كهذا , نظرت الي ذلك الجثمان و جعلت
تقول في باطنها :

يا نيهال , انا عتذر عن اخذ يوسف معي , لكنني لا أستطيع تركه هنا
, انت الان مجرد جسد , و لا يستطيع أن يحيا هو مع جسد فقط بدون
أن يكون احد معه , لا تقلقي هو معي و سناتي بعد قليل , يوسف في
أيد امينة !

و تبعت " محمد " خارج الغرفة , و أغلقت الباب خلفها بهدوء , ثم
قالت لـ " محمد " و نبرة الحزن تكسوها :

حقا ذلك الابن الصغير سيعاني الكثير في حياته , من ما يحدث مع
اهله و بالخصوص مع ابيه و أمه , حين يدرك و ينضج لن كان له أم
و اب !

ثم أردفت :

يا لحزني عليك يا صغير !

فأجاب بنبرة لا تخلو من الحزن كذلك :

هذه هي الحياة , تعطي من لا يستحق , و تمنع من يستحق , و قد
تعطي لك العطاء الشحيح و تحسب أنك قد اخت كل العطاء , ثم تفاجأ
بالعديد من المساوي في حياتك , و في النهاية لا يتبقي علي هذه
الأرض سوي ذوي النفوس الخبيثة فقط !

ثم أردف بطريقة " دينية " :

الخيرون هما أول من يقبض الله أنفاسهم قبل الصعقة الأول , قبل

النفخة التي تبديد كل البشر !

قالت و هي تنظر لأسفل :

هل تعتقد انه سيقدر علي البقاء علي قيد الحياة بين تلك المصاعب
جميعها !

قال :

فليساعدنا الله علي ان نساعده في ذلك , هوا الان بلا أم . قد توفت ,
و بلا أب نظن انه علي الأرجح سيموت قريبا مما يفعله في نفسه , هو
الان يتيم يا فاطمة !

قالت بحزن :

كنت أطلب من الله أن يرزقني طفلا , و هاهو الليه يعاجلني قبل أن
الد بيوسف من صديقتي لكي أراعاه و أهتم به و يبقي معنا !
ثم أردفت :

هل فكرت في كيف سننقل جثمان " نيهال " و السماح له بالخروج
من تلك المستشفى ؟
فكر قليلا ثم قال :

هل هناك مشكلة لو بقت هنا و لم نأخذها معنا !
قالت بغضب :

كيف نتركها هنا يا محمد , هي صديقتي و لن أتركها هنا أبدا , يجب
أن تدفن كما سندفن نحن جميعا . لا لتبقي في تلك المستشفى و لا تنتثر
تحت التراب كما في " الاسلام " يا شيخ !

صدم من ردة فعلها , و قال :

يا ليتني ما نطقت ! اذن ما هو الحل لديك يا فقيهه الدين في هذا
الموقف الدنيوي !

صمتت , تفكر في أقرب و أسهل ما يمكن فعله , ثم قالت بتردد :
حقا . لا أعرف كيف سنفعل هذا !

قال بسخرية :

اذن , دعي الرجال هم الذين يتصدون لتلك الأشياء و لا تتدخل فيها !
ثم قال بنبرة الثقة :

سنأخذ جثمانها معنا , و لن يراها أحد !

قالت و هي تنظر له :

نسرق الجثمان !!

قال :

هذه ليست سرقة من الأصل , هذا فقط حقنا في أن نأخذها و أن
ندفنها في أي مكان نريد , هي من أقربائنا في ذات الوقت !

قالت :

ولكن ؟!

قال مقاطعا :

ليس هناك حل اخر , و سأقول لك ماذا سنفعل بالجثمان لكن بعد أن
نأخذ الجثمان و نرجع الي منزلنا !

أجابت :

لست متأكدة من هذا الحل يا محمد , ليس بصحيح أن نأخذه هذا بدون
إذن من المستشفى ! و ماذا لو شاهدونا و نحن نأخذها معنا , ماذا
ستفعل حينها !

أجاب بضحكات :

سنركض علي الفور !

ثم أردف :

أتريدون أن يتم الإمساك بنا و الزج بنا في السجن !

قالت :

نحن لن نركض بها من الأصل .

ثم أردفت بتهكم :

نحن سوف لن نفعل شيئا !

قال و قد عقد ذراعيه :

و ماذا تنوين أن تفعلي يا أستاذة فاطمة ؟!

أجابت تلك المرة بثقة :

أنظر , لا حل سوي أن توضع هنا في المستشفى و المستشفى
ستتكفل برعايتها !

قال :

هذا قرارك الأخير ؟

أجابت بمليء فمها :

نعم .

ثم أردفت :

هذا هو الحل المناسب !

قال و هو ينهض من مجلسه :

اذن يجب أن نخبر الطيبة بأننا قد اتفقنا علي ذلك القرار , أين هي

الان ؟

قالت :

علي الأرجح تجلس في مكتبها هناك !

و أشارت بيدها ال ي غرفة في اخر الممر , كانت منعزلة عن بقية
الغرف , فنظر لبعيد و قال بدهشة :

هي تجلس هناك , يا الله !

ثم أردف :

هل تودين أن نذهب سويا لنقابلها ؟

قالت :

أرجعني أنا و يوسف الي المنزل و ا بقي أنت هنا لتتحدث معها ,
حسنا .

قال بابتسامة و قام بتقبيلها من جبهتها :

حسنا يا فاطمة .

أمسكت برأسه و قالت :

بارك الله لنا فيك يا زوجي !

أبتسم ابتسامة أكثر عرضا و قال :

بل بارك الله فيك !

ثم نظر الي " يوسف " و قال :

و بارك الله في ولدنا الجديد !

قامت زوجته و جعلاً بيتسماً لبعضهما لثواني معدودة , ثم سارا علي
درج السلم الي طابق الاستقبال في الأسفل , كان لا يزال الناس يقبلون
عليه و لا يملون من مجرد الجلوس فيه فقط ! نظرا لمن يجلسون هناك
بالقرب من موظف الاستقبال , و من يحملون صديقهم دخولا من
الباب الرئيسي , و من يجلس في انتظار دوره لزيارة الطبيب الذي
سيعالج حالته و سيجعله سعيدا , أشكالا كثيرة تتنوع ما بين مصاب و
جريح و جريح نفسي و جريح قلبي , هناك العديد من الجروح في
الساحة ! أقتربا من ذلك الموظف الأنيق و تجاورة موظفة أكثر أناقة
بابتسامتها في وجه المريض , التي تشفي عللهم بسرعة فائقة , و لكن
ان كان المرض نفسيا أو كان جرحا !! نظر محمد اليهما و قال :

حجز !

قال الموظف :

ما الأسم !

قال :

محمد خليل !

قال له و قد ابتسم :

تم يا أستاذ محمد .

ثم أشار لزوجته بالذهاب , فخرجا و كانا لا يزالان في سرور بأنهما قد خرجا من تلك المستشفى و من الحالات " النفسية " العجيبة التي تحل عليهم فور دخولهم و بقائهم فيها , كأن المرض روح تحلق في كل مكان فيها , تهبط علي كل نفس فتؤرقها و تتعبها بعض الوقت ثم تغادر و تترك ما فعلته لنتائج ستحدث فيما بعد , لذلك الخروج كان بمثابة طوق واحد من أطواق النجاة , و كانت السيارة في الموضع الخلفي من المبني , فسارا باستدارة حتي وصلا الي هناك , و كانت السيارة في موضع لائق بها , فقد كانت سيارات تعتبر من – شاكلتها – أنها حديثة الطراز , لذلك لا يليق عليها سوي أن تكون في طراز عالي من الوقوف , و في طراز عالي من النظافة الخارجية لها و كل ما يحيط بها أن يكون نظيفا , ليجعل مشهدها علي طراز حديث !

أقتربت منها وزاد أكثر من اعجابها في عينيها , و اعجابها في عقلها الشديد بانسابية شكلها و الجناح الجانبي لها , و كأنها مفتولة العضلات فهي حقا بمثابة كائن ضخم , مفتول الجوانب و الحديد الذي تمتلئ به يعطي لها مشهد أكثر أناقة لها و يعطي لها رونق في نفوس كل من يلمحها في أي طريق كان , و في أي لحظة كان , جلست علي مقعد وثير بجانبه , فقالت له و قد اثارت تلك السيارة انبهارها :

متي أتيت بتلك السيارة ؟

قال :

أتيت بها منذ أيام فقط , لقد تجهزت بها من أجل أن نذهب في أي مكان لو شئنا في أي وقت !

قالت :

اه , حسنا يا محمد !

فقال لها :

شدي الحزام حول خصرك , هيا !

نفذت تلك الأوامر , وضعته حولها في أمان و هدوء و جعلت تنتظر أمامها في مرورهما بين تلك السيارات الكثيرة , و المتنوعة في الألوان و المظاهر , و تأملها في كل قطعة حسنة في تلك السيارات الثابتة و المتوقفة كما كانت تعطي مشهدا جذابا – أيضا – لكل من يراها , ولكن سيارتهم كان لها الدور الأكبر في نفسها , فأعجبتها دون غيرها , و حظي نظرها بمشهد من المشاهد اللامعة التي لا تتكرر , كان يقود بسرعة عادية في الطريق , حتي وصلا بسلام الي " العمارة " التي يقطنون فيها , لم ترها منذ مدة طويلة , لم تري تشققاتها و تشعبات حائطها في جدار كبير مليء ببروز في الحائط الخارجي و

مكتظ به أيضا من الداخل , أقبلت بالخروج من السيارة و في يدها " يوسف " , كان نائما , أخذت تنظر حولها فقد كان النسيم الذي ينطلق فيها و يمر عبر مناحي الحياة فيها , و العديد من الأزقة الضيقة , كان يعطي لها شعورا بأن لا أحد يسير علي قدمين الان , كلهم في ستار عن السير لحين اشعار اخر , كان خاويا بلا أي خفت و لا أي نباح كلاب و لا أي أنين قطط ضالة أسفل السيارات أو حتي تقف فوقها في شموخ , ليس هذا متوفرا الان و لكن قريبا جدا , فقد كان الصباح لا يزال مستترا بعض الشيء بضوئه عن ذلك الشارع , نظرت الي " محمد " قالت :

كم أفقدت ذلك الشارع بكل ما فيه !

ثم أردفت بصورة أكثر مرحا قبل أن يتكلم :

أتدري أن نباح الكلاب أيضا قد أفقدته , و صوت القطط في الصباح قبل أن نستيقظ و في المساء قبل أن نخمل و لا نبرح من فراشنا , كل تلك الأشياء الجميلة قد عادت لي من جديد , هي بالتأكيد أفضل بكثير من الحالة التي كنت فيها هناك !

قال :

الحمد لله علي نعمة الموطن !

ثم تركها و قد أغلق باب السيارة و قام بفتح النافذة من جهتها و قال و هو يبتسم :

توخي الحذر يا عزيزتي , و حافظي علي يوسف الصغير !
أجابت بابتسامة و هي تضع راحة يدها علي " بطنه " :
لا تقلق , يوسف في أيد أمينة !

أغلق النافذة و نظر في الطريق الذي أمامه و أنطلق بصوت محركه
القد , و صرير العجلات الخاصة بها , كان كأنه مشهدا في فيلم
استعراض لمكونات سيارة جديدة الصنع , و قد كان يقود و كأنه
متمرس في قيادة مثل تلك السيارات , و في مثل تلك الحالات التي
تحتاج رعونة أكثر منها خبرة , تحتاج دقة أكثر منها قيادة فقط ,
تحتاج قائدا بحق !

فتركها و غادر , وقفت هي كأنها ذهلت أمام الباب الخاص بالعمارة ,
و لكن ما أستغرقت وقت حتي أنبهت الي شرودها عن الواقع , فدلقت
الي الداخل و صعدت علي درج السلم بهدوء و حذا في الوقت و الان
ذاته , كان في يديها عهدا لا تستطيع أن تكسره , و لا تستطيع أن تبعد
عنه , و لا تتركه لوهلة من نظرها لمجرد أن تذهب الي مكان ما أو أن
تتكلم بضع دقائق , قلبها بن يهدأ عن الاضطراب و القلق , لن يخول

لها أن تمارس طبيعة حياتها , لن يدعها بل و سيتذمر علي كل ما تفعله , في مقابل أنها فقط لم تتحمل ذلك العهد , صديقتها سلمته أياها بكلمات قلائل قالتها لها , أرسله الي حسن , كانت تريد أن يرسل الي زوجها , لربما هو سيعتني به أكث , لربما هو من تثق فيه أكثر من أي شخص اخر , تلك الثقة وطيدة للغاية , لا يعقل أن تقول بفم عقلها أن ترسله الي " حسن " و هي تعلم بأنه لم يعد كما كان ! من المحتمل أنها كانت تعتقد بأن ما يحدث له لن يؤثر لأن هناك قلب لا يزال ينبض بداخله و سيجعله يعتنق به بمجرد أن يراه , فهو لم يري ولده منذ فترة . فبالتالي هذا سيكون سبب أكثر من مقنع لتعطيه له و هي تقول بكل ثقة " أعطيه الي حسن " .

أقتربت من الباب و قامت بفتحه و دلفت الي المنزل , كان منزلها أكثر ما يكون كما هو , كما تركته منظما و مرتبا ف يحالة جيدة ! كل شيء في مواضعها , و كان هناك اثار لبعض المياة علي الأرض بل و كانت منتشرة بكثرة , يبدو أنه كان ينظف الشقة من أجلها و يحتفظ بجمال منزلهم كما تركته كما ستراه , المنزل أصبح جديدا و ليس كما قبل , بل أكثر حداثة و تجديدا , تدلف الي الغرفة و هي تتفقد بواقى المنزل , ما زال الجمال في أعينها يلمع و ينبت فيه نبات السعادة كلما

رأت شيئاً في ترتيب " رائع " و لا تعوبع شائبة أو أنه غير مرتب , كانت الغرفة مرتبة أيضا , فجلست علي الفراش , تحسست كل شيء فيه و كأنها تراه لأول مرة , فقد كانت بعيدة عنه , لذلك كانت ترغب في اعادة ذلك الشعور من جديد , ملمسه كان ناعما , و نبات القطن يكسوه من داخله فيجعله منتفخا بطريقة تسر النظر , و تجعل الفؤاد يقفز و يترنح في موضعه طربا و رغبة في أن يظل علي هذا الفراش و لا يغادره مهما كان الثمن , وضعت يوسف بهدوء في وسط الفراش , و شرعت تراقب حركاته و انسياب ساقيه بين كل حين و اخر علي ذلك الفراش , يريح العضلات و يرخي الذراعين كأنه يستمتع أكثر بهذا الفراش , غير الذي كان هناك , هذا أكثر ما فيه القطن فقط , هو طبيعي و ليس مبتذل , لذلك هو سيضفي عليه السعادة حين يكتب له القدر في أن يجلس عليه أو أن ينام عليه , لم يكن من السرور أن تبعد نظرها عنه , فقد كان الجمال شعلة من شعله , طرف من أحد أطرافه الخمس التي تزين يده و تزين جسده بالكامل , تتلامس مع نعومة أظفاره في مراحل المبكرة في الحياة , التي لم تمارس أشياء بعد , و لم يعلم من هو ؟! لم يتعلم حرفا ليكتب اسمه كاملا بدون أخطاء , أو أن يحيا وسط أناس يحبونهم و يحبوه , هي تريد ان تضع لنفسها الميثاق

بأن تبقي عذلي اتصال دائم بذلك الشاب الصغير أبدا ما داموا معا ,
تريد أن يحبها و يتعلق بها كما كان في خيط العنكبوت مع أمه , تريد
أن تبني نسيجا جديدا تضم فيه هذا الصغير و تكونهي الأم معهه ,
فتشعره بكل الأحاسيس الأمومية التي لم تتعرف عليها من قبل , أو أن
تطبقها عمليا من قبل , و لكن حين تحظي بطفل اضافي عما قريب .
ستتعلم , و ستبقي أعينها عي " يوسف " و ستبني لها نسيجا لم يره من
قبل , و لم يلحظه في حياته , قبل أن يدرك الودة التي يعيش فيها و
الحزن المخيم علي القلوب المجاورة له , لكن ليس هذا الشعور الذي
يجب أن ينشر , شعور السعادة هو الذي يستحق أن يجري له اعلانات
كثيرة تتنبأ بقدوم الكثير من لحظات السعادة , و القليل من البؤس , و
الكثير من الحب و القليل من الكره , الكثير من كل ما يحيي و ليس كل
ما يميت , تنظر له و كلها آمال و أحلام في أن تفعل له هذا , و أن لا
يحدث له شيئا يحزن بسببه أو يؤثر علي حياته و مواقفه فيها , ستبني
بالكلية أن تهيأة تهيأة حسنة لحياة جديدة سيحيا بها عندما يدرك و يبدأ
في أن يراها و يتحدث معها , لأنها لم تتحدث معه من قبل , و لم
تستمع لوقع صوته و لا لنبرته لتظل في ذاركتها مدي الحياة . و تريد
الكثير من تلك الأشياء التي تساعد في تجنب المكاره في الحياة و تتأكد

من حدوث كل جيد في حياتها , و حياتهما معا كأم مستقبلية له و كأبن تأمل فيه الكثير و الكثير , علي أن يكون قد ورث طباع أبيه " الحميدة " التي بنيت علي أسس التسامح , و العطف علي الآخرين , و الاحسان و هذا أكثر ما كان يميز " حسن " عن باقي الأشخاص دونه , كان حجر الأساس في كل شيء يحدث من مشاريع تنموية في المدينة , فقد كان مشاركا متسامحا و نشطا منذ القدم , شارك مع الناس بالخير و أحسن اليهم أكثر مما أخذ و تتطوع أيضا في وضع الحجر الأول في بناء المسجد الذي لا يزال يتحصل علي حسنات منه , لأنه أعطي فيه خيرا , و بذل فيه من عرقه و من مجهود داخلي كان مخزنا فأخرجه علي شكل جهد متواصل فقط لبناء مسجد , للمصلين , للزائرين لأحباب الله . لكل من يريدون أن يقابلوا الله في صلواتهم و تحاصرهم ملائكة الرحمن و تتنزل عليهم البركات من ربهم في كل صلاة , هو كان شريكا في هذا , في الماضي كان محسنا , الأمل في يوسف الان , علي أن المستقبل يقترب كل يوم من الحاضر و يصبح أكثر تقلصا الان من أي وقت مضي , فيسارعون الناس اليه و هو فقط ببطء يقترب من حواجز الحاضر , علي أن يخترقها هذا صعب في الوقت الحاضر لأنه لا يزال في ترقب صامت لأولئك الذين يقتربون منه ,

فحذر من الاقتراب , و الأشخاص هم فقط المستعدون بحماس أكثر منه , و يوسف قد يكون من أولئك الرجال المتحمسون لقدوم المستقبل بطريقة أكثر ابداعا و أكثر أناقة من حيث ما يحتويه من حادثة و تطور في كل أجواء الحياة , و كل أشكال المنتجات التي تقدم في كل ثانية في الوقت الحاضر , من سواعد التطور ان يسير بنهج أبيه , و أن يكون مثله في أكثر ما كان يستمتع بفعله و يبذل فيه من ماله و جل ما يملك في سبيل من يفعل , الكثير من العطاء للمستقبل و لكل من يحضرون نموه و نضجه و تطلعاته في مستقبل مشرق و مستقبل أكثر اضاءة للأمال من الماضي و أكثر إحاطة بالاحباط من الحاضر و أن يكون بفضل جهود والده في اعطائه جينات ذلك العطاء أن يكون من رواد قطار الاصلاح في الحياة , و أن يكون من أكثر الأمثلة أن يحتذي بها , و يقود شبابا مثله , يتطوعون باحسان و بلا مقابل , فقد يتطوعون لعجلة التنمية و عجلة ما يقدمونه للمجتمع كأغلبية حب و إحسان و علم .

الأمل فيك كثير يا ولدي , الأمل فيك لا ينقطع . المستقبل في انتظارك فأقبل له و أبتمسم بمليء فمك ليكون لك نصيب كبير من القدر و القدر سيكون ضمن حلفائك لا ضمن أعدائك , ستكون أنت و القدر نصيبا

مشاركاً في أفعال واحدة , لا تلبث عن فعل شيء الا و كان له جزء منك , هذا احسان بطاقتك و تنتفع به في قدرك , فتحسن و تحسن , كل ذلك سيكون من شأنك أن تكون عظيماً مثل والدك , الذي علي الأرجح لا يريد منك سوى أن تكون محبوباً بين الناس , تشاركهم السعادة و الحزن , و تجنب السوء . فإنه لا يفلح من عمل بالسوء أو تعتمد ان لا يقع فيه و لكن في داخله و وقع وقعة كبيرة فأسقطته بداخله فصار لا يستطيع أن يفعل شيئاً واحداً سوى في الخبث و الشر , و ابتعد عن من يحيطون بأهل السوء و يتوكلون عليهم في اعمالهم , أنت لديك الله و الله يكون دائماً خير حافظاً للبشر , كن قريباً من الله بالطاعات و لا تتكاسل عن الفرائض تكن لك الفرائض مقتاً و لا تقدر عليها في شيء , كن من ضمن الصالحين و لا تكن من أولئك الطالحين الذين لا يجدون مأوى في الدين لهم فيتجهون الي ما يغضب الله ليسخط عليهم , فيدمرهم بذنوبهم لأنهم ما فعلوا الأشياء و تخطوا حدود العقل فتذمرا فأهلكوا , ذوقوا ما كنتم تفعلون . الخير أمامك يا يوسف فأخذ منه الثمار و لا تتوكل علي الغدار !

كان يقف في شرفة النافذة و كعادته الصباحية في مراقبة المارة و يتابع ما يفعلون بكثب لا سبيل فيه , جل ما يفيد في هذا هو فقط يراقب كيف يقضي البشر حاجتهم و يبدي علامات الاندهاش لمجرد رؤية شخص يقف جوار حائط و يتبول عليه , كأنه يتابع درسا يبتث علي الهواء لكيفية قضاء الحاجة حين تحتاج الي وسيلة ثانوية ؟! و لا تجد الوسيلة المعترف عليها في أي مكان , لذلك دائما ما تتواجد حلول

أخري تأتي و تحل محلها , قد تؤدي نفس الوظيفة و لكن في بعض الأحيان تكون دمارا شاملا للبشرية كهذا الشخص !

يراقبه و عل عينيه تطلع و قد غادر و ترك أثرا اجراميا علي الحائط ,

لربما يفيد في التحقيقات اذا سقط ذلك المبني رأسا علي عقب و لم يعرف له مرتكب , أو يعرف له جاني , فسيكون هذا من الاثار المخلدة

عل ذلك المبني , طابع يدل علي تلك الشخصية الذكية للغاية ! من يترك أثر الجريمة خلفا ؟ المتبولين بالطبع ؟! , كأنه أخذ درسا للتو في التبول بارداة كاملة علي حائط لا يتحرك ليفر بالهروب , و لكن هناك دائما ما هو أهم من ذلك ليقف في الشرفة يوميا و يتابعه , هناك قطط !

هناك كلاب ! هناك حيوانات أخري لا تنتمي لأي فصيلة و لكن تظهر ولا تحمل أسم فلا يتعرف عليها اطلاقا , هذا ليس بالمهم ليتعب عقله بتفكير لا فائدة فيه , كانت هناك نجة قادمة من سيارة في الشارع , فنظر بسرعة و قد لمح سيارة فارهة ضخمة تدخل الي الشارع , لونها يتميز بالجمال , هيكلها الخارجي يفيد بأنها قد تجاوزت النصف مليون !! لامعة و براقعة في الوقت ذاته , جعل بمقلتيه يركز أكثر علي من يخرج من تلك السيارة , رأس انثي تقدم اولا بالخروج و في يدها طفل صغير , كان نائما و لم يكن فيما يبدو أنه يسمع خرير تلك السيارة و

صوت محركها العالي , و كانت تنظر لشخص آخر . كان رجلا يخرج من السيارة ووقفا ليتحدثا قليلا ثم غادرت السيارة و قد وقفت تلك المرأة تنظر الي مبني و كأنها قد اعجبت به كثيرا , لقد كان منقوشا فقط و مجعد , كيف تعجب به لتلك الدرجة في الدهول و الثبات في الحركة , لا تتحرك قدمها لبيدي أنها لم تمت بعد , فظل لدقائق يقف يتابعها , أبتمس حين راها تتحرك و تدلف داخل ذلك المبني و لم يعد يراها , و لم يعد لها أثر في الشارع , محيت كما محيت السيارة التي قدمت فيها , أعجب جدا بصوت تلك السيارة , كانه سهيل ألف حصان في وقت واحد !

لم يكتفي بالوقوف و يديه مكتوفتين بلا أن يفعل شيء , يمتعه و يجعله منتشيا و هو يقف في العن هكذا ؟ , أمام مرآي من الناس لكل من يريد أن يبتسم في وجهه و يحييه , أخرج ورقة من جيبه و طواها بشكل دائري كأنه يعد " قرطاس " ووضع بداخله المزيد من تلك الطيات و أحكم اغلاقها , ثم أخرج قداحة كانت في جيبه أيضا , وضعها أمامها مباشرة , ثم أشعلها فظهر منها ضوء و خفت بسرعة , و قربها من فمه و جعل يتنفس منها و يزداد وهيجه من المقدمة ثم يتوقف ليخرج سحب سغير من الدخان المحترق , ثم يأخذ المزيد من قطع الورق

المحترق بأنفاسة المنتشية و يخرجها علي شكل سحابات قد تكون كثيفة و قد تكون صغيرة , يعطي أشكالا لتدخينه حتي يسعد بما يفعل أكثر من مجرد أخذ أنفاس من الدخان من ثم يخرجها بلا اي ترفيه عن أنفاسه , و لا يمل من اولقوف هكذا و هو يدخن , في الصباح يكن أكثر الأوقات نشاطا و المساء أيضا , علي شرفته يقف يوميا و يشاهد أعجب ما لم يره في عالم الحيوان , ليس بشرا و لكن يري فصائل جديدة تخترعها الطبيعة في مناطق متوسطة المعيشة في " جسر السويس " , توجد فيها عجائب و أشياء لم تعرفها " ناشيونال جيوغرافيك " بعد , و لكن ستذهل تماما حين تعرف أنه في الانقراض دائما ما يوجد (... _ , لم يعرف له شكل من لون من عظام من ملامح , و قد لا يكون له وجه , لكنه كائن الحي و الكافي لدليل علي ذلك أنه يتحرك بحرية مطلقة في أي مكان يرغب في السير فيه , شعر ببعض الملل في وقوفه فأدخل رأسه و أغلق النافذة , و جلس علي الأرض كما العادة يشاهد أنفاسه في كل مكان , تحلق فوق رأسه لتحميه من أي مروة قد يحدث له , تدافع عنه من السماء و غيثها الذي يتذمر عليه لأنه ليس كما يهوي و ليس كما يتنفس و ليس ذمن نطاق سجائرة " اللذيذة " التي يصنعها بيديه , و التي لا تحتاج جهدا ليصنع

منها يوميا المزيد ليستمت و يشعر بمشاعر ليست كالتى قبلها , و لكن ما يشعر به أشبه كالمانجو في يوم عتيق من الحرارة !

ثم يغلق عينيه ليذهب في عوالم أخرى ليست هنا , بل هناك , مجرة درب التبانة تبتعد عنه و هو يذهب الي مجرات أخرى , يري مجرة " دائرية " فيهتم بها و ذهب للجلوس هناك في احدي شواطئها مستمتعا بحرارة نجمها المضيء الذي يشبه " الشمس " في مجرتنا , و لكنه أقل حجما لذلك هو يتمتع بجو معتدل لا يتداخل معه أمواج الحرارة كما في المجرة " الحلزونية " , دائما ما تكون الشمس مصدر للاكتئاب في أيام الصيف , و لكن هذا في لا وعي , يري و لا يشعر , يتجسد فق هنا أو هناك , عند هذا أو عند هذه , المجرات جميعها ترحب به , فليس مكروه بين أشقاءة من الكويكبات الصغيرة و النجوم التي تتقارب مع الشمس , و يفتح عينيه , و يري الوصف الذي هو فيه , كانه يتخيل عالم بلا اعتناء أو بغير تنظيم , الكواكب الأخرى أكثر تنظيما من ذلك المنزل , كأنه يشعر بالغيرة كشعور ظاهري و لكن هو سعيد بالجلوي و لا يفعل شيء , ذلك الزجاج ينظر له بسعادة و هناك ما قد كسر منه و البعض لا يزال لم يكسر بعد ! ولكن سيأتي دوره عما قريب , الأطباق ملقاه في كل مكان , بعضها قد كسر و البعض قد

وضع في أماكن لا علاقة لها إطلاقاً بالأطباق , بعض ما ضوع في
المرحاض و أتسخ أيما اتساخ , كان لا يفعل شيء , يجلس وسط
الركام و يفعل ما يحلو له و ما يرنوا في عقله و ما يبلغ صداه أن
يحرك أوتار ساقيه ليفعله , هذا لم يأتي علي عقله و تفكيره بعد , و
لكنه سيظل جالس هكذا , لا يفعل , ينتظر أن يقوم بعد البنون التي
سيقضيها في أن يجدد من عقله الصامت , المتوقف و الممنهج علي
خطة ثابتة لا تغيير في جذورها , أو في مراحلها , البقاء علي قيد
الحياة في النعيم فقط , كل ما يحوم حوله هو لا يتعلق به , فهو فقط
مستخدم له و لي مالكا , اذا أخذ ذلك الشيء يقضي به ما يريد ثم اذا
أراد أن يلقيه في النافذه أو أن يدمره فسي فعل , لأنه ليس من حوائج
حياته و ليس من متطلباتها , تلك أشياء معروفة يفعلها و لا يهتم
لأمرها شيئاً , و ينقضي بعدها في وحدة ركيئة علي الحائط , في
جوانب ذلك المنزل , بدأت الأنفاث التي تنبعث ثقل , فأخرج القداحة
من جديد و قام بإشعال واحدة أخرى ينتفع بها ليبقي مستيقظاً و لا تتقل
جفونه فينقض نائماً و لا يستيقظ الي حين تغيب الشمس و لا تعد تراه ,
سيكون مناخاً ملائماً لكثير ما يفعل , الورق و حريقه و أنفاته الذي
يخرجه كأنه البرنامج المفضل له في اليوم , لا ينقطع منه و لا يمل من

متابعته يوميا و بتذوقه لهذا المذاق الرائع في فمه , و أنفاث الدخان التي تتوغل في قلبه و أجزاء جسده فتحبيه مرة أخرى و تدفعه للانتشاء و الشعور بالسعادة و المبالغة في الشعور من كل شيء , يصدم أي شيء أو يكسر أي شيء في تلك اللحظات " السعيدة " في يومه , و مستمرة معه في كل يوم يحيا فيه و لا ينقطع أنفاسه فيها عن الحياة , لا يحق للقدر أن يتدخل في شأن من شؤون حياته اليومية , فقط يتابع ول ا يتدخل , و الأحق له بأن لا يقترب من أي شيء هو يحب أن يفعله و يوقف امداده عنه , لأنه سيتذمر كثيرا و ربما ينقطع عن الحياة , لهذا لا تعبث أيها القدر مع حين . فهو ليس كما تعرف , هو مفتول العضلات في أوقات الغضب , هزيلا علي احدي حوائط المنزل , شعر بجسده في لحظة انتشاء مرت بسرعة , فقام و قال لنفسه و كان يقف شامخا :

يجب أن أكسر شيئا لليوم , هذا ليس من روتيني اليومي . سأكسر بعض الزجاج !

أسرع و أمسك بزجاج كان قد كسر من قبل و لكن أكمل عليه و ألقيه علي الأرض و قد دفعه بيده , فسقط و تهشم فيه كل شيء , و صوته قد أعجب خلايا أشنه فصار يميل برأسه للوراء و يتنفس هواء كثيرا

من تكسر ذلك الزجاج , كأنه أعطاه المزيد من الطاقة و أمنحه نشوة لا
توصف , نشوة أن يتخلل اذانك شيء مثل هذا و قد ألقيته بيدك , شعور
مثالي في لحظة مثالية , تلك ممارساته اليومية . يجلس علي الأرض
ثم يرخي جسده بالكامل و ينم كما كان , ثم لحظات و يأتي الليل لتكتمل
أحداثه المثيرة في اليوم الرائع هذا !

* * *

غادر زوجته و هو لا يزال يجلس بداخل سيارته و لمحها وهي تقف
تنظر لبعض الوقت و لكنه قد غادر قبل أن يكمل مشاهدتها , كان يسير
بسرعة معقولة علي هذا الطريق , فلا يسرع لأنها ليست من الأشياء
الجيدة و ليس علي سرعة بطيئة لأن هناك موعد هام يلحق به , و لا
يريد أن يتأخر عليه . كان الطريق لا يمتلئ بالسيارات فقد كان هادئاً و
كل السيارات بجانب بعضها لا تتقدم , تسير بأمان تلتمس لكل سيارة
أخري الأعذار و تمر بهدوء , و لم يكن هناك ما يريب في طريق كهذا

, حتي و صل الي الموقف الخلفي للسيارات , فأخرج هاتفه و أتصل بها , فأجابت :

أين أنت الان ؟!

قال :

في نفس المكان .

قالت :

حسنا , أنا قادمة .

ثم ما مر الوقت حتي أقتربت من الباب و كانت ترتدي ملابس متأنقة , أفضل من المرة الفائتة , و الورود التي تكسو مظهرها و ذوقها الجميل هذا , كأنها تحب الورود فأكثرته منه و كانت أحسنت الاختيار حقا , جلست بجانبه و قالت بابتسامة :

هيا بنا !

قال و قد هيا نفسه للمغادرة :

بالطبع !

ثم أنطلقت السيارة في ذلك الطريق مجددا , كانت الرحلة ممتعة فلم يكن هناك الكثير من الأصوات , و لم يكن أحد يتكلم بصوت عالي فقد كانت محادثات قصير بين الفينة و الأخرى ثم تنتهي , و كان قد أتفق

معها في الطريق علي الذهاب الي نفس النادي الذي كانا فيه في المرة
الفائنة , فوافقت و هي لا تتكلم فقط اومأت برأسها ايجابا , الطريق
يسر معهما فوصلا فيخلال نصف ساعة فقط , و وضع سيارته أمام
النادي , و قال :

هيا بنا !

قالت :

قادمة معك .

ثم أرتجلا من السيارة و أغلقت الأبواب باحكام و دلفا بجانب بعضهما
الي الداخل , و أقتربا من احدي المقاعد المهيأة و المرتبة , بين اللون
الأخضر الكثير , و الأعشاب القصيرة , كان مناخا ملائما لأحاديث
عن ما في القلب , و أحاديث تدخل في نطاق عملي صارم , أخرج لها
الكرسي و دعل لها بأن تجلس ثم جلس هو في مقابلتها , ثم بدأ يقول :

لقد أقترحت علي زوجتي شيئا ؟!

قالت :

ما هو ؟

قال :

في أن نسرقها من المستشفى !

ضحكت و برز نصح أسنانها ثم قالت :

تسرق الجثمان , أجننت ؟!

قال :

لما , هذا حق من حقوقي !

ثم أردف :

فهي احد اقربائي , فان لم تكن تلك المستشفى لا ترغب في ان

ناخذها سوي بتوقيع زوجها , فهذا من حقي !

قالت :

من حقك هذا , و لكن ماذا ستفعل لو راوك و تم اللقاء القبض عليك !

أجاب بسخرية :

سأفر بالطبع !

قالت بجدية :

و لكن المستشفى مؤمنة من كل الجوانب يا استاذ محمد , فلا تفكر

في الفرار منها سوي من الباب الأمامي , و أنا لا أحبذ ذلك كثيرا !

قال :

جاءت لي فكرة !

قالت :

ما هي , أدهشني !

قال و هو يتطلع لأعلي في السماء :

سنخرج بها من الباب الأمامي !

قالت :

تتكلم بجدية !

قال :

و هل هذا وجه رجل جاد ؟

ثم أردف :

و لكن في عقلي الكثير من الخطط الجنونية التي أنوي تنفيذها ؟

قالت :

لا تفكر فيها ثانية , أزلها من عقلك فهي ستؤدي بك الي اقرب سجون

القاهرة عنفا !

قال :

اذن ما تطلبين منا أن نفعل !

قالت :

لا شيء , أنصحكم بأن تبقوا عليها هناك في المستشفى , و المستشفى
و أشم نلك هذا بأنها سوف ترعاها في احد الثلاجات التي عندها , لا
تقلق !

قال :

و لكن ألن تدفن ؟

قالت و هي تأخذ رشفة من العصير :

المستشفى من تفعل بهذا ؟!

قال بتهكم :

و لكن هذا ليس من الاسلام بشيء , من مات فحقه أن يواريه التراب

و هناك سيبقي حتي يبعث , و ليس من المعقول أن يبعث من ثلاجة

الموتي علي أرض المحشر مباشرة !

ثم أردف :

هذا ليس منطقيا !

فقالت بنبرة حادة :

اذن نريد الزوج ؟ فهو الذي قد وقع باسمه علي الحجز عندما كان

هناك , لذا فهو الشخص المعروف هناك أنه معها و انها كانت زوجته !

قال :

أنت تصعبين الأمور أكثر !

قالت :

أنا فقط أقول لك الحقيقة التي لا تحاول تصديقها , بل تكذبها و تختلق أفكار أخرى !

ثم أردفت و قد نظرت بكثب الي عينيه :

ليس هناك مفر من السعودي الألماني سوي بالسعودي الألماني يا أستاذ محمد , أفهمتي !

قال :

اذن لا حل لنا سوي ما قالته لي فاطمة !

ثم أردف :

لا حل لنا سوي أن نتركها في المستشفى !

قالت :

هذا أنسب حل !

ثم قال :

الان نتكلم في الموضوع الرئيسي لتلك المقابلة !

قالت :

ماذا تقصد ؟

قال بابتسامة :

ماذا قررت ؟

قالت بريية :

لم أقرر شيئاً في الترة الأخيرة , لذلك ليس عندي اجابة !

قال :

سأذكرك , أتذكرين القبله ؟!

قالت و قد برز عصبها الجانبي في الرأس :

لما تذكرني بذلك الشيء ؟

قال :

لقد تذكرتي اذن !

قالت :

لأنها لم تعجبني , فلذلك لا زلت أكرها !

قال و هو يرتشف من الكوب :

لا يهم , المهم هو العرض الذي طلبته منك يا عائشة ؟

قالت :

العرض ليس له رد الان !

قال :

الي متي سأنتظر ؟!

قالت :

الي أن يشاء الله يا أساذ محمد !

ثم أردفت :

و لا تسألني عن ذلك مجددا , حين أقرر أمرا ما سأقول لك , سواء كان عن طريق رسالة أو عن طريق الهاتف ! و اذا أردت أن نتقابل فلا توجد مشكلة !

قال :

سأكون في الانتظار !

جعل ينظر حوله في كل مكان , الحقول الخضراء المليئة بالنباتات العشبية القصيرة و أنواع أخرى من النباتات موضوعة بجانب بعضها لتعطي شكلا متميزا لتلك الحقائق ! و لونها متقارب من بعضها , فاللون الأخضر يميزها في كثير من الأوقات , و البعض منها أرجواني و انحنائاته لأسفل تنبع عن خمول الساق و ترهلها , بعضها مستقيم كمن يرتوي بالماء و لا يمل منه و البعض الآخر لا يجد قطرات من الماء الكثيرة لتأخذ بها و ترتفع بساقها لأعلي , و لكنها لا تجد قطرة من ماء يرويها , أو حتي يقم صلبها لترتوي بالمزيد و

المزيد منها و لم يكن من النصيب الخصاص لها أن تأخذ كل ذلك ,
فهي كانت لا تحيي سوي بالشمس فقط ! و كان هناك أشجار في
أوسطها , علي شكل دوائر و في المنتصف أشجار , و كانت ثلاث
أشجار فقط المتواجدة , متوسطة الطول ليست طويلة و لا تستطيع أن
تحملق فيها , و ليست قصيرة و ترهق عمودك الفقري للنظر اليها ,
هي في نفس مستوي منكبيك فلا ارهاق حتي تري و تتمتع بجمالا
طبقتها الخشبية تلك , و أوراق شجرها الأخضر كأنه حي و ينبض
بالحياة دائما , و لا دخل له بمن يجلس تحت ساقيه و لا يجد قطرة ماء
, يأخذ حقه يوميا و علي مدار فصل الربيع بالخصوص , فهو يتحصل
فيه علي الكثير من الماء و الطاقة في نفس الوقت ليبقي نضرا و لا
يتأثر بعوامل التعرية الثانوية لكل ما يجاوره , الأشجار تعامل معاملة
الملوك في ذلك المكان , ربما لا اعتقادهم – الصحيح – بأن الشجر هو
المنبع الرئيسي لأكسجين يملئ رئات الأنفس البشرية , و يأخذ ما
يضر أجسادهم و في المقابل لا يأخذ منهم الكثير من العناية سوي من
قلائل علي اصابع اليد الواحدة , ليسوا بالكثرة و لكنهم هم الأجدر بأن
يعتنوا به , و لا يجعلوه يحتاج شخصا اضافيا ليعمل من أجله , و
يعطي حقه في يوم حصاده و في يوم مقته من كل النباتات التي تحيط

به و تمنع قطرات الماء عنه , الأوراق تزينه في الأعلى و تكسوه جيدا فيجعله نازجا و لا يزال في مرحلة الشباب و لم يضر ورقة أو تذبل شجيراته الصغيرة في الأعلى بحيث لا يري الناس قبحها بأعينهم المجردة , فقط يرون الجمال الظاهر في فترة شبابها الدائمة لأطول من عمر الإنسان بالكامل . هذا كان ما راه محمد و أعجبه كثيرا , و نظره كان يمر بمشاهد رائعة أخرى و لكن ليست بالقليلة لتجعله يتهاون في أن يحملق فيها لبعض الوقت , و يعطي لها حقها في أن تتنعم عيناه بها , فتستمتع هي باعجابه الشديد بمظهرها و درجة تزينها , و كان من ذمن ذلك الفتاة التي تجلس أمامه , و الحجاب علي رأسها يعطي لها أكثر جمال قد يراه في حياته , و ما لم ير منه الكثير سوي علي التلفاز ربما , ها هو ذا قد تمثل أمامه في هيئة حقيقية تتواجد معه و تجلس و تتحدث بليان عربي معه و ليس بلغة أخرى – كما يري في التلفاز – و هذا ما أعطاه شعورا بالسعادة أكثر ! و ارتوانا من حيث الجمال فيشعر بها و كأنه جزء من أحاسيسها و خواطرها التي تتراود في ذهنها في كل ثانية و تمر بمشاعر و أحاسيس لا ينقطع لها حبل ثلب , لأنها من أجمل الأفكار الانثوية في العقود الأخيرة .

لم يظل اعجابه هذا كثيرا , ففاجأته بقولها و هو ينظر و قد أمعن في
النظر اليها :

احم , ما بك يا استاذ محمد !

قال و يبدو أنه قد سهي عن الموقف الذي هو فيه :

أتطلع الي بدور نامية و سيقان راقية و طين لزب و ليس بجسب !
ضحكت و قالت :

ما هذا الشعر يا محمد ؟ 1

و أستمريت في ذحكاتها حتي نظر لها أكثر , و أظهر بعض أسنانه من
الفك العلوي و قال :

أقول ما أري , ألا تصدقين هذا !

قالت :

لك رأي مخالف لرأيي يا أستاذ محمد !

قال و قد أصغي أذنيه :

و ما هو رأيك اذن !

قالت و هي تداعب الكوب الذي أمامها :

ليست كل فتاة جميلة هي جميلة حقا !

و تركته يتعمق في التفكير , ثم قال :

أعذريني و لكني لم أفهم شيئاً !

أبتسمت و قالت :

ليس الجمال مظاهر !

و تركته ثانية , و كأنها تختبر ذكاءه , فقال :

أتحاولين أن تتعبني !

قالت :

ألا تفكر في شيء علي الاطلاق , الا تفكر بعمق , خذ في عقلك بأنني
أحبب الذي يعملون بعقلهم كثيراً و لا أحبذ أن أتكلم مع رجل لا
يستوعب شيئاً و لا يقرأ أي كتاب و لو حتي كانت قصص قصيرة , بل
يجب أن يكون قارئاً ممتازاً !

قال و قد وضع كفه بقوة علي رأسه :

في الحقيقة , أنا اقرأ و لكن لاهتمامات دينية فقط !

قالت :

و لمن تب أن تقرأ من علماء المسلمين !

قال :

رياض الصالحين في كلام سيد المرسلين .

ثم أردف :

الامام النووي !

قالت و قد ابتسمت :

تستطيع أن تحدد ماذا تقرأ بعناية , هذا الكتاب رائع و مفيد , فهو كتاب يشتمل علي أحاديث نبوية مفيدة في حياته صلوات ربي و تسليماته عليه , و بعض المواقف مع الصحابة أو سواء كانت مع الأعداء , خاصة مع يهود الجزيرة العربية في ذلك الوقت !

قال :

يبدو و أنك قارئة جيدا أيضا !

قالت :

القراءة عادة .

ثم قال هو :

القراءة حياة .

فأندesh و قال :

نحن وجهان لعملة واحدة أعتقد يا عائشة , أعتقد انك تفهمين وجهة نظري جيدا !

قالت و قد ابتسمت فقط لهذا الموقف :

قد يتشع من هذا الموقف أنه هناك توافق و لكن ليس بالضرورة أن نكون وجهان لعملة واحدة !

ثم ضحكت قائلة :

لربما نكون وجه واحد لعملتين !

" تبا للسفسطة ! "

قال و كأنه لم يفهم شيئاً :

بعد اذنك , أعيدي قول ما قلتيه للتو !

قالت و قد أبتسمت :

وجه واحد لعملتان !

قال :

أتريدن أن تجهزي علي مبكرا , صحيح أن اقرأ في المجال الديني ,

و لكن ليس في الفلسفة ! لا تتكلمي معي بطريقة فلسفية هكذا , أتعلمين

كأني أحد أخواتك , تكلم بشكل طبيعي !

قالت :

حسنا يا (باشا) !

أعجبه ذلك و قال :

هكذا هو الحديث يا عائشة !

ثم سألها :

أعجبك هذا النادي ؟

قالت :

جميل حقا !

قال :

ما رأيك في أن ناتي اليه مجددا في أي وقت تريه مناسبا ؟!

قالت :

و لم لا ! اتي لأريح نفسي قليلا من هموم المستشفى لبعض الوقت !

قال :

حسنا !

و لم تجلس لكثير من الوقت فنهضت بسرعة من مكانها و قالت :

يجب أن اعود الي المستشفى الان المرضي يحتاجوني بالتأكيد الان

!

قال و قد نهض :

سأوصلك ؟

قالت :

لا أريد أن اتعبك !

قال :

ليس العرق هو الذي سيقضي علي حتي لا أوصلك , سأوصلك انا ثم
أعود الي المنزل !

قالت :

اذا كنت تصر علي ذلك !

قال و قد ظهر الحماس في كلماته :

أنا افعل هذا من أجلك لأنك تستحقين هذا !

أكتفت بالخجول و الابتسام فقط , فسارت حتي وصلا الي السيارة في
خارج حوائط ذلك النادي , فأستقلها و جلست هي بجانبه , و طوال
الرحلة كانت تنظر ففك الي الطريق من خلال النافذة و لا تفعل شيء
سوي التحديق في أشخاص يفعلون ربما أفعال تبدو ساذجة و لكن
بنظرتها " الفلسفية " تتوقف عند كل لحظة و تحللها تحليلًا منطقيًا لكي
تستطيع أن تري الصورة الكامنة خلف ما يفعل , و قد كان حقا بأنها
تبتسم كلما عرفت الحقيقة , و لكن أنتشلها من ذلك كله مبني المستشفى
يظهر أمامها من جديد , فلا تحقق فيه و لا ترغب في النظر , فتتظر
الي " محمد " و تقول و هي قد أوقف السيارة في أمام الباب في المنبي
الخلفي :

شكرا لك علي تلك التوصيلة !

ثم أردفت و قد أبتسمت :

لربما قد تفيد في المستقبل ! و سارت حتي أغلقت الباب خلفها و ظل هو كمن يحلم بكثير ما سيحدث في كلمة " المستقبل " تلك التي وضعتها أمام وجهه علي طبق من فضة و ذهب في ذات الوقت , فليأخذ هو ما يعجبه منه ليسعد به و تنفرج السعادة كشلالات ضخمة من قلبه مطلية بالسعادة و الفرح الجم بكل ما سوف يحدث , بفضل كلمة غيرت ينابيع دماؤه فجعلتها تسير فرحا و طربا في جميع أجزاء جسده النشط . و لكن أنتبه لنفسه بأنه قد يراه أحد و هو يحملق في ذلك الباب أو أنه يقف في موقف ليس خاصا بالسيارات الخاصة بالناس , و لكن ذلك موقف سيارات الاسعاف الخاصة بالمستشفى و لي له دخل به , و هذا قد يثري من شكهم به , فضغط علي الوقود بسرعة و حلق في الطريق كأنه مشروع " صاروخ " لا يزال في طور التجريب فأطلقوه في الشارع ليذهل جميع البشر بمقدار سرعته , و مع سيارته الضخمة تلك ستثير قلقك بالتأكيد و أنت تسير في " طريق الموت " !

كانت تجلس معه و بنومه هذا يبدو أنها تريد أن تغفوا كذلك و لكن
تقاوم ذلك الجسد الذي يريد أن يرخي بجسده و بجم طاقته علي الفراش
فلا يستيقظ الا بعد ساعات , و لكن هي لا تريد هذا الان , هي تريد أن
تفعل شيئاً في ذلك الوقت , فرت فيه كثيراً و الان حان وقت اتخاذ
القرار , القرار السهل الممتنع , و ما الخطأ في أن تفعله ؟ لن يضر
شيء لو حدث عكس ما تتوقع ! فلتحاول و تترك الباقي علي ربها و
هو سيدبر الأمر بحكمته جل و علي , فقامت من السرير و أخذت
يوسف بين يديها ببطء لكي لا يستيقظ من ثباته العميق و سارت به الي

الباب , و أخذت معها حقيبة أيضا كانت تخبئ فيها أشياء , و لكن لتزيل الشك فقد كانت حقيبة مشتريات قديمة كانت تمتلكها ول م تجد لها استخداما سوي لتلك الخدمة " المؤقتة " , فتحت الباب و أمسكت الحقيبة و أغلقته خلفها بهدوء , سارت بهدوء و سلام حتي كانت تقف خارج العمارة الكبيرة , و كانت وجهتها أمامها مباشرة , ماثلة أمامها كمبنى كبير , لا يحمل لها الذكريات كما كان في بيتها الأصلي , بل كان ثانويا من حيث المشاعر و الرهبة فيه , و لكن اجتاحتها مشاعر توضح و تبرز لها شيئا كانت – من المحتمل – أنها خفيت عنها و هي تفكر في ذلك المنزل , الذهاب الي هناك خطوة ليست بمحسومة بالنسبة لها , فقد تذكرت ذلك الان و لكن لا سبيل للعودة , فهي قد أخذت كل ما تحتاجه و ستفعل ما كان في الخاطر الأول الذي حل في بالها و أستقر في ذهنها و لم يهجرها كباقي الخواطر , فلا سبيل للعدول عن موقف الان أصبح في محض التنفيذ و الارداة , فأستعدت بجام طاقتها و تحركت صوبه , حتي دخلت من بوابته , كان شعورا غريبا في بداية الأمر أن تزور ذلك المكان مجددا و قد كانت فترة طويلة لم تنظر اليه حتي من النافذة , رغم أنه أمامهم مباشرة و يكفي أن تقف لتنظر داخلها مباشرة و لكن شعور الخوف مما ستري هو ما

قد منعها من التفكير حتي مثل ذلك الموقف الجريء و أن تقدم بثبات قدمين علي أن تقف لثواني لمشاهدة , و كأنها تنتظر ظهور " شبح " و لكن هي لا تحب الأشباح و لا تحب أن تعلم شيئاً عنهم و لو هوامش ذاكرة بسيطة عنهم , و ليست بلمحة بسيطة عن أحوالهم و لا عن خاطر بسيط من باطن ما يفعلون , فكل تلك أمور يجب أن يتم تجنبها , ذلك المكان كان يذكرها بشيء في الماضي مما قد حدث قبل أسبوع تقريبا , من جراء ما حدث لها و أودعها تلك المستشفى " الكئيبة " كما تصفها نفسها , و كما يأتي لها في عقلها , كما حدث حين رأت في وجهها تلك الملامح من الخوف و القلق علي مصيرها حين أتت لها في المستشفى , و لم تكن في كامل طاقتها لكي تتكلم بشيء حسن أو شيء جيد , و لكن فاض بقلبها الحزن فأخرجت منه ينابيع من الكلمات و المشاعر التي عرضتها عليه بينما كانا يتحدثان أمام بعضهما في غرفة خاصة , و كانا في شبة عزلة عن العالم رغم وجود بعض الأشخاص , الا أن هذا لم يمنعهم من التحدث و فضفضة الكثير من الأحاديث و الكلمات حول ما يتعلق بمصيرها الحتمي , و أنها قد تتوفي قريبا ولكن لا تذكر سوى كلمة واحدة , ملك الموت ؟! , كأنها تحاول بشتي جهدها أن تذكرها بالموعد القريب و الوفاة المحتملة في

المستقبل لها , و لكن تلك النبؤات التي لا تعبر الا عن نبؤات " نوستراداموس " السخية بالكذب و التي تلخص كلمة واحدة , كذب المنجمون ولو صدقوا , و لكنها ليست من المتخصصين بعلم التنجيم لتتوقع حدثا مستقبليا مؤلما كموت شخص ! أو تتوقع حدثا قد يغير من حياتها و حياة من يحيطون بها و خاصة من أقربائها و من يلوذون بالمحبة معها في أي موقف تحيى بها معهم , كل تلك الذكريات هاجمتها هجوما شرسا ذاريا و كأنها فريسة سهلة وسط تلك المجموعة من الذئاب , الأفكار تتحقق معها كلمات بأن أضرارها دائما ما تكون أفتك من أشرس حيوان علي سطح الأرض , بل لا يجب أن توضع في مقارنة مع أنياب حيوان ماثل في واجهة حيوان آخر , بضروسهما و قوة جلدتهما , و صلب عظامهما المليئة بالـ " الكالسيوم " , و لكن ماذا لو أعطينا الكلمات بعض من عنصر الكالسيوم هل سيكون له تأثير كبير علي الآراء ؟ هل سيكون له تأثير علي كل من يؤمنون بأن الكلمة لها تأثير و تأثير واضح في تركيب الجمل ؟! ماذا لو حدث كل هذا , لكانت الكلمة كلمة و لا يحيط بها أي مخلوق علي وجه الأرض ! لذلك دائما ما تكون الكلمات لها تأثير قوي علي حياتها , و تأثير قراراتها الكثيرة في الحياة , فالإقدام علي خطوة مهمة قد يحتاج لأكثر

من كلمة لتكوين أكثر من منطق لتعبر به عن ما بداخلها علي شكل صورة لحل , أو صورة لمنطق ستسير به كأنه منهج و لن تحيد عنه , هذا ما لا تحبذه و لا ترضي بأن يكون من ضمن نطاق تفكيرها , و هذا شيء مقيت حقا , لذلك من معظم ما تحبه هو أنها تريد أن تحيى بكلمات سوية لا بكلمات متعجرفة !

ليت عقلها فقط يستطيع أن ينسي أن الأسبوع الفائت قد مر و لم يعد له أثر في حيز الزمن , و لكن الصعب هو أنها تتذكر كل ما حدث فيه و كأنه في الحاضر لا يزال ينبض , و يعطي لها المزيد من مشاهد الألم و المزيد من مشاهد شحوب الوجه و عدم القدرة علي التكلم , فقط الصمت هي الذاكرة الوحيدة التي كانت تتذكرها جيدا عنها و لا تنساها , وكانت علي درج السلم تصعد ببطء , لا تسرع فقط من أجل يوسف , و لكن تريد و برغبة شديدة أن تري طيف تطور حاله , كيف يصبح و كيف يمسي ! كيف يحي منفردا و منطويا علي ذاته بدون أدني مساعدة من أي شخص , و لا يوجد أحد بجانبه ليكمل معه حياته , و يجعله لا يطلب شيئا علي الاطلاق الا و يكون ماثلا أمامه , من المحتمل أنه يفتقد شخصا كهذا بشدة , هو كانت لديه سيدة جميلة تفعل له كل هذا و كانت ترعاه و تعطي له الحب و الوفاء , فلا تذهب الي

أي مكان الا بأذن منه و اشارة بالسماح , و لا يخطر علي عقله شيء
الا و قد فعلته له , هذا ضمن حب الوفاء و المساعدة له في كل ما
يحب و كل ما يريد أن يجلبه للعائلة من سعادة و ما يثري عائلتهم
معنويا و نفسيا , و لكن حالته فيما تسمع " ليست بالجيدة " علي حد
بعيد و لكنه موجود بيننا لا يزال , فلذلك هناك فرصة في التعرف علي
ما يحدث معه , و ما هي متطلباته , و لماذا فعل كل هذا و قرر أن
يجلس وحيدا بلا أن يكون معه رفيق أو معين في منزله , كانت واقفة
أمام الباب مباشرة , شعورها كان طبيعيا في تلك اللحظة لأنها ليست
كما كانوا يعتقدون عنه بأنه قد " جن " , و لكنها لا تزال تعتقد بأنه
شخص طبيعي , و بالتأكيد أن هذا ابتلاء من الله في نفسه و في عائلته
و في زوجته , لذلك لم تكن ليرتجف قلبها أو ليحذرها عقلها من
الاقتراب أكثر من الباب أو حتي لمسها بالأنامل , لا هي ليست تعتقد
هذا؟! كل البشر دائما يجب أن يكون لديهم فرصة في أن يحيا حياة
سعيدة , حتي لو لم تكن حياة مجد , حتي لو لم يكن الترف جزءا منها
أو أن يكون الترف من مكوناتها , أو شيء لا يتجزء منها , و لكنه
يلزم في أشياء بسيطة جدا في الحياة , و هذا الذي يعطي للحياة سبلا لا
سبيلا في السعادة , فأنت ستمتلك حينها العديد من وسائل الترفيه عن

نفسك , و الترويح بجسدك في مكان حسن , يشعرك بالطمأنينة و يشعرك بالراحة فيه , و عادة ما يكون السبيل الي هذا هو أن تعرف كيف ترفه نفسك بدون مقابل مادي ! يجب تقنين عادة أنه للترفيه يجب أن يكون هناك مقابل مادي , ما دخل الترفيه بالماديات ؟ الترفيه حالة معنوية ينشط فيها الجسد كله , الماديات مثل المال مجرد وراقة تتبادلها أيدي الناس و لو شئت لتقطعها لقطعتها و أنت مغمض العينين ! و لكن هناك دائما حالة خاصة تتواجد في البشر , الحالة المعنوية هي التميز , الحالة التي تخلو من الماديات هي حقا ما يميز البشر عوضا عن جميع المخلوقات الأخرى .

كأن عقلها يحذرهما و ينكسها بالابتعاد , و لكن هي خطوة بلا تراجع , أمسكت بمقود الباب بيدها اليمنى و كان هناك كسر جانبي في الباب و اثار خدوش كثيرة عليه و لكن لن يخفها هذا , دقت علي الباب مرتين متتاليتين , لم تسمع ردا صوتيا و لا حتي صوت الباب يفتح أمامها , فقط لا شيء , فأعادتها مرة أخرى , فرأت الباب يفتح ببطء و ليس هناك أحد خلفه , أستثار هذا قلقها بعض الشيء و لكن لن يجعلها تتراجع , بل هي ثابتة دائما في مثل تلك المواقف , أقبلت باليمنى أولا و دلفت بكامل جسدها الي الداخل , في الحقيقة لو قلنا بأن عينيها

ستغشيان عليهما من " الموت " لكان تعبيراً صحيحاً , و لم يكن فيه أدنى مبالغة , لم تري شخصاً بل كان فقط الباب فأغلقتة و اندفع بقوة عائداً كما كان , و بدأت تنظر الي كل حيز في ذلك المكان , الاثاث شبة لا يوجد , الكراسي معظمها مقطعة و " القطن " يتدلي حولها في كل مكان , و هناك بلاط الشقة معظمة قد أزيل من علي الأرض فلم يبق سوى بعض مناطق بيضاء اللون فقط , و هناك شيء كثير و منتشر في ذلك المكان , هناك الكثير من الزجاج المتكسر الي قطع صغيرة في كل مكان , هناك في جوانب الحائط , و علي المناضد الصغيرة , و هو المادة الوحيدة التي يمكن أن نقول بأنها منتشرة و بكثافة في الشقة بأكملها , و كان مشهد الزجاج هذا قد أثر فيها كثيراً و يبدو أنه قطعها من الداخل بالفعل , كان الزجاج في كل مكان , و كان تحت أقدامها بعضاً منه فأزاحته خوفاً من حول قدميها لكي لا تصاب كما المتوقع في ذلك المكان , و بالخصوص حول جيش من الزجاج المتقطع علي هيئة فرق في كل مكان , و لكن لم تطل كثيراً النظر علي هذا و الحالة المزرية للشقة بأكملها من أثاث و كل شيء متوقع , فلقد نسيت بأنها حين دلفت الي ذلك المكان لم تي شخصاً قط , لم تري أي شخص هنا , و جاءت صدمتها أكثر حين تذكرت بأن الباب كان يفتح ,

هل كان يفتح تلقائيا ؟! أم ما الذي يحدث , وضعت بصرها مجددا بتركيز علي الجوانب الداخلية من تلك الشقة , كانت هناك غرفة بالداخل لا تزال لم تتفقد , و كان يوسف لا يزال نائما بين ذراعيها , فسارت ببطء شديد و لا تصدر أي صوت الا أنها تحاول تجنب الزجاج و صوته العالي , الا في الوقت ذاته تسير بحيث لا صوت و لا حركة تري عليها , البطء بلغ بها الي مشارف تلك الغرفة فوقفت تنتظر بداخلها , لم تكن تبالي حين قالت في نفسها " أهذا الرجل حقا طبيعيا ! " , رأت كل ما في تلك الغرفة رأسا علي عقب , لم يدع شيئا الا و جعله رأسا علي عقب , و قام بجمعهم كلهم في حيز واحد بجانب الحائط و افراغ الغرفة كلها , فتجرات و دخلت لتري باقي الغرفة و لتعرف المزيد أيضا ! رغم أن كل ما رآته الي الان جنونا في حد ذاته , الا أنها لم تكتفي برؤية القليل , بل تريد أن تري الكثير و بالذات اذا رآته هو شخصا .

كانت الغرفة شبة خالية , الا فقط من ركام الأثاث , و كانت بلا أي مفروشات علي الأرض و بلا ممشى للأقدام , فقط كانت عارية من الحشمة و الملابس , أزيل عنها كل شيء فأصبحت بيضاء للون كما باقي الشقة ! لم تدم النظر فقد تفقدت كل شيء و لكن لم يكن له وجود

هنا أيضا , فدلقت خارجة في سيرها المعتاد , و لكن تلك المرة لمحت شيئا أسودا يتكوم في احدي جوانب الحائط , هو لا يظهر منه سوي اللون الأسود , و يرتكن الي حائط قريب من نافذة أعلي رأسه , و يضع رأسه بين فخذه و لا يبجو عليه أن يريد أن يتحرك و لا حتي يريد أن يتنفس و لكنه يجلس فقط , بلغ الرعب في ساقها أيما بلغ فقد كان لونه الأسود هذ أكثر ما يخيفها فيه و كأنه مجرد لص يعيش هنا , و فيما كان يبدو أنه لا يريد أن يغادر ذلك المكان , و لكن أي لص هذا يجلس بدون أ يتحرك و لو كان لصا لكان أخذ جميع الأساس في الداخل و فر به مبكرا , أحتار عقلها في وصفه و تحديد من يكون هو , و ماذا يفعل هنا ؟! فأقتربت منه أكثر بسيرها الوئيد , و كان يفصل بينهما سنتيمترات فقط , حتي سمعت صوتا يصدر منه , كأنه كان نائما ؟! نعم لم يكن يتحرك لأنه نائما و يصدر صوتا متحشرجا يدل علي نومه الشديد , فظلت تراقب نومه هكذا و لم تريد " لحنانها " أن توقظة , شعرت بأنه مرهق و لا يريد أن يستيقظ , و لكن هي كانت تعرف بأنها لا تريد بتاتا بأن يستيقظ , كانت تريده هكاذ لتفكر ماذا ستفعل معه لو أفاق من النوم ! فظلت واقفة هكذا لثواني حتي بدأت الحركة تدب فيها , و شرعت بل و بصرت الي رأسه و هي تصعد من

بين فخذه و تبدأ في النظر أمامها , شعرت بخوف و لكن تماكنت نفسها , في الغالب شعرت بالخوف لأنه كان شعره الأسود أكثر ما في وجهه و عينيه التان لا تزالان زرقاوان و لكن ليس ملائما مع اللون الأسود الذي يحيط بوجهه , شعره كان كثيفا جدا , بل أكثر ما فيه هو الشعر و لا شيء غيره , و ما جعلها لا تهدأ عن التفكير أنه كان ينظر أمامه مباشرة و لم يكن ينظر اليها , و كانت هي بالرب من الباب و ليس في مرمي بصره , و احتياطا اذا حدث شيء ما , ظل ينظر أمامه للحظات و أتمرت لأكثر من دقيقة , ثم نظر اليها باستدارة رأس بطيئة للغاية و كانت ترتعد خوفا لكنها تماسكت من أجل تريد ايصاله فقط , و لهذا هي هنا , جعلت نظراته تتفقد موضع عينيها بحذر , و كأنه يريد أن يتعرف عليها فقط من عينيها , أو من لون عينيها , أو من مدي جمال عينيها , ليس طبيبا ليعرف هذا و لكنه لا يزال يحاول فعل هذا أمامها , بلا أي ردة فعل أخرى , فتجرات هي علي التحدث تلك المرة , فأقتربت أكثر ببطء و جعلت تنظر في عينيه فقط , و قالت بصوت هاديء و لكن يدب في داخله الخوف :

أستاذ حسن ؟

صمت و لم يجب .

قالت من جديد :

أستاذ حسن أنا ..

قال مقاطعا :

أنا لا أعرفك !

قالت :

أنت تعرفني يا أستاذ حسن !

قال مستنكرا :

لم أري مثل هذا الوجه من قبل , و مثل تلك العينين !!

قالت :

حاول فقط أن تتذكرني جيدا !

فصمت بعض الوقت , ثم قال :

أتعلمين أمرا !

قالت :

ماذا ؟

قال :

أنا المذنب بأني قمت بفتح الباب لك , فقد أعجبتني عينيك و لكن

صرت نادما الان علي أنني فتحتة !

قالت :

أنت فعلت الصواب يا حسن !

فقال :

ليتنني ما فتحت الباب !

و صار يردها كثيرا , فقال له مقاطعة :

أنت فعلت الصواب يا حسن !

فتوقف عن التردد , و قال بتساؤل :

ماذا تريدني مني اذا ؟

قالت :

اريد أن اوصل لك شيئا ما ؟

قالت :

هي رسالة من حبيب مقرب اليك !

قال باستنكار :

ليس لدي أحياء في هذا العالم , لا حبيب لدي سوي الدخان و

السجائر !

ثم أردف بنفس اللهجة :

و الورق !

قالت متجاوزة كل ما قال :

لا , لديك من كان يحبك !

قال :

من هو اذن ! هيا قللي من هو ؟!

قالت :

ألا تتذكر شيئا من الماضي !

قال :

أتقصدين السجائر ؟

قالت :

لا بالطبع ! أنت كنت محافظا علي الصلوات و لم تكن تدخن من قبل

!

قال :

الورق ؟

قالت :

وق ماذا !

فأخرج ورقة و أحرقها و جعل يأخذ منها أنفاسا ثم عاد يقول :

هذا الورق !

كان الدخان أشعل صدرها , فتأوهت بصوت عالي ثم قالت :

أرجوك أطفأ ذلك الورق المحترق !

أطفأه بيديه بعد أن جعله قطعة في يده ثم عاد يقول :

هذا ليس ورقا محترقا , هذا مجرد ورق !

قالت : علي كلا هذا لا يهم , و ماذا تتذكر من الماضي أيضا و ليس له

علاقة بما تفعله الان في الحاضر ؟

قال و قد دعاها الي الجلوس فجلست علي قطعة كرتونية كانت بعيدة

عنه كفاية و لكن كانت تأخذ حذرها :

الماضي لدي مشوش ؟!

قالت :

لا تذكر شيئا ؟

قال :

لا اذكر سوي تلك السجائر و نجيب القطط في الليل !

ثم عاد يقول و كأنه تذكر :

و نباح الكلاب أيضا !

قالت :

ألا تذكر شيئا آخر يا حسن ؟!

قال :

أتدريين لقد أرتاح قلبي لك ؟!

ثم عاد يقول :

أتريدين قبلة ؟!

اشمأزت كثير و قالت :

أرجوك أكمل فقط يا حسن ؟!

ثم سألته من جديد :

ماذا تذكر أنك كنت تفعل في الماضي !

جعل ينظر الي السقف و يقول :

حقيقة , ليس هناك شيء لدي الان لأقوله عن الماضي !

قالت :

ألا تشعر بأن تفتقد شيء ؟

قال :

الحياة جملة و هادئة هكذا و لكن لدي شكوي بسيطة ان أستطعت أن

تقومي بها لي , فساكون ممتنا جدا !

قالت :

ما هو ؟

قال :

لا أريد نباح الكلاب في المساء ثانية , هي تزعجني حين أذهب للنوم
و لا أستطيع أن أغلق جفوني , أتستطيعين أن تمنعيهم ؟

قالت :

هذا لا يهم الان !

ثم أردفت :

ماذا تتذكر من الماضي يا حسن , حاول معي ؟!

قال :

لم ترهقين نفسك معي , انا جسد فقط بلا نفس , أريد أن أحيأ هنا بين
اصدقائي في ذلك المكان !

قالت :

أديك أشخاص اخرين هنا ؟

قال :

بالطبع , لدي الورق و الدخان , هنا من أوفي الأصدقاء لي واعتقد
بأنه ليس لدي أحد سواهما !

قالت :

أنت تقحمني في مواضيع اخري ؟

ثم قالت مجددا :

حسنا , لا مشكلة فلنتكلم عن زوجتك !

أجاب مقاطعا بسرعة :

ملك الموت ؟!

قالت :

أتذكرها ؟

قال :

ملك الموت ؟

قالت :

أقصد زوجتك ؟

قال :

هي ملك الموت كما كنت أسميها ؟

قالت :

لا يهم و لكن هل تتذكرها جيدا ؟

قال :

نعم أتذكر أنها كانت تقول لي بأنها تري ملك الموت يوميا بجانبها و

هو يستعد لأخذ روحها و لكن كانت تقول لم يأذن له بعد بهذا !

قالت :

اذن أنت تتذكر ما قالت لك !

قال :

القليل فقط !

قالت :

هل تذكر بأنه كان لك طفلا صغيرا منها !

قال :

لا !

ثم قال من جديد :

أنا عقيم ليس لدي أطفال , أتريدين أن تري أنني عقيم !

قالت :

من فضلك توقف عن ما تقول , تكلم معي باحترام أرجوك !

ثم قالت :

الحقيقة يا حسن بأنك لست عقيم , ولا أدري كيف قلت علي نفسك

هذا , و لكن ...

ثم أردفت :

هذا خطأ تماما !

قال :

هو قال لي !

سألته :

من هو ؟

قال :

ملك الموت ؟!

ثم جعل يضحك بلا توقف , فقالت :

أجننت ؟

قال و قد توقف تماما عن الضحك :

أنا لست مجنونا , أنا اقول الحقيقة !

ثم أردف بهدوء :

ملك الموت زارني مرة و أنا أقف في النافذة و قال لي بأنني عقيم و

ليس لدي ولد !

قالت :

هل تقصد زوجتك التي قالت لك هذا ؟

قال :

هي ملك الموت , هذا هو اسمها !

قالت :

جاءت لك و كانت مثلي هكذا ؟

قال :

كانت تحلق في الهواء و كنت أحسدها حقا علي هذا !

قالت :

روحا ؟!

قال :

تقريبا , و لكن لم تكن مثلك !

قالت :

و قالت لك بأنك عقيم ليس عندك ابن ؟

أجاب :

نعم .

اثار الشك في داخلها و لكن قالت :

و أنت صدقتها ؟

قال :

بالطبع سأصدقها , فهي تستطيع التحليق و أنا لا , يبدو أن لديها قوي

خارقة . و شعرت معها بالاطمئنان لما تقول !

قالت :

و لكن ماذا لو علمت بأن كل ما قالته لك كان خطأ !

قال :

أين الدليل علي أنه خطأ ؟

قالت مستغلة الثغرة في كلماته :

و لماذا لم تسألها علي الدليل أنك عقيم أم لا ؟

قال :

قالت لي بأنه أمر منها و يجب علي تصديقه !

قالت :

أتريد الدليل اذا !

قال بنبرة عادية :

أين الدليل ؟

قالت :

أترى ماذا بين يدي الان ؟

و قد كان قد ألبست يوسف ملابس خذراء اللون رائقة و جميلة , فنظر

جيذا و حاول أن يتفحصه – كما تفحصها – و قال :

من هذا ؟

قالت :

هذا هو الدليل !

ثم أقتربت منه و لم تخف كالمرءة الأولى , و قد كان يوسف قد أستيقظ و ظهرت عليه الحركة , فجعل يجول بنظره علي رأسه بالتحديد , ينظر الي عينييه و ملامح وجهه , و يتفقد أنفه و حجم أذنه , قد كان صغيرا في كل شيء , وضعت أمامه علي الأرض مباشرة فوجدته يذهب اليه وهو يحبي بتلقائية , و كان يبتسم له في وجهه و يصدر ضحكات طفولية , فتقرب " حسن " من موضعه قبل أن يصل و أمسك به من بين كتفيه من أسفل , و رفعه أمام وجهه مباشرة , و جعل يطيل النظر عليه , و كان يوسف فقط يبتسم و يشعر بالسعادة – طفولية – و قد كان هذا الشعور – المتوقع – في أسابيعه الأولى في الحياة , يذوق طعم و لون السعادة و الابتسام أولا قبل كل شيء ثم يتجلي كل شيء بعدها كان خفيا و لم يكن ظاهرا , قالت له فاطمة و هي تنظر اليهما و قد أقتربا من بعض أكثر :

أعرفت من هو الان !

لم يجب عليها و كأنه تجاهل سؤالها ليكمل النظر لربما يجد شيئا كان لا يوجد في حياته , أو كان موجودا و لكن لم يكن وقتا مناسباً لكي يراه

أو يعيش معه مثل تلك اللحظات مرة أخرى , فمثل تلك اللحظات هي التي قد نتذكر فيها أشياء كانت قد محيت بالتأكيد , أو ظلت في ركام العقل و في باطنه يتجمع الكثير من الغبار حولها و لم يكن مظهرها معلوماً أو واضحاً بالنسبة لك , تنبه لصوتها فقال :

شعور غريب حقاً , أن تكون لا تذكر شيئاً و فجأة يعود اليك سليماً معافاً كما هو !

قالت :

هل تذكر أسمه أيضاً ؟

قال :

يوسف حسن الكومي !

ثم أردف :

هذا ابني حقاً !

قلت و قد أقتربت أكثر منه :

هو الوصية التي تركتها أمه لك .

فسألها :

أي وصية ؟

قالت :

كانت وصيتها قبل أن تتوفي رحمها الله أن ارسل يوسف لك , و ها هو ذا بين يديك يا حسن !

قال :

أيمكنه اللقاء معي ؟

قالت :

دعني فقط أجري مكالمة قصيرة .

قال :

تفضلي .

و جعل يلعب بيديه مع ابنه الصغير , و كان يوسف يبتسم فقط بينما تتخلل اصابع الأب بين أصابعه الصغيرة في قدميه , و أجلسه أمامه و جعلا يتسمان لبعضهما البعض فقط , أخرجت من جيبها الهاتف , و أجرت المكالمة , فبدأت تقول :

يا محمد !

قال محمد :

ما الأمر ؟

قالت :

لقد أرسلت الامانة الي أهلها يا محمد , و نفذت وصيتها !

قال بتساؤل :

أي وصية !

قالت :

طلبت مني نيهال قبل أن تموت بأن ارسل الابن الصغير الي من

يرعونه !

قال :

و من هو الذي سيرعاه ؟

قالت بكل سعادة :

الي أبيه بالطبع , و تلك كانت وصيتها قبل أن تلفظ أنفسها الأخيرة !

قال :

حسن ؟!

ظهر الغضب في تعبيره , ثم أردف :

هل ذهبت الي هذا المخبول يا فاطمة ؟!

قالت بهدوء :

و لم الغضب هكذا , لقد أدت الوصية الي أهلها و هذا ما كان يجب

علي فعله !

ثم أردفت بثقة :

و هو ليس كما كنت تظن , لقد أخذت منه الدنيا حياته بشدة و جعلته
حبي ذاته في تمنزله و لم يخرج منها , لكن حين وجدني أبتسم و لم
يغضب أو يفعل شيء – خارقا – كما كنت تقولون !

و أعطيته الطفل الصغير و ها هو يجلس معه الان يلعبان مع بعضهما
العض و يمرحان سويا و السعادة ستنبثق من قلوبهما و هما معا , أنت
لم تري هذا !

قال :

و لكن !!

قاطعته :

لقد أعطيته الأمانة يا حسن , و كنت أرد أن اسألك شيئا ؟

قال :

تفضلي !

قالت :

طلب مني بأن أبقى يوسف معه , هو يريد أن يكون بجانبه و لا اخذه
و قد أحترت في ذلك الدواب فكلمتك لأطلب منك الاجابة بخصوص
ذلك الشأن ؟

قال :

الوصية تقول هذا ؟

قالت :

أعتقد ذلك !

قال :

اذن فلنفعل كما قالت الوصية , فليبقى معه و ان أحسنا بأنه لا
يرعاه فسوف نأخذه منه ليعيش معنا !

قالت بابتسامة :

شكرا لك يا حسن , كنت أعلم انك ستوافق !

قال :

العفو يا عزيزتي , و انا الان قادم الي المنزل فلا تتأخري , أريدك
قبل حلول الليل يا عزيزتي !

قالت :

حسنا يا محمد .

ثم قالت قبل أن تعلق المكالمة :

أراك لاحقا !

و أغلقت معه المكالمة , و عادت لتتظر اليهما و أقتربت قائلة لحسن
بسعادة :

أكنت تريده أن يبقي معك ؟

قال :

نعم , نعم !

قالت :

سيبقي معك كما تريد !

ظهرت ملامح السعادة و الاستبشار بأنه سيظل معه صديق و رفيق في هذا النزل المطبق عليه منذ أن جلس وحيدا , و لم يكن يجد رفيقا حسنا يضيف لحياته معاني كثيرة حسنة أيضا , قال لها شاكرا :

شكرا لك جدا علي هذا , فأنت لا تعلمين كم كنت أشتاق لشخص مثل هذا ليبقي معي في وحدتي هذه , حقا شكرا لك !

قالت ممتنة :

لا شكر علي واجب يا حسن !

ثم أردفت بابتسامة :

من حقا أن تري ابنك و تحتضنه و أن يظل معك دائما , فهو من

صلبك و من عضدك !

قال و قد نظر حوله ليري شفته بنظرة مختلفة تلك المرة :

و لكن أريد أن يعد له أحد بعض الطعام , فأنا لا أستطيع أن اعد له
الطعام , انا لم أكن أستطيع أن اصنع لي وجبة تسد أنين معدتي الا فقط
الخبز و كان لا يكفي ؟!
قالت و قد تقطع قلبها :
خبز فقط , يا للحرز !
ثم أردفت :

عندي اقتراح لك !
قال و قد وضع يوسف الصغير أمامه و كان يداعب قطعة من القماش
علي الأرض :
أنقذيني أرجك !
قالت :

بإمكاني أن أظل هنا معك و أعد له الطعام و لنا جميعا ان أردت ذلك
, فقد كانت زوجتك أمن الناس الي بالخير و المساعدة و هذا هو رد
لجميلها علي !
قال :

و أين ستنامين !
أجابت و هي تشير الي الأرض بزجاجها المتكاثر في كل نواحيها :

علي الأرض كما كان أبؤنا ينامون و كما كنت تقضي أنت حياتك
هنا , أنا لست أقل منكم في شيء , أنا بشر مثلكم و من حقي أن أرخي
جسدك علي تلك الأرض الصلبة !
قال :

من علمك هذه الأخلاق ؟

قالت :

والدي حفظهما الله , ثم أنني تعلمتها من أهل الأرياف و لم أتعلمها
من أهل المدن و الضواحي الحديثة و المتقدمة هنا في القاهرة ! أنا
تربيتي كانت بفضل الله تتم علي الاحسان و لا شيء سواه !
قال :

نعم المرأة أنت !

ثم أردف :

و لا أدري كيف أشكرك علي هذا , حقا الخير لا يزال متوفرا في
بعض الناس !
قالت :

و الان و قد أقتربت الشمس من الغروب , هل تريد أن نأكل سويا
وجبة الغداء !

قال :

كما تريدن .

ثم نظر الي " يوسف " و قال مبتسما :

و كما يريد يوسف !

فنهضت من مجلسها و دلفت الي المطبخ بالداخل , كانت الأوضاع ليست بالسهلة أيضا , فقد كانت الأطباق متناثرة في كل مكان و في كل زاوية , و كان منها ما هو مهشم بالفعل و ما هو مهضم جزئيا , فأطلت بنظرها الي الكؤؤس فوجدتها لا تزال كما هي , فحمدت الله علي بقاءها بلا أي كسر , و أقتربت تعد الطعام و تأخذ بعض البيض من الثلاجة و بعض الخضروات كطبق جانبي , و أخذت خبزا كان في الثلاجة , و قامت بتسخينه حتي أصبح طازجا لمضغه و بلعه أيضا , و أخذت صحنا كبيرا وضعت عليه كل تلك المكونات اللذيذة , من طعام متفرق في اللون و في كل شيء و لكنه يبقي كوليمة غداء ثالية للجسد , و قبل أن تخرج من المطبخ بكامل جسدها , وجدت بقعة حمراء كبيرة علي الأرض , أثار هذا قلقها الشديد لربما جرح نفسه هنا , و لكن كانت مجرد بقعة فقط و لم يكن لها أثر مادي , فوجدت لنفسها حولا فقط لتخرج لتعطي الطعام لهم لأنهم جائعين للغاية ,

أقنعت نفسها بأنها ربما قد تمت بصلة لنيهاً , فقد علمت و رأت بأنها كانت تفرز الكثير من الدماء قبل أن تتوفي , لذلك قد تكون هذه الدماء لها , فوجدت ذلك الجواب مقنعا نفس الشيء و أيضا قد جائها في لمحة سريعة من تفكير لم يطل , فأرتاحت له و دلفت مسرعة للحاق بهم و تعجيل الطعام لهم , ليتذوقوا منه و ليهنأوا كما يشاؤون لأن الجوع قد بلغ في معدتهم ما لا يصبر ليه أو يترك , وضعت أمامه " محمد " و قالت :

هلا تعطيني يوسف لـ... !

أحمرت وجنتاها قليلا و لكن قالت :

لأرضعه , لأنه يتضور جوعا !

أعطاها لها و قال :

نعم لقد لاحظت بأن معدته فارغة , هيا خذيه ,

أمسكته من يديه و أبتعدت عن حسن خلف أستار كانت في الشقة فنفضتها و جلست خلفها , و لم تكن الشقة مرتبة حتي تجد مكان يوارىها فما وجدت سوي ذلك المكان , خلف الأستار لن يظهر شيئا . قربت ثديها منه و قد كان للمرة الأولى يأخذ منه حليباً , قرب فمه و جعل يأخذ الكثير , و كان هذا الشعور لم تلحظه من قبل , هو ليس

نشوة , بل هو شعور رائع فقط , كأنها تخرج شئ من جسدها يستفاد منه الغير , و خاصة لأنه هو الملجأ الوحيد للأطفال للطعام , و قد خلقه الله ليكون لهم فقط , فجعل يغلق عينيه و يجفو و هو يأخذ الحليب من ثديها , و كانت هي تنظر له و تبتسم , لربما أحب ثديها جدا لدرجة أنه لا يريد أن يتركها , هذا شعورها الأمومي في ذلك الوقت و قد كانت تبتسم و تقبله في رأسه و هو يستمر بقبلتها تلك , حتي أرتوي و أخرج فمه من بؤرة الحليب و أغلقه و نام و لم يعلق بعدها بابتسامة حتي لتري هل أعجبه أم لا , و لكن الاجابة قد برزت في أنه في المرات القادمة سيحتسي و يرتشف من ثديها مرة أخرى , و في كل مرة يريد فيها غذاء , فها هو متوفر لديه , أعادته بداخل ثيابها من جديد و قد لاحظت تهالكه و أنه أصبح رخوا و لكن كفي بأنه قد سعد بذلك , و قد أحب ثديها جدا و أحب حليبه , فذلك يكفي لها و يكفي له , و جعلت تتحرك به يمينا و يسارا لتريحه أكثر و ينم أكثر , بعدما أخذ الطاقة منها و خزنها عنده , فهو يريد الان أن يبتسم معها , و أستمرت علي ذلك لبعض الوقت و كانت تجلس معه و هو بين ساقها ممد ببراعة الأطفال و يغط في نوم الراحة و نوم المنهك الذي كان في عمل شاق , إخراج الحليب منها . هذا عمل شاق حقا !

و لا يزالان يجلسان بعيدا عن الأنظار , خلف ستارة طويلة تمنع الرؤية و تمنع من أي مطفل أن يشاهد أي شيء يحدث , بعد أن تأكدت من أنه قد نام و أرتقت جفونه الي الراحة العظمي , نهضت من مجلسها و أزاحت الستار كما كان و قدمت لتقترب للجلوس معه , لربما يريد شيئا آخر و لتأخذ أيضا بعض اراءه بخصوص ما يأكل و ما يحب أن يأكل في المرات القادمة من صنع يديها , و لأنها كانت فطنة لأن طعامها من المحتمل أنه سيعجبه و لكنها كانت لها خطوات جانبية في التأكد من هذا الموضوع , فما أن وقع بصرها علي وجهه و جسده , و الطعام بلفتهم بنهم و جوع , رأت أنه قد أكل ما في الصحن كاملا و لم يبق لها شيئا لتأكل , فأقتربت متذمرة عليه و قالت بلهجة سخرية أيضا :

أكلت ما كنت سأشاركك في تناوله ؟

نظر لها و قال و كان يفرغ ما تبقي من فمه داخل معدته :

أنا اسف حقا , و لكن الطعام كان جميلا و لم أكل مثله منذ فترة من

الزمن , أعذريني علي جشعي هذا !

قالت و قد أقتربت أمامه :

و لكن قل لي , هل تريد ثانية منه !

أجاب بفرح :

نعم بالتأكيد !

قالت :

حسنا , سأدخل الان لأعد المزيد و لكن تلك المرة تمهل لأننا سنأكل

سويا !

قال :

بالطبع !

ثم أعطته يوسف قائلة :

هل بإمكانك أن تبقيه معك الا أن اتي ! هو نائم لذلك لن يزعجك .

قال و قد رحب به جدا :

كيف اسأم من ولدي !

ثم أردف بلهجة استنكار :

انني اذن لمن الخاسرين !

فتركته بابتسامة داخرة بمعنى الترحيب , دلفت الي المطبخ لتعد ما

يرغب به من جديد , الطعام ذاته و الوصفة ذاتها , و كل شيء سيعيده

الزمن في لحظات سابقة الي لحظات مقبلة , و كا انتهائها منه مناسبا

في الوقت المحدد , بعد دقائق لم تدم خرجت حاملة ذلك الصحن من

جديد , و قربته أمام " حسن " و جلست أمامه تمد ذراعيها لتأكل
فنظرت له و قالت :

هلا تأكل !

قال و قد كان مشغولا بيوسف :

حسنا !

تركه نائما بين فخذه و هو يشعر بالراحة في تلك الوضعية , و بدأ في
مد يده هو الآخر ليأكل من الخير الذي ألهمته إياه و أعطته منه ما كان
ينقصه في حياته في الفترة الأخيرة , و لم لسانه و لا لابة يتوقع أن
يراه ثانية , لتشعب الظلام فيه و لم يكن واضحا , و لم يكن هناك
ضوء ليري أين هو و لماذا لم يعد يتذوق مثله , و لكن القدر الإلهي
أرسل له سيدة لطيفة مريحة مهذبة و خجولة أيضا , سيدة من زمن
الحسنات الاتي لا تنقطع عن المساعدة , و جلب السعادة الي الناس
, و مرح يعطونه للناس علي هيئة هدايا مفاجئة في لحظات كانوا
يحتاجون مثلها كثيرا , و لكن كانت ملامحها فقط تصعب علي
الوضوح فكانوا يكتفون بمشاهدتها و النظر اليها , و قد كانت في
التوقع أنها بعيدة عنهم أو أنها صارت في سرادق بلا خروج و بلا
فرار من قدره الذي وضعه فيه , و لكن ليس السرادق هو الذي يمنه ,

و ليس القلب هو الذي وهب لتلك السيدات العطاء , هو الله فقط من يملك كل هذا بين يديه في قبضة واحدة , و كل من خطي بقدمين يفهم هذا و يستوعبه جيدا , لأنه ليس خارقا لادراكه بل هو معدوم القوي و لا يملك شيئا الا سلاح العقل و هو ما يبرز في مثل تلك المواجهات , شكرا يا ربي علي مثل هذا المن و العطاء من قبل يدي سيدة حسناء .

و كانت تبتسم هي الأخرى له و هما يأكلان الطعام سويا , من صحن مختلفة و لكن هما يكادان أن يكونا مقتربان من بعضهما و تتقارب اليان أن تتلامسا و لكن حد فاصل بينهما لا يتجاوزانه , لأن ما تفعله خير له فهو شاكرا و ليس متعدي , و كان يتذوق كل ذلك الطعام بروح عالية و نفس متلهفة لأكثر من هذا , و ل تحب بالقليل منه و لربما تريد أن تتعدد مثل تلك الوجبات في اليوم أكثر من مرة , و لكن أيضا للطعام حدود لا تتجاوز و لا تخترق و ليس لها تغور سوي حبها و التشبع بها و الانجذاب لها بكثير من الاعجاب و الحب في ذات الوقت , فكانت هذه هي القشة التي قسمت ظهر البعير بصدق !

جمال القلب , صفاء النفوس , التعاطف , السلام , الرغبة , الحنان , الدفء , الوصال , القلب يجمع كل تلك الصفات و أكثر حين يكون في قمة نشاطه , و أكثر ما يكون نشطا عند الاناث , و قد بدا له هذا متجليا

أمامه في سيدة تعطي له ما يريد وفاء له و لعهد كانت تحمله , فأحب هذه المعاملة جدا و أرسى في قلبه علاقة جديدة من علاقات نادرة بين جوانب منزله ووضعها ضمن الأثاث ووضعها ضمن لفائف الورق , ووضعها ضمن قطع السجائر , فكانت من الجدول اليومي لديه و كانت من المنضمين حديثا لقاموس ممن " أعجب " بهم في قلبه و لم يكن قلبه يتسع الكثير لكنه بها أتسع و بلغت رقعته عنان السماء و غيابات الأرض , أنتهي الطعام من بين يديه سريعا فأنسحبت يداهما من أمامهما , فقال حسن بصوت دافئ للمرة الاولى :

لا أدري حقا كيف أشكرك علي هذا الطعام , لقد بلغ مني البكاء مبلغا ليس بالهين لأبكي لما وهبني الله بك , و منحني أيضا , و شعرت بأن الله يبلغني رسالة هامة قبل أن اهوي , كأنه يقول لي قف يا رجل فأمامك الدنيا و أمامك الكثير , لذلك لا تتكاسل عن حياتك و كن زاهدا فيها لأنني قد أعددت لك متكأ من الجنة قبل أن تراها , و لكنها عندي هدية لك !

قالت و قد سعدت بما يقول :

لا شكر علي واجب يا محمد , أتدري شيئا لقد أثرت اعجابي قليلا لأنك لست بمن يريد الميد في كل شيء , بل ترضي بما عندك و تحيا

كأنك بين الفقراء و تنام مثلهم علي الأرض الباردة , و تأكل مثلما
يأكلون و تلك منزلة حميدة في أن تكن فقيرا في الدنيا و لست من
الجشعين فيها !

قال :

شكرا لك يا فاطمة !

ثم قام بتقبيل يدها في خفة و سرعة , قبل أن تسحب يدها و لكن قد
رسمت القبلة علي يدها , فنظر لها و ابتسم :

هذا هو رد الجميل !

ثم قالت بعد أن لمحت نظره اليها :

أنت تستحق !

ثم قامت بعفوية و قالت :

هل تريد كوبا من الشاي !

قال متسائلا :

ذلك الغبار الأسود ؟

قالت بتلقائية :

نعم !

قال :

سمعت أن مذاقه رائع , فليس هناك مانع لأن أجربه !
دلفت الي المطبخ تعد " الغبار الأسود " له , و يبدو أنه قد نسي ما
يسليه في حياته و يتكر فقط ما يمتعه مشيء رئيسي في الوظائف
اليومية لديه , فقد نسي المقبلات بعد الطعام و تلك لم تكن من عادات
المصريين أن ينسوا أو يتناسوا شيئاً كهذا , فهو بمثابة المشروب
المقدس بعد كل وجبة أو بعد ما ترتوي معدتهم بطعام مليء بالسعرات
الحرارية , فيحتاجون بعدها الي ما يهدأ صرخات المعدة و ما يشعر
بالراحة أيضا , قيميلون الي ذلك المشروب السحري , يتذوقون منه و
كما أن السعادة تسيل فيه بكل طموحاتهم و كل ما يعجبهم في ذلك
السائل و لكن للحق أنه من أروع ما تتذوقه الألسنة , و خاصة ان كان
من طاهي محترف لذلك الشيء و يعده ببراعة فلا يترك شائبة لوم
علي سوءه و لا عائية عتاب علي زيادة السكر فيه , هو داذما ما يكون
مصطحبا بالاعتدال في مذاقه و سيكون من الأجمل .

ثم ما لبثت أن خرجت ب و قدمته في طبق خاص لمثل تلك المناسبات
, وضعته أمامه و لم يكن منتبها لها و لا لصوت أقدامها و هي تحف
خارجة من المطبخ , فقد كان يقف في النافذه و في يديه يوسف , و
لكن لم يكن يوسف قد أستيقظ بعد , فكان حسن ينظر الي القمر في

الاعلى , يعجبه ضوءه القادم من السماء و كأنه ضوء رشيد فى الليل ,
يرشد الناس ان ضلوا , يرشد القلوب و ان غوت , فجعل ينظر له بتمعن
و عينيه تكادان تشعان من نور الاعجاب , و ضوءه الذى سكن فى
عينيه فلا يريد منه أن يبرح عن مشاهدته أو يتلفت لأي شيء آخر
بجانبه , فقد يريد أن يكتف من النزر عليه فهو دائري المظهر , و به
ثغرات فى السطح و لكن لونه جميل , و يعطى للقلب ضوء الهداية و
ضوء الرحمة و تنزلات من الله على كل من يراه بقلب مستنير و ليس
بغواي لكل ما فى الحياة , هو فقط قلب مبصر لكل ما يحدث من حوله
و يحيل السوء الى حين , الجمال الى قبح , الشر الى خير , فذلك
السلام الذى ينشأه و يجعله قاعدة و قانونا لكل من يتبعه هو الذى يجعل
من كل البشر أشخاصا مختلفين من حيث الهدى و من حيث وجهات
النظر و من حيث الرؤى لكل ما يحيط به و كل ما يلزم لأن يجعله
سعيدا بمثل تلك الحياة و بمثل ذلك الأمل , و كان لا ينتبه لمن تقف
خلفه , فقالت له و قد وضعت الصحن على الأرض :

لقد أعد الشاي يا أستاذ حسن !

قال و على صوته أنه يطمح لشيء فى الأعلى :

أقبلى و أنظري لذلك القمر الجميل !

قالت :

و لكن لنشرب كوب الشاي أولا , ثم ننظر اليه !

أدار رأسه و قال :

حسنا كما تريدین !

و جلس علي الفور و كان يوسف لا يزال بين يديه فوضع الصغير بين
فخذه كمنطقة استقرار و هدوء بالنسبة له , و أخذ كوبا من الشاي
كانت تمسك به فاطمة لتعطي الكوب له , و أخذت هي كوبا و بدأ في
أخذ رشفات صغيرة منه , بعدما أخذ تلك الرشفات شعر بأن هناك ما
يتخلل في قلبه بالمزيد , و أنه يريد مثله ثانية , فأخذ منه المزيد و شعر
أكثر بالرغبة في الابتسام لكل من يواجهه فما كانت سوي هي التي
تجلس أمامه , فنظر لها و ابتسم قائلا كأنه يخرج تلك الطاقة من داخله
:

كيف تعدينه ؟

قالت بابتسامة :

لما ؟!

قال :

لو أردت أن أعد مثله ثانية !

قالت :

أنا سأعده ل كان طلبت ؟

فقال :

و علمين اياه حتي اذا لم تحضري , أستطيع فعله منفردا !

قالت باستنكار :

و لكن لن أغيب عنك طويلا ان خرجت الي مكان ما !

ثم أردفت :

تأكد من هذا جيدا .

فقال و قد أطمئن حاله :

وعد !

فرددت خلفه :

وعد .

ثم أمل ما كان يحتسي , فكان قدفرغ من بعضه و البعض الآخر كان يرتشف منه بجام الأحاسيس لديه و جل ما يعظم حالته و يحيلها الي حالة شديدة في الحب لهذا الشيء , و لا ترضي الا بمثل ذلك الجمال من جديد , فوضع الكوب بعد أن أنتهي منه و كانت المصادفة أيضا أنها قد أنتهت من الكوب , في وقت واحد كان وقع قعر الكوب يتردد

بين مسمعيهما فيبتسمان في سرهما و باطن قلبيهما , ثم قام حسن ليكمل
ما كان يريب قلبه من الحب و قال :

هلا نقف الان في النافذة ؟

سألته :

و ما في النافذة يسعدك هكذا ؟

قال :

هناك القمر و هناك الصمت و هناك المزيد !

قالت و هي تقف لتقترب من النافذة أيضا :

أهذا فقط ما تراه ؟

قال :

وهناك أري الحياة أيضا , في شكل ذلك القمر البازغ .

قالت :

و هل تري القمر واضحا أمامك !

قال بابتسامة :

و هل تصدقين أنني اراه قريبا جدا مني و أري كل ما فيه !

قالت :

صدقا ؟

قال :

أنا لا أكذب , القمر لأنني أحب ان اراه فهو يحب أن يراني لذلك هو قريب مني !

قالت :

منذ متي و أنت تراقب القمر ليلا هكذا ؟

قال :

لا أدري حقيقة و لكن منذ فترة قريبة و ليست بالبعيدة .

قالت :

و هل تجد في النظر الي القمر متعة !

نظر لها و قال :

انه ممتع لدرجة لا تتخيلينها في الأحلام يا سيدتي !

قالت :

هل باستطاعتي أن اشعر بمثل ذلك الشعور الذي تشعر به !

قال بسعادة :

بالطبع !

ثم أشار باسبع لأعلي , و قال :

بامكان كل شخص فينا فقط حين ينظر بكث بالي القمر أن يري
جماله و يشعر بعدها شعورا لا يمكن وصفه و لو كان متعلما للغة
العربية أو أي لغة في العالم !
قالت :

أنت تبالغ هكذا يا حسن !
قال :
ليس هناك مبالغة , فقط اني أقول ما أشعر به , و ما أشعر به ليس
بالضروري أن يدخل في المنطق فهو من عالم الخيال .
قالت :

فهمتك الان .
ثم قال مستدركا الحديث :
و الان انظري اليه , و كوني شغوفة به و لا تكوني ملولة به !
نظرت له كما قال ثم قالت :

هل تعتقد ان القمر هو رسالة الليل لنا لنأمل للصباح !
قال و قد نظر هو الآخر اليه ليستلهم الكلمات التي تعبر عن حقيقته و
قال :

القمر هو درب من دروب النهار نخطوه سويا للجلوس في الصباح
هادئين و مرتاحين البال إذا تمعنا ما فيه بشكل حسن !
قالت و قد أعجبتها تلك الكلمات :
أنت تجيد فعلا التخيل يا حسن !
ثم أردفت و قد نظرت اليه :
أنت لا زلت تملك القدرة علي التخيل و لكن ما الذي أحدث فيك
التغير هذا و جعلك في بعض الأحيان في حالة قد يراها البعض غريبة
!

قال :

لأنهم أشخاص لا يعرفون معني ان يكون الانسان انسانا !
ثم أردف :

و لا يعلمون ماذا يحدث لي , فيتكلمون و يتشعبون في الأحاديث فقط
و بلهجة سخيفة أيضا , هذا مقيت !
فقالت :

و لكن يقولون هذا بناء علي ما يرون من أفعالك ؟!
قال :

ما هي تلك الأفعال ؟

قالت :

لقد علمت من زوجي بأنك كنت تكسر ذلك الزجاج المتناثر في الشقة بأكملها , وكنت تتكلم بشكل غريب أثناء حديثكما معا !

قال :

بصراحة نعم أنا فعلت هذا , و لكن ليس كما يقولون !

قالت بتساؤل :

وما الذي جعلك تفعل هذا يا حسن ؟!

قال :

حقيقة لأنني كنت لا أطيق الحزن الذي كنت أعيش فيه هنا وحيدا ! و كانت حياتي كأنها مغلقة و لست أستطيع أن أقدر علي فعل شيء فيها , و كأنني فقدت السيطرة عليها فلم أعد أملكها و لم أعد جزء منها !

قالت :

و كنت تريد أن تكسر تلك الصخرة التي تقع علي عاتقك , فأخرجتها بتكسير ما حولك و بالغرابية في أقوالك , أليس كذلك !

قال :

لا أعرف , و لكن المهم هو الراحة التي أشعر بها بعد ذلك كله .

قالت :

انك تجيد التصرف في القضاء علي الحزن بطرقتك الخاصة !
ثم توقفت عن الكلام و جعلت تنظر – كما قال لها – الي القمر , و
بدأت فعلا كأنه شعور جديد لم يطرأ علي قلبها من قبل و لكن كان
شعورا جديدا عليها و في نفسها علامات تدل هذا و الكثير من وحي ما
تعبره أحاديث القمر المسائية , و ليالي القمر المظلة من شرفات قريبة
من الأمل , و لم تكن فقط مثل أمل قريب , بل كانت تبعث روحا و
تبعث شهيقا و تبعث زفيرا , و تبعث ما يمتلك فيه الأشخاص قوة و
يلتهم أثارا دفيئة كانت في أكوام من الذاكرة و لكن أخرقتها و دمرتها
تماما , و جعلت مشاعر جديدة تتدفق فيها و تتخلل ثناياها و تطوي ما
كان قديما و أحيانا تعالجه و تنير فكره الصلب , و تهتدي في طريق
النور و طريق البصيرة و طريق الأمل , فتتشعب بروحك الي أبعد
من حدودك , و أبعد من حواجز نفسك في السماء الدنيا و فترتقي الي
السماء القصوي , برغبتك و برغبة عقلك و لا ثالث لهما , أنت تمتلك
زمام ما لم تكن لتعلم عنه شيئا و ذلك من ضوء الوحي البسيط , ضوء
القمر الذي كان من صخرة و لحكمة الهية تحول الي ملهم و جعل من
كل انسي علي الأرض , جعل متطلعين اليه نورانيون من الدرجة
الأولي , و جعل متملقين من درجات دنيا و سحيقة , ذلك هو الفارق

بين من ينظر الي القمر , و بين من لا ينظر الي ساقه من أسفل , فيجد المادة هناك في انتظاره و تلك ليست من رسائل الوحي , تلك من رسائل أخري لا تتعلق بالأمل , بل تتعلق بالخبت و تتعلق بالضمور , كما الحاجة اليها ضعيفة الي أن البعد عنها في حياة رفيقها كارثة قاتلة و تجعل من الصعب عليه أن يصبح سوي بنفس صائغة للمكاره و لا تتذوق لون الاعجاب و لا لون الصباح في ذات شمس الدافئة , فهذا من الصعب عليه أن يأخذ به أو يكن معه شعورا و سبيلا , بل ما يشتهي هو أن يظل بجانبه هكذا بلا ضوء و لا رشد و لا قمر و لا وحي ! فتلك هي حياته أعجب به من قبل و بالتأكيد لن يجري عليها الزمن في سباقه و يسلبها منه و لا يدافع عنها , فهو بمثابة من يلهث خلف أنثي لا تعطي له اهتمام , أما هو فهو يلهث خلف زمن لا يحبه أن يعيش مثله في طياته أو أن يكون جزء و لو كان بسيطا منه , لذلك لم يكن للزمان أن يعجب به أو إن يتعايش معه فيفر منه مباشرة و يسلب منه السعادة و يترك له الخواء و لا شيء سوي الفراغ في النفس , و الفراغ في الجسد الذابل !

كانت تلك من رسائل القمر اليها , فأرغمت اذنها علي الستماع لها فراق الحديث لها جدا , فأستمرت و هي معه ينظران لأعلي برأسيهما

الشامخان من النافذه , و لكن لم يكن ليسقط لأنه يتلقي الوحي و الوحي
ددائما لا يصطحب معه الموت , فيظلان هكذا في قائق تمر ووقت لم
يعد يظن نفسه وقتا و هو معهما لمروره و هما لا يكثران لأمره أو
يعيرانه أي اهتمام و لذلك فهو يوليهم دبره و لا يبقي بينهم , و تتخلل
عيناهما نemat هوائية رائعة فتتغلق عيناهما معا و تفتحان معا , و لكن
الوحي من السماء ما أجمله مع بريق من الهواء و الريح المرسله
بالهواء البارد اليهم و كأنها ريح ليست الا بمرسله اليهم , فكانت تلك
أيضا – كما سول لهما شعورهما – من رسائل الوحي العجيبه و
الهادفة في الوقت و الان عينه , و كانت الساعة قد قاربت الثانية بعد
منتصف الليل و القمر بدأ يغادر فلم يعدد الوحي في قوة لسانه و
فصاحة رسائله أن يغزل خيوطا ليعبر اليهما و يعطيها المزيد من
الوحي و المزيد من الهبات و المزيد من رسائل العطاء المزكية للنفس
و المطهرة لقلوب لا توجل نفسها الا بالكرة و البغض , لذلك فقد فقدت
الكثير من اشارتها في ابتعادها و الفجر يقترب و لكن كان كساء
السماء لا يزال مزلما و الأسود حشوة فيه , فكان قانيا كما هو , أخذت
شهيقا طويلا و قالت بعد جلسة " القمر " :

أعتقد ان ما رأيته ليس كما رأيته من قبل !

قال :

كما قلت لك !

قالت :

أنت تعيش هنا مستمتع بكل هذا وحدك و مبتعد عن مشاكل الدنيا و
تضعها خلف ظهرك و فقط تستمتع بالحياة !

قال :

ما الحياة الا رحلة فيها الشهيق الطويل و فيها التعب الكثير , لذلك أنا
لا أحب النفس الطويل هذا احب أن يكون نفسي قصيرا فأستمتع بكل
ما يحلو لي و أنا أنظر لهذا القمر في المساء , و لسوء الحظ فهو لا
يأتي في الصباح , فيكون مزاجي متقلبا حينها !

قالت :

صدقني يا حسن !

قال :

هل تريدني أن ندخل الان !

قالت :

ولم لا !

سحبت رأسها من النافذة و أقتربا ليجلسان كما كانا علي الأرض ,
ظهر عليها الارهاق و الرغبة في النوم في تتأوبها الكثير , فقالت
بتثاؤب اخر :

هل بإمكاننا أن نذهب الي النوم الان ؟

قال و قد ابتسم :

ألا تجلسين إلي الصباح !

قالت :

لا طاقة لي بذلك !

فقال و قد استسلم لرأيها :

حسنا , فلننم الان !

ثم أدرف و قدم اليها " يوسف " :

سينام بين أحضان اليوم ليكون مرتاحا , فالأطفال لا يحبون الأجساد

الصلدة مثلي !

قالت و قد ضحكت :

أعطنيه يا حسن !

و أخذت من بيد يديه ووضعت أمامها و احتضنته في حنان و رقة , و

أخت جسدها و قامت بتمديده علي الأرض الباردة التي ستنام عليها

اليوم كما طلبت , و هو بمسافة بعيدة قليلا عنها قد أرتكن للحائط و
أغلق جفنيه كما أعتاد أن ينام , فهدأت الأجواء و أستقر النوم من بينهم
جميعا , و جلعهم بلا حراك و عقلهم فقد السيطرة علي الكلام , و
صمت الموقف تماما !

* * *

بعد مكالمة مع زوجته , و رجوعه الي منزله مطمئنا , جلس بعد
وجبة خفيفة علي الأريكة و أخذ الهاتف الخاص به الذي كان
موضوعا بجانبه علي منضدة صغيرة , فأخذه و أهتم به قليلا ثم قام
بفتحه و جعل يقلب في " الرسائل " , يحاول أن يجد رسالة جديدة منها
لربما غابت عنه و لم يرها , لكنه أحبط بعض الشيء و لم يلحظ شيئا
جديدا , و لكنه وجدها لا تزال نشطة الآن , فأطمئن لذلك و كتب لها
يقول و الابتسامة علي وجهه :

كيف حال أميرتي في هذا المساء !

كتبت تقول :

بخير و الحمد لله !

كتب :

و كيف حال المستشفى التي تجلس فيها اليوم ؟

كتبت :

المستشفى عقيمة الان لذلك لا تسأل عنها .

كتب :

أقلت العلل في المدينة ؟

كتبت :

لا أعرف حقا , و لكننا لان نجلس في مكاتبنا و لا أحد يفعل شيئا !

كتب :

يبدو أنه قد تطور كثيرا , كنت أريد ان أطلب منك شيئا ؟

كتبت :

ماذا ؟

كتب يقول :

سنذهب غدا الي مكان جديد ! ما رأيك ؟

كتبت :

و لم قمت بتغيير المكان , النادي هذا كان جيد كفاية للجلوس فيه !
كتب :

فقط تغيير للمناخ , و لأن المكان الذي سنذهب اليه غدا هو مكان
رائع كفاية لنقضي فيه الوقت , بل حقيقة أجمل من النادي ؟
كتبت :

و ما هو ذاك المكان ؟
كتب :

غدا في التاسعة صباحا , ما رأيك ؟
كتبت تقول :

ما هو ذلك المكان , ما أسمه ؟
كتب :

لن أقول لك قبل الغد !
ثم كتب :

هذا المكان سيكون سري الي الغد حتي لا أقطع الفرحة في زيارته و
لحظة الإعجاب الأولي تلك !
فكتبت :

أعطني لمحة عنه فقط !

كتب يقول :

هو مكان سيعجبك جدا , لأنه عزيز علي قلبي جدا !
كتبت و قد فرغ صبرها :

أي من وصفك أنه مكان مقيت جدا !
كتب مستنكرا :

لا , بل العكس تماما , أري أنه سيعجبك بالتأكيد يا عائشة .
كتبت :

سنري كل شيء غدا يا أستاذ حسن !
كتب مقاطعا :

هل تريدین أن تتعرفي علي ملامحه أملا ؟
كتبت :

إذا تكرمت علينا !
كتب :

هو مكان في حوائط و فيه ستائر و فيه ما يناسب المعيشة , فما هو ؟
كتبت و قد شعرت بالاشمئزاز :

هل تلك مزحة ؟
كتب :

انها فقط تخمينات , هي الا تعرفين ؟

كتبت :

بالطبع أعرف , هو في ما يقارب من منزل !

ثم أكملت :

و يجلس و ما يناسب المعيشة هذه ما تؤكد بأنه منزل ! أليس كذلك .

كتب معلقا بسخرية :

لن يفيدك الا أن تريه غدا يا عائشة .

كتبت :

و لكن تخميني صحيح !!

كتب :

لا , ليس صحيحا .

كتبت :

لا يهم و لكن فقط لا تتأخر غدا , سأكون في انتظارك كما أعتدنا في

الباحة الخلفية !

كتب :

بالتأكيد !

كتبت أخيرا :

طابت ليلتك !

كتب :

طابت ليلتك !

ثم أغلق معها الهاتف ووضعها جانبا كما كان , يحلم بغد الان ! و هو بالتأكيد شيء مهم بالنسبة اليه فهو ما سيجعله يقترب منها أكثر و يعلم أكثر عنها , و سيحاول ايجاد طريقا للوصول الي قلبها و لو كان الثمن بهيظا أم غاليا , فهو لديه الارادة في ذلك و لامتلاك ما سيجعله محببا لها , و سيجعل هناك ذاك التوافق فيما بينهما و الذي رأي في معاملتها اياه بأنها بدأت في أن تشعر بمثل ما يشعر معها , في كلامها معه , و كلماتها التي قلت في درجة حديثها , كل تلك علامات بينة علي صدق نبوءته , و أيضا أنها تلبى كل ما يطلب و تفعل ما يطلبه منها برضا و اقتناع , لأنها أمور سهلة يقولها فتفعل هي بلا أي عناء , مرح , النادي , محمد بالتأكيد !

كان من ضمن تطلعاته أن سيجعلها أيضا من خانة الذكريات الحميدة التي لا يحب أن يتركها أو يضع أسمها بداخلها , فتغيب و لا تجعل لقدرها حياة , و هو بالتأكيد لا يريد منها أن تبعد جل هذا الابتعاد عنها , أو أن تندثر تحت ما لا يعجبها فلا تظهر للوجود ثانية و تنطوي

محدثه جلجلة داخلية في أحداث كان من الواجب أن تحدث في الواقع ,
و لكن كانت في لائحة سوداء , فلم تكن ضمن الوجود لتحطي بها معه
أو لتشعر بها , وتلك أحلام هو بالتأكيد لا يأملها , بل و يحذر نفسه من
الوقوع فيها بضمانه وضعها في مكانة خاصة , و جعلها حبيبة مقربة
اليه و أفضل ممن يحب , و كل أولئك من مكانتها عنده قد يساوونها و
لكنها تتجاوزهم في أشياء يحبها أكثر فيها , هي بمثابة شخص عظيم
قدم الي قلبه فأحكم قبضته عليه فلم يبرح من موضعه لأنه سلم بجمالها
و مد براعتها , و ذكائها أيضا , فأستيقن بأنه مع شخصية حسناء و
راقية ستصعد معه الي روح جديدة و نفس متنقلة بين عوالم السعادة و
عالم الفرح بالحياة , و ما يتجلي في الواقع فهو في حيزهما لأنهما كما
كانا معا في سعادة , كما سيطرقان باب تلك اللحظات و يدلفانه بكل
سرور أيضا .

* * *

أنتفض من الأريكة التي نام عليها طوال الليل , و أرتدي نعله و جاري
الزمن للحاق بالموعد و يبسط تحكمه فيها شيء من القوة و البساطة و
دلف خارجا من الغرفة , فأسرع في كل شيء كان سيفعله لأن الساعة
قد أصبحت الثامنة و النصف صباحا , و لا يريد تأخيرا عليها و لا
جعلها تنتظر وقتا ثمينا كهذا , فأسرع بارتداء حذائه بعد أن أخذ لقيمات
صغيرة ألحق بها فمه و كان في ثواني أمام سيارته بنفض من عليها
الغبار , و يسرع بها مارا بسيارات في الطريق , منها ما أنزعج من
قيادته و منه ما أعجب به بل وحمسه أيضا , تلك كانت الطبقة السكيرة

, فلم يبالي لهم و سار في طريقه كالمعتاد , و أخذ باستدارة حول
المبني فوجدها بجمالها و طلاوة ملابسها و زينتها الرقيقة تلك تقف في
انتظاره , فأتقرب منها ووقف أمامها مباشرة , و فتح لها الباب باحترام
, فجلست بجانبه و أغلقت الباب هي تلك المرة , و ابتسمت له قائلة :
هلا تسرع لأن الساعة قاربت علي التاسعة .

قال قبل أن يضغط علي مكبح الوقود :

كما تقولين يا أميرتي !

و ضغط بقوة علي المكبح , فسارت السيارة كما كان يريد , و خلال
سيره سألته :

الي أين سنذهب , هيا قول ؟

أبتسم لها و قال :

سنذهب الي

ثم أردف :

هل أقول الان ؟

وكزت ذراعه و قالت :

كف عن المزاح و قل هيا ؟

ثم أردفت :

ان لم تقل سأفتح الباب و أقفز منه , و بإمكانني هذا .
و بدت علي ملامحها الجد و تحلت بالعناد , فقال لها بلا مبالاة :
ما فائدة أن اقول لك ؟

قالت و قد عقدت حاجبيها :
لأنني لا امن الي أين ستذهب بنا ؟
قال :

ألا تأمنيني يا عائشة ؟
قالت بصراحة لاذعة :
لا !

فقال :

اذن التزمي الصمت فقط بعض الوقت !

أجابت و قد قبضت كتفيها :

بالتأكيد ستختطفني !

نظر لها بطرف عينية و لم يعلق , قم أكمل في طريقة و لم يعر لها
اهتماما رغم أنها كانت تزيد الشكوك فيه بأنه سيختطفها يوما ما
بالتأكيد لرغبته فيها , و حبها المنبعث من قلبه بصدق لها , و لكن ليس
هذا حلا صحيحا لأخذ ما يريد , فأكتمل لطريق أمامه أمام شارعهم .

دخل فيه بهدوء و عدم اضطراب , و هدا صوت السيارة . حتي وقفت
أمام احد العمارات في ذلك الشارع , نظر لها و قال :
هل نرتجل الان ؟

قالت :

تفضل , هيا !

فتح باب السيارة و هي الأخرى قامت بذلك , و أغلق البابان في قوة و
أقترب " محمد " منها بعد سيره حول السيارة في شكل دائري , قال
لها و كانت تنظر الي ذلك المبني :

هل علمت أين نحن الان !

صمتت قليلا ثم قالت :

هذا منزل بالتأكد !

قال و قد أبتسم :

نعم و لكن هل تعرفين من صاحب ذلك المنزل ؟

قالت :

هل هذا منزلك ؟

قال :

بالطبع هذا منزلي !

ثم أردف :

سيكون اليوم في منزلي , أريد أن تلقي نظرة عليه !

قالت :

و لم النظرة اليه ؟

قال ضاحكا :

أريد أن اسالك أريد اضافة لون للحائط أم لا !

أبتسمت بعض الشيء و قالت :

موافقة , و الان لنتفقه لأن الوقت بدأ يمر بسرعة !

و تركته و دلفت الي المبني , فتبعها هو أيضا , سارت بهدوء علي

درج السلم فأقتررب بجانبها حتي تخطاها , حتي وصلا الي الطابق

الذي يسكن فيه , فأخرج مفتاحا صغيرا من جيبه و قام بفتح الباب و

قال لها بصوت دافئ :

تفضلي !

قالت و هي تخط بقدميها من الباب :

شكرا لك !

أغلق خلفها الباب بهدوء , فجعلت تنظر الي المنزل الذي يعيش فيه

ذلك الرجل باندهاش حقيقي , فقد كانت شفته منزلا من منازل الجمال

و لونها رائع و الستائر تلوح لليمين و اليسار بلونها الرمادي , و الحائط مكسو بطبقات من الرمادي أيضا ليتوافق مع المناخ العام في المنزل , و كان هناك غرفتان فقط , كانا في الشقة من الداخل , و كان هناك ممر لتستطيع أن تري الغرفتان بوضوح , و كانت هي تقف في غرفة الاستقبال التي تقع أمام الباب مباشرة , وقف هو بجوارها يراقب تأملها في منزله , و يري في عينيها أنها قد أرتوت من الرؤية , و أنها قد أعجبت بها , كما يلحظ من حركة عينيها السريعة يمينا و يسارا , قال مقاطعا :

ما رأيك ؟

قالت بانبهار :

حقيقة , شقتك رائعة يا أستاذ محمد !

ثم نظرت له و قالت :

أنت تستطيع الاختيار بأناقة !

قال :

لست من أختار ذلك اللون وحده .

ثم أردف :

كنت أنا و فاطمة معا حين قمنا بشراء تلك الستائر و اختيار ذلك اللون , و كانت زوجتي لها الأفضلية في الاختيار فكانت عيناها دقيقتان جدا في كل ما نشترية , حتي كونا تلك الشقة !
قالت :

أنتما محترفان حقا !

قال :

تفضلي علي الكرسي , لنتكلم قليلا !
فاقتربت لتجلس و هو أيضا في مقابلها جلس أمامها , و عيناها تتعلقان بها هي فقط , راقب جلوسها حتي سكنت و بدأت في النظر اليه , قالت
و قد أكملت الحديث :

و لكن أين هي زوجتك الان ؟

قال :

ترعي أحدهم !

تساءلت . :

ترعي من ؟

قال :

يوسف !

قالت :

هل هي بالداخل !

قال :

لا , هي ترعي اثنين و ليس واحد .

قالت :

و من هو الآخر !

قال و قد قهقه كثيرا :

لن تصدقي لو قلت لك !

قالت بابتسامة :

فقط قل و لا تخجل !

قال :

حسن !

بدا عليها الاهتمام , فقالت :

حسن المجنون هذا !

قال و قد اوماً راسه بالايجاب :

نعم هو .

قالت :

و لكن لم تفعل هذا !

قال :

هي تحب مساعدة الناس يا عائشة , لذلك تركتها !

قالت :

ألا تخاف أن يفعل فيها شيئا ذلك المجنون ؟!

قال و قد اطمئن في كلماته :

لا تقلقي , لقد اتصلت بي أمس و قالت بأنها علي ما يرام و أنه تغير

عن ذي قبل !

قالت :

حقا !

قال و قد رفع كتفيه لأعلي :

هي قالت هذا ! و سأتصل بها اليوم لأطمئن علي حالتها و هي معه ,

لا تقلقي عليها .

قالت :

و لم أخذت يوسف معها ؟

قال :

وصية .

عقدت حاجبيها قائلة :

وصية من ؟!

قال :

وصية والدته .

قالت :

هي لم تكن تقدر علي الكلام حتي , و تقول وصية !

قال :

علي الأرجح بأنها قالت لها قبل أن تتوفي ! لأنها قضت معها يومين

علي ما أذكر .

قالت :

و لكنها كانت في حالة فقدان للوعي و لم تكن شبة قادرة علي الكلام

كثيرا و كانت تقول كلاما لا يفهم أيضا , فكيف توصيها علي ابنها !

قال :

لا أعرف !

سألته مجددا :

حسنا , سني ماذا سيحدث معها مع ذلك الرجل !

قال :

كنت أريد طلب ا منك !

قالت :

ما هو ؟

قال :

كنت أريد أن أجعل خطبتنا بعد غد هل توافقي ؟

قالت :

بعد غد ؟

ثم أردفت :

ألم اقل لك بأنني لن أتزوجك الا و زوجتك قد توفيت , لأنني لا
أرضي بزوجة أخرى لشخص أتزوجه , أريد ففك أن أكون انا الزوجة
, و اذا لم ترضي بهذا فسأقوم و لن تراني مجددا !

قال :

لا , لا تذهبي !

ثم أردف بلهجة جادة :

تبقي يوم واحد فقط يا عائشة !

قالت :

يوم واحد علي ماذا ؟

قال و قد برز الشر من مقاتيه :

يوم واحد و ستلقي ربها !

قالت :

ألهذا كنت تريد أن نتفق علي الموعد ؟

قال :

بالتأكيد , لقد دبرت كل شيء فقط لاتحملي عاتق أي من ذلك و

سنحصل علي ما نريد !

ثم أردف :

و أما انك قد نسيت أنها تحمل ذلك المرض ؟

قالت :

لم أنسي , و لكن مر علي الوقت و قد غفوت عنه قليلا !

قال :

هل وافقتي الان أما ماذا ؟

قالت :

بعد غد ؟

قال مؤكدا :

كما سمعتي , بعد غد !

صمتت قليلا , ثم قالت بابتسامة :

و لكن هناك شرط ؟

قال :

قولي !

قالت :

يجب أن اخبر عائلتي أولا !

قال :

كما تشائين و لكن قولي لهم اليوم !

ثم أردف :

و أين يسكنان ؟

قالت :

في الجيزة !

قال :

و هل ستكلفين نفسك العناء لتسافري و تخبريهم , قولي لهم علي

الهاتف فقط !

قالت :

حسنا !

ثم أردفت :

علي أمل أن يوافقا , لأنه لا زواج و لا خطوبة بلا رأيهما .

قال :

بالتأكيد سيوافقان !

قالت :

قل امني فقط !

قالها في سره و عاد يقول لها :

ما رأيك في أن نتقابل غدا و لكن في النادي لنكلمهم سويا و نقول لهم

بخصوص ذلك الشأن !

قالت :

و لكن سأتكلم أنا اولا !

ثم أشارت اليه و أكملت :

ثم اذا حدث شيء ستتكلم أنت معهم , و لكن انا امل في والدي خيرا !

قال :

و أين والدتك في الموضوع !

قالت :

كيف يتقول لي هذا و قد رحلت !

أجاب و قد أزال الابتسامة :

رحمها الله يا فعائشة !

قالت و هي تنتهد :

الحمد لله علي كل شيء

فقال :

و هل والدك يعيش وحيدا في منزله !

قالت :

والدي يسكن مع عائلته و أحيانا يجلس في بيتنا الذي كنا فيه , قبل أن
اغادر أنا الي هنا لايجاد عمل , فوجدت تلك المستشفى فوافقوا علي
طلبي , و كنت تخرجت من كلية الطب بدرجة جيد جدا , فلذلك قبلوني
بسهولة !

قال :

و لماذا تركت والدك وحيدا هناك , الا يجب أن تكون معه حتي و لو
كان مع عائلته !

قالت :

أنا الذي طلبت هذا منه .

قال :

القاهرة ليست بالجيده حقا لتأتي لها !

قالت :

و لكنها تحتوي علي فرص عمل ضخمة للمتفوقين مثلي في مجال
الطب , لذلك كان حظي وفيرا حين أتيت الي هنا لأول مرة !

قال :

لو كنت أعلم عنك من قبل , لكنا قد تزوجنا منذ فترة طويلة !
ضحكت و قالت :

الحمد لله أننا لم نفعل !

فقال مستنكرا :

ألا تريدان شابا وسيما مثلي !

قالت :

و لكن تحتاج بعض التعديل !

ضحك هو أيضا و قال :

ما تلك التعديلات يا أستاذة عائشة ؟

قالت :

علي الأرجح أنت تحتاج أن تزيل هذا الذقن , لا يعجبني !

قال :

ذقني , لما ؟

قالت و قد ظهر عليها الغضب المفتعل :

أتريد الزواج أم لا ؟

قال :

بالطبع !

فأكملت :

اذن يجب أن تستمع الي كلماتي جيدا !

قال :

و ماذا أيضا !

قالت :

عليك بأن تخلق وجهها أكثر جمالا من هذا , أقصد أن تزيل مثلا الذقن

و شعرك الكث هذا , لأنه فيما يبدو أنك لم تزيله منذ فترة طويلة من

الزمن !

قال :

علم و ينفذ !

ثم أكملت بابتسامة :

و أريد منك أن تفعل هذا اليوم !

قال :

و هل تريدني أي شيء آخر !

قالت :

هذا يكفي !

ثم جعلت تضحك بصوت منخفض , قاطع ضحكها قائلاً :

و لدي لك طلب ؟

قالت :

ما هو ؟

قال :

أن تتجملي أكثر غدا !

عقدت حاجبيها قائلة :

لماذا , أنا جميلة بما يكفي في هذا الثوب !

أجاب ببساطة وهدوء :

تغيير فقط !

قالت :

لا بالطبع !

فقاطعها :

و أريد فستانا جميلا في الغد !

فتذمرت قائلة :

أنا جميلة هكذا بتلك الملابس الواسعة , لا أحب الملابس الضيقة مثل

الفساتين !

قال :

و لكنها تعطي شكلا جميلا !

قالت :

و لكنها مقبلة و لن ارتديها , أتدري سأرتدي فقط ملابس أجمل و

لكن لن ارتدي الفستان , أتفقنا ؟

قال و قد أبتسم :

أتفقنا !

فقامت من علي الكرسي , و قالت :

هل نغادر الآن ؟

قال و قد فعل مثلها شامخا :

لم العجلة !

قالت :

لدي عملي يا أستاذ محمد !

قال :

و لكن هناك المزيد من الوقت لنجلس مع بعضنا البعض , فقط لا
تقلق علي موضوع التأخر , فأنا سأرجعك الي هناك .

قالت :

و لكني أحب أن اذهب وحدي !

قال :

لا , تلك المرة أنا سأفعل !

تضايقت من تحكمه في قولها , و امره و نهيه , فأسرعت بالحركة
نحو الباب و قالت قبل أن تفتح الباب :

لنا الموعد غدا يا أستاذ محمد !

قال و قد نظر لها بطرفي عينيه :

سأكون في الموعد صباحا .

و قامت بفتح الباب و خرجت منه و أغلقتها بهدوء من خلفها , فأتبعها
و قام بفتحه و أسرع خلفها و كان يصيح :

أنتظري , أنت ظري !

نظرت له و قالت :

ماذا ؟

قال و قد عرق جبينه :

ساوصلك .

ثم أردف بتقطع :

لن اتركك هكذا وحدك !

قالت :

شكرا لك يا أستاذ محمد و لكن ..

قاطعها قائلا :

و لكني ملزم الان بحمايتك يا عائشة !

فأقترب منها و نظر في عينيها , و عبر لها عن نواياه و لكن علي شكل خاطر يجول بين قلبيهما , فعرفت أنه " حسنا " لا مشكلة , فأكملت سيرها علي السلم و خلفها حسن , حتي كانا أمام السيارة ففتحت الباب و شرعت في الدخول , و كان محمد كذلك أيضا , و أدار السيارة و أطلقها للريح و نظر للطريق مجددا , و عينية لا تتخليان عن شبحها بجواره , ظلها كان أمام ناظريه كأنه أصبح رفيقه و لن يتركه أبدا , و هو معه رفيق ثابت لا يتغير , لأنه يريد ظلها أو جزء منها ليبقي معه , و ها هي أمنيته قد تحققت بظل نشط يجلس معه , و خاصة لأنه جزء منها , ورث منها ما يحبه محمد فيها و يحمل قطع

كثيرة منها , فيثير شكلها أمامه فيهدأ قلبه , و يرتع ضميره في الحب
كما يشاء , و يأخذ من معانيه أيها يريد أن يرتوي منه , و ينتفع المزيد
كلما أراد شغفا و حبا و صدقا .

فأقتربت السيارة من المستشفى , و ألتفت حول ذلك المبني , و أقبل
بهدوء – كالعادة – أمام مبني صغير في الخلف , أسرعت في الخروج
من السيارة بعد توقفها و نظرت له قائلة :

شكرا لك !

قال بابتسامة :

لا شكر علي واجب !

و غادرت بابتسامة و راها و هي تدلف خلف ذلك الباب و سار هو
بالسيارة عائدا كما كان , الي عمله في المسجد , فهو ما يكسبه "
المعاني " في الحياة هو بيوت الله التي يعمل فيها , حيث يرعي الناس
فيرعاه الله , حين يحبه الناس فيحبه الله , حين يعطف علي الناس
فيعطف عليه الله , و تلك هي المنة الالهية المرجوة في زمان كهذا ,
فأسرع في الطريق قليلا حتي بلغ شارعهم , و بهدوء في سرعة
السيارة دخل اليه , و أقترب من العمارة , فوضع السيارة أمامها و
أغلقها و صعد الي منزله مرة أخرى .

* * *

كانت الأرض لا تزال بادرة مع مرور الشمس من فوقها و انعكاس كم هائل من الضوء في كل مكان , الا أن هذا لم يغير من درجتها أي شيء , و لم يكن لهؤلاء المستقلين علي الأرض أن يشعروا بأي تغيير فيها , و لم يكونوا ليستيقظوا بتلك الطريقة أيضا , و لكن حسن قد اعتاد علي ذلك التغير فحين لمحت عيناه ضلك الذوء القادم من كل حيز فراغ حوله , أشعل بؤرة عينيه بالأمل و استيقظ و هو يقوم بفتح جفنيه علي شكل دورات متتابعة حتي فتحها كاملة , فرأي أنه كان الوحيد المستيقظ في ذلك المكان , و كانت هي نائمة بعيدة , و لا تزال تحلم بأحلامها السعيدة و لا تتطلق الكوابيس من عيونها , فشعر بالاطمئنان لنومها , و قام و قد أصدر تنهيدة كبيرة لقيامه , و خطا نحو المرحاض و الزجاج يأزره للأمام و يدفعه بقوة , فكان ملحوظا عليه في المرحاض ذلك البطأ , و لكن سرعان ما أنتهي من افاقة نفسه من غيوم نوم ليلة أمس , و صار وجهه الان يستطيع أن يكمل جدول

أعمال لليوم , و لكن كان هناك ما يحير عقله , أيوقظها ؟ أم يبقياها
نائمة ؟ هذا ما أرهق تفكيره لفترة من الزمن , و لكن أتخذ قرارة
الأخير , و أقبل عليها و لكن كانت هناك مسافة فيما بينهم , تكفي لعدم
ذعرها منه , و قال و يكأنه يصيح :

فاطمة , فاطمة !

لم تجب , فصاح من جديد :

فاطمة !

و زاد في درجة الصياح , فانتبعت لذلك و جعلت تنتظر لها و كان
غشاء عينيها لا يزال يحتويها , و يزعج مقلتيها , فقالت و هي تزيله
بكفها الأيمن :

ماذا ؟

قال :

لقد أتت الشمس !

نظرت حولها ثم قالت :

حسنا , سأستيقظ !

ثم تركها و جلس بالقرب منها ينتظر استيقاظها , فدبت الحركة في
جسدها سريعا و قامت بهدوء و في أحضانها يوسف , و أتخذت من

نعلين كانا علي الأرض نعليها و سارت به الي الداخل , ثم ما لبث
الوقت يمر أن كانت قد أستيقظت حقا من النوم , و من تأثيره الفعال
علي الجسد , فنشطت بعد ذلك كله , و وقفت أمامه قائلة بابتسامة :

اذن , ماذا تريد علي الفطور اليوم ؟

قال :

ما تريدين !

قالت :

ماذا تحب ان تأكل !

قال :

علي ما أذكر كنت أحب الملوخية كثيرا .

قالت :

و لكن الملوخية علي الغداء فقط .

قال :

اذن هلا نأكلها علي الغداء !

قالت :

كما تريد , و لكن ماذا عن الفطور ؟

قال بضحكات منخفضة :

كما تشائين انتي ! ربما بعض البيض و الجبن يكفي !
ضحكت و قالت :

هذا الفطور الرسمي دائما !

و كانت تحمل في يديها يوسف و كان يبدو عليه التذمر , فقال لها قبل
أن تدلف الي المطبخ :
ماذا يريد يوسف ؟

قالت :

هو جائع !

قال :

اذن أبقيه معي الا أن تأتي , ثم يأكل !

قالت :

و لكنه سيظل يركلك في أحشائك حتي يحصل علي ما يريد !

قال :

لا تقلقي فقد ركلني كثيرا علي ما أتذكر , لذلك لا تقلقي هو معي .

قالت و قد استسلمت لذلك الرأي :

كما تريد و لكن حين اتي , سأخذه منك ثانية لأطعمه !

قال بابتسامة رضا :

كما تشائين !

و دلفت الي المطبخ تعد القليل و لكنه يكفي علي الفطور , يكفي أن يمد
الجسد ببعض الطاقة ليكمل مسيرته في الأيام القادمة , و في اليوم
الحالي خاصة , و يجعل منك انسانا نشطا و من ما يميزه أنه يبقيك
مستيقظا الي المساء , فهو البداية في كل يوم , فأنتظرها خارجا و في
يديه يوسف , ولده ير كل معدته و لكن لا يهم , و لده يداعب شعره و
لكن هذا الجميل , ولده يقترب من تحطيم الكثير من الأجهزة الحيوية
في جسده و لكنه فداء لمرحه و لعبه , هو يتحمل كل ما يفعل لأجله ,
فيدعه يهرول علي بطنه بقوة فيتحمل ألما قاسيا لعيون ولده , و قلبه
السعيد المنفرج من الغضب الان , و لكن من الجيد أنه يفرج عن
غضبه فيه هو , فذلك حب شائك له , و يسبب له ألما , و يكتسب
جروحا اضافية علي التي عنده و لكن لا يهم , أبنه منص لبه و يشعر
بالأم والده فسيتوقف قريبا , نعم سيتوقف قريبا فهو يحب والده كثيرا ,
أليس كذلك يا يوسف !؟

و أنتظر قدومها بفارغ الجوع و لالتهام مواد غذائية تبقي معدته في
مكانها , و لا تجعلها تنقلب ثائرة في داخله , فيثور هو الآخر في

الخارج , فيصبح ثوريا و انقلابيا في ذات الوقت , فانتظر الوقت لكي
يعبر و قدومها , أهلكه الوقت و أهلك اعضاءه ايضا و لكن أنتظر ,
فضل ثابتا , و ظل يداعب ولده و لا يكل أبدا , حتي وجدها تسير أماهه
ببطء و هي تقبل عليه , و كان يريد أن يبكي يرحا و لكن تماكنت
أحشاءه تلك الثورة , و أخذ الطبق من يديها و قال و قد وضع لقيمة ي
فمه :

هل تجلسي لنأكل سويا ؟

قالت :

تذكر ماذا قلت لك قبل أن أدخل ذلك المطبخ !

قال و قد تظاهر بالتذكر :

صحيح , يوسف يجب أن يأكل !

قالت :

بالطبع , و الان يا أعطيني اياه لكي يأكل !

قال :

تفضلي , و لكن لا تغيبني علي كثيرا يا فاطمة !

قالت و قد غادرت به خلف الستائر :

حسنا !

و أكمل هو في وضع المزيد من لقيمات تسكن معدته , و تخدم ما يشتعل بداخله من ثورات تنبع عن جوع و من رغبات تمتليء بالحد علي الحيوانات لأنها تأتي بالطعام من أي مكان شاءت بحرية , و تأتي بها في أي وقت شاءت , فكانت رغبة و تحققت و هدأ كل شيء فيه و هو يتذوق طعاما جميلا من ذلك الطعام و يتلذذ لسانه به , و يثير قلبه هرمون السعادة فينتشر في أشلاءه بالكامل و معه يدب الحركات في الجسد تنيب عن عمل الجسد كاملا , كل لوظيفته و كل من أجل غذائه , السعادة ينبوع جيد لوصف فمه و هو يهضم بسرعة !

و كانت في الداخل تطعمه حليبا طبيعيا , من مصدر طبيعي , من جسدها فتعطيه صلبا كافيا لليوم بالكامل , و لا يقضي فمه أن يتوقف حتي يكمل في أخذ المزيد , بلا توقف , و كأنه يشعر بطاقة تتخله و هناك مواد تنبعث من ذلك الحليب فتشعره باحتياجه للمزيد فيأخذ المزيد و لا يهمه ارهاق فمه و لكن تلك الطاقة عفوية جدا , فتتخلي فيها عن جوانب الطبيعة و الارهاق , و تمنح القدرة علي الصمود في أي موقف كان , و الثبات في أي شيء يريده القلب و ينتعش به , فيرغب في المزيد و مع المزيد يشعر بالسعادة أكثر و ينتشي في قلبه طاقة لا مثيل لها في العالم , طاقة تنبع من قلب صغير و لكنها تحمل

الكثير من المعالم و تحمل اثارا لا تحصى في منظور المادة , فتتولاها الطبيعة اخذه حذرهما منها , فهي طاقة الحب المطلق , لا عنوان لها سوي انها سرمدية الشكل , و لونها صافي كالقلوب البيضاء بلا دماء , قلب لا يعبت بشيء فقط دفئه هو الذي يتحكم به و يمثل طاقة هائلة كتلك الطاقة , انه شيء يثير افراز هروونات السعادة بشكل ضخم في الجسد و في الحيز الذي يتواجد فيه ذلك الفتى , و مع شعورها بالانهاك , فتخرج فمه الذي بدأ يداعب لا بدأ يأخذ , و لكنها لا تزال طاقة بداخله , فتقوم بابعاد فم عنها , عن بؤرة الحليب , فيسترخي هو ولا يصدر صوتا , ينم ذلك عن ارتواء كامل لجسده , و سعادة يمثل ذلك الغذاء الذي يحصل عليه يوميا , فأخذت هي تحركه يمينا و يسارا و كأنها تلعب معه , ثم ما تقضي أن تتوقف عن الحركة , و تري عينيه قد توقفتا عن النظر الهيا وجفونه قد سقطت أمام مقلتيه , فتشعر بأنه حصل علي ما يستحق و علي ماذا يحب , و علي ورده اليومي من الحليب , فتقوم هي و الارهاق قد أصبح جزء منها و لكنها تتحامل علي نفسها , فتدلف من بين تلك الستائر المنسدلة الي الأرض , و تمر من بينها فتجده قد أخذ هو الآخر غذائه , و الطاقة التي كانت في ذلك الصحن , طاقة من المفيد أنها تنطلق من مادة لأخري فتحيي

هذا و تحيي هذا , فلا يخلو تركيبها من العسادة , سعادة للعقل , و
سعادة للقلب , متلازمتان سويا كمصدرين لليوم بأكمله , و ما يحتاجه
من مؤن ليستطيع أن يحرك الغبار من قدميه و أن يدب الأرض
فيخرج منها ما يريد , تلك هي الطاقة الحقيقية للبشر .
تقدمت أمامه , فرأت وجهه قد أبتسم , فقالت و قد أبتسمت هي الأخرى
:

ما رأيك يا حسن ؟

نظر لها و قد لمعت مقلتيه :

طعام جميل من يد جميلة !

قالت :

امل أنه أعجبك مثلما أستشعر به من كلماتك !

قال مثنيا عليها :

أنت حقا ماهرة !

ثم أردف :

لذلك ستكون " الملوخية " ذات طعم حسن لأنها من صنع يديك تلك

!

قالت :

و لكن نسيت أن اقول شيئاً !

ثم أردفت بلهجة جادة :

هل يوجد في الداخل " ملوخية " في الثلاجة ؟

قال و قد شك في هذا :

أظن ان الثلاجة لا تحتوي علي " ملوخية " , و لكن هل بإمكانك أن
تجلبني لنا من السوق !

قالت :

حسنا , سأذهب الي السوق اليوم , تلك فكرة سديدة !

ثم أردفت :

و سأذهب الان !

قال :

حسنا , و سأظل منتظرك هنا , و لكن لا تتأخري , كوني هنا قبل
وقت العسر !

قالت :

حسنا !

ثم قربت منه يوسف و قالت :

هل بإمكانك أن تبقيه معك إلا أن أذهب لأنظف تلك الأطباق من ثم
أذهب !

قال بتقبل و ابتسامة :

بالطبع !

مدت يدها لتعطيه اياها , ثم تركته معلقا في الهواء بين كفيه يضحك
مع و يبتسمان في وجه بعضهما البعض , تركت ذلك المشهد و ذهبت
لتنظف تلك الأطباق التي عجت بالبواقي المتناثرة فيها في كل بقعة , و
تزيلها باهتمام لتجعلها نظيفة و لا تعاب , وقفت و أخذت بالماء تزيل
و تزيل و لم تكن تشعر بالإرهاق في بداية ذلك الأمر , ففي بدايته
متعة , و ليس إرهاقا يقضي علي الجسد و ينتهكه و يقضي عليه ,
المتعة فيه في الماء الذي يسيل علي الكفين فيرويهما , و برودته تعطي
مناخا اخر أثناء التنظيف , و مع مرور الوقت تسببت في العرق بعض
الشيء و تزامن مع ذلك ألم بسيط بدأ في توجيعها من أسفل البطن ,
فكانت تلتوي وهي واقفة أمام الحوض , و كانت الام تجعلها لا
تستطيع أن تكمل أحيانا , فتتوقف ثم تكمل و لا تزال تلتوي في الهواء
و ظهرها منحني للخلف , بدأت معها الالام يالتزايد و الظهور
فجلست و لم تيتطع أن تكمل لبعض من الوقت , و كانت تجلس

القرفصاء و تحاول ازالة ذلك الالم بالصبر عليه و الانتظار لحين أن يفرج عنها ذلك الغضب في أسفل البطن , و الحرارة الملتبهة في تلك المنطقة و ألم يتزامن مع مرورها من بطنها السفلي , و لاحظت بعض مرور الوقت أن الألم بدأت تخف حدته و بدأت تهدأ هي الاخرى , فحاولت أن تقف و لكن كان بصعوبة و ارهاق لجسدها و لكن فعلتها , ووقفت أمام الحوض ثانية فما كان تبقي سوى طبق واحد حتي أنتهت منه و أستندت علي الحائط سيرا الي الخارج , و لكن لمحت بعينيها بقعة حمراء صغيرة علي الأرض , و كانت قانية مما أثار قلقها و تصاعدت و تيرته في عقلها و الأفكار ظهرت أمامها بوضوح و كأنها تخاطبها , هل هذا دمي ؟ هل كنت أنزف ؟

قلقها يتزايد مع كل فكرة تظهر في عقلها و تنادي اياها بأن تسمح لها بالرؤية اليها و الاستماع الي كلماتها , فوقفت تتأمل الدم قليلا ثم ما لبثت ان عادت أدراجها مرة أخرى الي الخارج , و لكن كانت قد سبقت في الدخول الي المرحاض أولا , تريد فقط ان تتأكد من أن كل شيء علي ما يرام , جعلت تنظر بعينيها حول ذلك " المهبل " الذي أشتعل حمرة و دما , و ارتباك أوصالها يزيد من حدة الموقف فيجعلها مرتبكة و قلقة في ذات الوقت , و الدماء تسيل ببطء علي ساقها ,

فجعلت تبحث عن قماش في أي بقعة في ذلك المرحاض , وجدت قطعة بيضاء طويلة تكفي لأن توقف ذلك النزيف و تبطء مروره علي ساقها , أخذته بسرعة ووضعته عليه و أحاطته بشكل جيد و لم تدع ثغرة ليمر منها , و أعادت نفسها كما كانت بملابس مرتبة و لا يشك في ردائها , و دلفت الي خارج المرحاض , تنظر الي الأمام لتجدهم كما كانوا , يلعبون مع بعضهما , فأقتربت بسير بطء ينم عن حركة قلقة و مرتبكة , و لكن لم يكن ملحوظا عليها , كان ذلك الضجيج يحدث في الداخل , فأقتربت من " حسن " و قالت :

أنا ذاهبة .

قال و قد نظر اليها :

حسنا , بانتظارك !

و أبتسم لها و أكمل لعبه مع يوسف , و قامت بفتح الباب بهدوء و أغلقته من خلفها , و كانت تشعر بتعب شديد و هي تهبط درجة درجة علي السلم , و مع تزايد حركتها كانت الوخزات تظهر و تختفي في بطنها فجأة , فأمسكت ببطنها و هي تكمل السير , خوفا من ذلك الألم الذي لا يعانق المحبة أبدا و لا يعانق بشري لا يحتمل الألم مثل الاناث , لقد اتي الي المكان الخطأ تلك المرة . و أقتربت من الخروج من

الباب بالفعل , فوقفت علي مشارفه تتفقد الشارع يمينا و يسارا ث
شرعت في السير فيه , فأتخذت طريق الأمام في سيرها و لم تتخذ
مسارا أو منعطفا اخر , و كانت تعلم بقالة تبيع تلك النباتات مثل "
الملوخية " , فذهبت الي احداها , فوقت تنظر لي أجود صورة
للملوخية , و أخذت تقيس احداها و تتلفت الي الأخرى بحيرة و
اندهاش من مدي ردايتها , و اخري من قسوتها الشديدة , و لكن
يرعان ما أمسكت بزمام الأمور مع أوراق حسنة تصلح للمضغ و
الأكل , و ليس بها صلابة و ليست رديئة , فأعطت البائع المال و
أنصرفت بساقيها الي مكان اخر , لم يكن للمنزل مكان في وجهتها
اتلاية الان , بل أتخذت منعطفا و ذهبت الي " صيدلية " لحل تلك
المشكلة التي تواجهها ! فدلقت بالداخل , قابلها طبيب كان حسن
الملابس و نظيف الوجه , و لم يكن له ذقن و لا شارب , كان شابا في
مقتبل العمر , فسألها قائلا :

كيف أخدمك سيدتي !

قالت :

أريد قطعتين قماش للنزيف المهبلي .

قال و قد بدأ في البحث :

ما الحجم ؟

قالت :

متوسط !

قال و قد جلبه و وضعه في حقيبة :

عشرون جنيها .

أخرجت المال و أعطته اياه و قالت بابتسامة :

شكرا لك !

و أبتسم هو الآخر قبل أن تغادر , قررت في تلك اللحظات أنا يجب أن تعود سريعا للمنزل لكي لا يتطور معها الأمر كثيرا فتزداد الالام و يزداد امساكها ببطنها في الشارع هكذا , و أخذت تسير بسرعة و كانت قد تخطت كل ذلك الشارع بمنعطفاته عائدة الي العمارة من جديد , و صعدت علي درج السلم و أقتربت أكثر من باب المنزل , ففتحه و دلفت الي الداخل , و أبتسمت لأول من واجهها , و كان حسن يقف و في يديه يوسف يسير به في الشقة في مسارات دائرية و يلهو معه بأصوات خفيفة علي الاذان , فقال لها مباشرة :

يا مرحبا بعودتك الحميدة !

قالت و قد وضعت " الملوخية " فقط علي الطاولة :

ها هي الملوخية التي طلبتها !

قال :

شكرا لك علي تلبية طلبي .

قالت بابتسامة :

لا شكر علي ما وجب !

ثم أردفت :

و الان سأتركها لحين وجبة العشاء , و لا تعبث بها !

قال ضاحكا :

سأقطف منها قطعتين و أكلهما !

قالت و قد رفعت اصبعها بتحذير مخلوط بضحكات :

اياك ثم اياك !

قال متحديا :

و ماذا لو أخذت قطعة واحدة ؟!

قالت :

علي كل قطعة ستأخذها ستخضم منك بالتأكيد .

قال :

اذن ليس هناك داعي لهذا !

قالت و قد سيطرت علي الوضع :

نعم , ستأخذ حقك في العشاء , و لكن ليس وحدك ستأكل , ساكل
معك و ربما يوسف ايضا !

ثم أردفت و قد و انتتها فكرة :

ما رأيك في أن نعلم يوسف السير علي قدميه !
قال مستهزأ :

و لكنه لا يزال صغير علي ذلك !

قالت :

هذا السن الذي هو فيه الان يجب أن ندعمه باكسابه مهارة السير و
ليست السباحة , لأنه ان لم يتعلم الان فمتي سيتعلم اذن !
قال :

أتظنين هذا ؟!

قالت بجدية :

بالتأكيد !

ثم نظر الي " يسوف " يطمأنه في قلبه , بتواصل الخواطر بينهما , ثم
أمسك به بحذر ووضع قمي علي الأرض ليتوازن و يثبت , أبدي
الطفل رغبة في التحرك بالفعل , فأمسكه الأب لثواني , ثم أفلته ببطء

حتي وقف يوسف بمفرده لأول مرة , لأول مرة تطأ قدماه سواد الأرض و طياتها الباردة , و يستشعر برمالها الكثيفة رغم أنها لا تزال صغيرة الحجم , و لكن كان شعورا رائعا بالنسبة له , فقد كان بيتسم و يتلفت لهما , فيسعدان بأنه قد سعد بهذ جدا , فقالت لحسن و قد أمكست بيديه ليسير :

ألم أقل لك بأن الطفل في تلك المرحلة يرغب في السير !

قال و قد تأكد بعينه :

بالطبع , فقد كنت أشك في قدرات صغير لوهلة و لكن حين رأيته هكذا مبتسما و سعيدا , هذا أخدم قلق قلبي !

و بدأت في السير معه ممسكه بيديه الصغيرتين الي الأمام , يتجولان في الداخل ثم الي الخارج , و يمضي السير بلا تعب بالنسبة له , شعر بأنه أصبح حرا أخيرا و أزيلت عنه القيوض التي كانت تلزمه البقاء معلقا في السماء مع من يحمله , يريد بشدة أن يتلامس مع الأرض و مع شكلها و لونها و حلمها و عقلها و كل شيء فيها , لأنها هي التي ستبقي معه الي الأبد , أما يحن الوقت ليتعرف ليها لتحفر في قلبه بنقوش ملونة أنها هي الباقية لديه !

قالت وبنظراتها الي حسن بعد عودتهما مجددا الي نقطة البداية :

انه حقا أصبح مثلنا !

قال بتفاؤل :

سيصبح مثل أبيه , أليس كذلك !

قالت بضحكات ارتسمت عليها :

سيصبح مثلنا جميعا , و مثل باقي البشر !

ثم أردفت :

و سيصبح حرا بلا قيود كما كان أباه و كما علمته أمه رحمها الله !

قال :

فليرحمنا الله جميعا !

ثم أكملت هي الحديث :

و الان هل ستكمل السير معه أم ستحمله !

قال :

فلندعه يسير كما يشاء و نجلس لنشاهده .

ثم أردف و قد لمعت عيناه :

ما رأيك ؟!

قالت :

كما تشاء ! و لكن سأذهب أنا لأفعل شيئا ما ثم سأتي .

قال :

الي أين !

قالت :

الي الداخل يا حسن !

قال :

حسنا , حسنا !

و جلس هو يراقب ولده الصغير يتمشي بحرية , و دلفت هي الي الداخل , و جلبت معها الحقيبة التي كانت تعج بالملوخية , و وضعتها علي طاولة في المطبخ , و لكن لاحظت شيئا ما قد وضع في تلك الحقيبة , فأخذت تتفقدته و كانت ورقة مطوية ليس لها ملامح , بيضاء من الخارج فقط , فدستها في جيبها و ذهبت لتكمل ما كانت قادمة لتفعله , دلفت الي المرحاض و أغلقت الباب خلفها بلا صوت لأغلقه , لكي لا يعمل أحد أنها في المرحاض و لكن الضوء سيفضح أمرها علجلا أم اجلا , و أخذت تفرق قطع القماش تلك عن بعضها البعض و أخت واحدة منهما و تركت الأخرى في الحقيبة , قربتها من أسفل بطنها و عقدتها حول خصرها و تأكدت بأن كل خصرها محاط بتلك القطعة , شعرت بالراحة علي الفور حين وضعت ذلك اليء , و قد

كان من المخترعات الحديثة لتل المشاكل , فأخذت معها الحقيبة مرة أخرى و دلفت الي الخارج , أقتربت من الغرفة الداخلية , التي لم يكن بمقدور أحد أن يجلس فيها و التي وجدت ضوءها كان لا يزال مضاء , فلم يربها الأمر كثيرا من الوقت و وضعت الحقيبة علي منضدة قريبة من الباب , و تذكرت في تلك الأثناء من الورق المتطاير علي الأرض ورقة كانت قد وضعتها في جيبها و لكن لم تتناساها , هي نستها فقط و ما ذكرها بها كان بنو جنسها من الأوراق , فأخذت بيدها الورقة و قامت بنفضها لتقرأ ما سطر فيها , و كان الخط رديء قليلا و لكن يمكن قرائته و فهم ما مضمونه , أخذت تقرأ الجمل القصار :

" لا تنسي أن المرض دائما ما يصطحبه بداية حتمية " !

" لا تتناسى الحب الذي في داخلك " !

" لا تفقدي نفسك مبكرا بسبب .. قطرات دم " !

ظهر خوف في قلبها و ارتعد بسببه , و أخت تتفقد السطور من جديد و تدقق في كل كلمة قالها من كتب تلك الورقة , كيف عرف قطرات الدم هذا الرجل ؟ يا للأمر السيئ هذا ؟!

و جعلت تقذف في قلبها المزيد من الشكوك و الاسئلة , و لكن تمالكت خوفها فأعادت الورقة كما كانت الي جيبها و أكملت السير الي الخارج

, و نظراتها تلمحه يجلس بعيدا يراقب يوسف و هو يسير , لم تكن
لتهذا من براءته تلك , فأتقربت من مجلسهما و جعلت تجلس ببطأ و لم
تعيره اهتماما ملحوظا فقط لثواني , ثم بادرت قائلة :

هل يسير بشكل جيد !

نظر لها و أبتسم قائلا :

يسير بحيوية أيضا !

ثم جعلت تنظر الي يوسف و لم تعلق , فبادرها و هو يسأل :

لماذا قضيتي مدة طويلة بالداخل هكذا !

قالت :

كنت فقط أفعل شيئا خاصا !

قال و قد أدرك مغزي ما تقول :

حسنا , حسنا !

ثم أردف قائلا مرة أخرى :

هل تريدان أن نسير مع يوسف مرة أخرى !

قالت بارهاق :

لن أقدر علي هذا فأنا مرهقة الان !

قال :

ما الذي حدث ؟

قالت :

لا شيء !

ثم أردفت :

لا تقلق و لكني أريد فقط الجلوس هنا بلا حراك !

قال :

و لكن يوسف يحبك !

و أردف و قد نظر لها راجيا :

و يريد أن يلهوا معك !

فنظرت له و قد أدركت وجهه المتنكر :

هو يحبني و يحبك أيضا يا حسن ! لذلك سر معه و سيستجيب لك

علي الفور !

فقال :

أليس هذا مثل ولدك أيضا !

قالت :

هذا مثل ولدي " الذي لم يولد " بالطبع و لكن أنا و أنت شخص واحد

بالنسبة له بلا تفريق بيننا !

قال و قد أمسك بابنه بعفوية :

يجب أن ترتاح قليلا يا يوسف !

ثم أردف :

فماما فاطمة متعبة و لا نريد أن نزعجها !

ثم نظر لها مبتسما , قالت هي :

اتركه يلعب يا حسن !

فقال :

و لكنه يزعجك , أليس كذلك ؟!

قالت :

لا شيء يزعجني أكثر من نباح الكلاب في الليل !

ثم أردفت بجدية :

أتركه فقط يلعب كما يشاء !

قال و قد ترك يوسف :

هيا , سر كما تريد و أنا سأظل أراقبك هنا عن كثب !

فتركع علي الأرض فجعل يركض و خسرته يتمايل يمينا و يسارا , كان

يتململ في الهواء فلا تدري أهو حقا يسير أم انه يقع ! لا يبدو أي

شيء من هذا عليه , و كانا يجلسان بمسافة عن بعضهما البعض , هي

تنظرا لي الطفل الصغير و هو يلهو و لكن كان عقلها مكتظا بالأفكار
الدخيلة , و هو يجلس فقط ليشاهد بحماسة ابنها لصغير و هو يلعب في
أرجاء المنزل و يفعل ما يريد , و كان كل منهما في حالة مختلفة عن
الأخرى تماما , و بالرغم من أنهما مشتركان في مشاهدة يوسف
بركضه المائل هذا , و لكنهما بنظرات متماثلة يبتسمون له و يشجعونه
بداخلهم في أصوات خافتة , لا يسمع منها وقع !

* * *

كان في الصباح نشيطا قبل الموعد المحدد , فدق في أذنه صوت المنبه العالي و هو يوقظه بموسيقى شديدة , و هو حقيقة الذي ضبطها علي تلك الموسيقى الصاخبة لتوقظه سريعا , و لا يتكاسل من أغنية خاملة لا تؤثر فيه بشيء , و عل هذه الوتيرة قام من علي فراشه يقفز بملل , و لربما شعر بأنه مرغم ليقف ذلك الصوت , و ذلك الإزعاج , فأوقفه و أكمل سيره الي المرحاض و لبث بعد الوقت بالداخل , و خرج و قد أكتسي حله جديدة من البشرة و من الطبقة الناصعة البياض علي وجنتيه فلم يعد هناك أثر لبقايا الأمس , كان يبدو أنيقا ! فأخذ يرتدي ملابسه و يقوم بالتعديل عليها تارة من اليمين و تارة من اليسار حتي اعتدلت و أصبح شكلها ممتازا , ووقف يمدح في ملابسه قليلا أمام المراة , و يتغزل فيها و انسيابها بشكل دقيق علي جسده حتي أنه كان يقول لنفسه أنه سيحسد بالتأكيد علي هذا ! و لكن لمي كن ليالي بهذا , فأناقته أحاطتت به جيدا , و جعلت تركيزة عليها فقط , عائشة , الطبية الحسنة , دلف في النهاية الي الخارج و أخذ مفتاحا خاصا بالمنزل بين يديه , كان موضوعا علي منذدة أمام الباب مباشرة لمن

أراد دسها في جيبه بدون علم الآخرين في المنزل , و صدقا كانت فرصة سانحة له ليأخذها بللا كلم كثير , دسها بالفعل في جيبه و خرج من الباب و جعل فيما يبدو من ذلك المشهد بأنه شبه يهرول و لكن لم يكن ليهرول و الا كان تسبب عرقا مبكرا قبل أن يكمل ذلك الركض , ففبطء وصل و بنصف هرولة الي خارج العمارة , و تفقد أحوال الشارع بنظرة ثم دخل الي سيارته , و تبع دخوله مباشرة صوت السيارة يصدح في الغلاف الجوي , و يشتد بين الوقت و الآخر لكثرة الوقود الذي يشعله , و ضغطه بشراسة علي مكبح الوقود , و أخذ بمقود السيارة في كفيه و سار بالسيارة خارجا من ذلك الشارع بسرعة ملحوظة , كان تعجله يري من بعيد لكل من ينظر , و يشعر به كل من لا يري و لا يسمع , فقد كان شعور الهواء من خليط تلك السيارة يمتزج بالهواء فيشعر به كل من يمر بجانبها , و هوائها الشديد الذي يتكاثر علي أنوف أناس كثيرة ممن مروا بجانبها و أحسوا بتلك الدغدغات و أحيانا ألما تنبع من منخارهم حتي أجزاء جسداهم لعمق ذلك الجرح في الهواء , فكانت مثل قرحات تنبع من الهواء مباشرة عليهم و تصيبهم بسعال لحظي , و تلك من أثار مخلفات السيارات الحديثة دائما , تترك للناس شعورا بالألم قبل أن تفر هاربة , بسرعتها

, و كأنها تثير غضبهم حتي يثوروا علي من حولهم فقط , و ربما علي أجسادهم أيضا أن تعدي الأمر الحد الطبيعي لديهم , فتسبب جروحا في الهواء و جروحا في المادة أيضا , هذا ليس بالعدل أبدا , جرح واحد في لحظات كتلك يكفي لتحسين وضع الناس , و لكن جرحان بقطع كبير أكثر ما يزعج الناس و يجعلهم تتقطع بهم الطرق الصحيحة و الأسباب أيضا , أسباب الهدوء و السلام , يكفي ما يقال بأن المخترعات الحديثة سلاح ذو حدان نصلا بأسلحة القدماء !

فكان من الحظ الوافر لديه في يوم شبة رائع في بدايته و من لامحه السطحية , أنه سيكون جيدا في ذلك , فسار بهدوء حين كانت عيناه تنظران الي مبني عملاق يعرف عنه كل شيء من بعيد , فهذه دخولا من الخلف و استدارة السيارة – الخارقة – و السلسلة و المرننة و السوبر خارقة في زمان كهذا , و أوقف السيارة و جلس يترقب ظهورها و بزوغها بطله يريد أن تظهر عليها لليوم , أنتبه لفتح الباب فنظر بعينين تأملان خيرا و جمالا في تلك الفتاة , راها حقا , ي الهي !! اية في الجمال و لربما مبرزا في النور و في الغالب هي صورة من لوحات دافنشي الشهيرة !! راها ترتدي فستانا يتدلي عند ساقها و لا يتخطي كعبيها , و ضيقا قليلا عند الخصر و كان مغطا

من أعلی الكتف و ترتدي حجابها المتميز , و كان فيتنا يزهو بونه الأحمر الفاتح و فكانت اطلالة لم يكن ليحلم بها في أي أمسية قضاها معها , و لكن حققت أمنياته و أتت بأجمل ما في كونها الخاص , و تزينت به من أجل خاطره الذي كان يردد عليها بأن تفعله , فقبلت و سعدت بهذا , و نظرت الي جمالها ذلك و هي تقدم عليها في سيرها الهادئ و عينيه تتفقدان جمالا جسدها الملهب باللون الأحمر و الذي يشع ثورة في قلبه و يؤجج لنيران تلهب و تخفض و لكن لا تخمد أبدا , راها تقترب من باب السيارة و وضعت يدها علي الباب فقام بفتح مباشرة و نظراته توحى بالترحيب الشديد , و حبه لذلك الفستان الزاهي , فوضعت قدما في الأعلى و تبعثها باليسر ثم جلست بكامل جسدها و ترقبها هو بنظرات عينيه تفعل ما يحلو لها , تجلس كيفما تريد , فهي حسناء للغاية !! و جعل ينظر اليها و عيناه تظهران نبوغا و مراحل كثيرة من الاعجاب و التغني بجمالها في أعماق قلبها و في سرادق قلبه السعيد , و بالتأكيد الذي يمتليء بأشباح الجمال و ملائكة الفستان الأحمر المتألئ في علي كوكب الأرض و أمام نظره و أمام عينيه الان , فيتشبع منها جمالا فيهدأ قلبه و يقلل من نزره المكثف عليها , فقالت بخجل :

ما بك ؟

قال و قد غمر بالحب :

حقيقة , لم أعهد ذلك من قبل !

قالت و قد أحمرت وجنتاها :

و لكن أأست أنت الذي طلبت مني هذا !

قال :

بالطب طلبت جمالا مثل هذا , و لكن هذا جمال زائد عن المتوقع , و

ما كانت عيناى تحلم فى أن تراه واقعا أمامها , و لم تكن حتى تلك

الألوان تخطر على خاطر فى الليل ؟!

قالت و قد ضحكت :

و لكن أنا على كلمتى دائما !

ثم أردفت و قد وضعت حقيبتها الصغيرة على ساقها :

و الان هيا لنذهب !

قال و قد أصدرت سيارته دخانا فى حلقات مخترقة الهواء الجوى بغتة

:

السيارة طوعا لأمرى !

و حلق في الطريق أمامه ثم سار بالسيارة قاصدا ذلك النادي مرة أخرى , و طريقه كان يشعر بامتلاءه بعنصر جمالي و عنصر لا يكاد يخلو من الحب و قطع الماس المختفية في أعماق الصدف , كانت هي قطع الماس تلك التي لا يرغب في أن تبتعد عنه , أو أن تختفي خلف صدفاتها و يخفت و هيجهها , و يدنو صوتها فلا يسمع صوتا رقيقا , أو ترنيمة عذبة من صوتها الدافئ , و كانت اثار ذلك الصوت كثيرة , تعج بالجمال , تكثر من الاحسان , تعطف علي القلوب , و لكن القلوب التي تهوي النوار مثلها , فهي دائما ما تأتي في هيئة شيء نادر و لا تأتي لتكون باهظة و لا يأخذها سوي أيدي بسيطة , و لكن في النهاية القدر الذي خلقه الله للبشر هو ما جعل هذه الماسة لشخص مثل محمد , فلربما أعطاه الله تلك الهدية النفيسة لأنه أحبه , و ربما أعطاه الله تلك الهدية الغالية لأنه أحب كثيرا من الناس , و الله يحب من يحب , و يبغض من يبغض , و رسائل السلام و الحب دائما ما تكون بالغة الأثر , تحفر في أعماق أي شيء بقلم حاد في تزال أبدا , ذلك هو الحب الحقيقي , بلا خدوش أو عناء حب أو هجر أو ما ينبذ في الواقع , كل ما يقال عن حب فهو حقيقي , و كل ما يلتبس من أحداث من تعشق , و من تتطلع لحبهم أو ودهم فهو حقيقي تماما , لأنه لا خدوش في

أعماق القلوب و لا عناء في حواس الأذن التي تسمع كلمة (الحب)
التي تنعش ذاكرتها و تحيي حفلتها الصاخبة , و التي لربما تلك الكلمة
تترك ما يحيي الماضي و ينعش الحاضر و يجدد في المستقبل ان
أستمر العناق بينهم لأمد طويل , و أمتد حتي بداية علاقة حميمة حسنة
بينهم .

و كانت أمامه تلك المشاعر تتدفق بسرعة و تدب في جسده مشاعر
ثانوية تتنوع بين ما يحب و هي تجلس بجانبه مباشرة , و بين ما يريد
أن يلتهم وجنتاها لاحمرارهما الشديد و التهابهما بحرارة الحبيب هي
أيضا , و تزايد وتيرة العشق بينهما و تنطلق باعثة فيهم ود , و تعاطف
بينهم لم يشعر به بعد أو ينطبق فعلا علي أرض الواقع أو أن يصبح
لموسا بن شعورهما الوجودي في الأفق , و تتجدد في لحظات كتلك
التي تجمعهم ببعضهم البعض , و ترسو فيها مشاعر القرب , و
بقربهما أيضا قصص و حكايات تستمر في وقع أحداثها تلك الي ما
يسمو بين نفسيهما و يقولان لبعضهما كلمات متبالدة في الحب و في
العشق , و تلك من أجمل الدرجات في الوصول الي (العشق) فهي
حالة استثنائية لا يرتقي لها سوي شخصان , و ليس قدم واحدة ,
شخص واحد قد يسقط في الهاوية لعد معرفته للحب الحقيقي بعد ,

قيرتدي قناعا أمام الناس بأنه لديه أنثي تحبه , و أنثي تعشقه و أنثي تتبعه في خطواته الواثقة و التي تمتليء بالحس المرتفع بينهما , و المشاعر المتواترة بين حبالهما معا , و قلوبهما التي تتواصل و لا تنقطع , هذا خداع بالتأكيد .

لذلك أغلب ما يشعر به المرء في حياته , و بين علاقتهما المحبوبة من كان بينهما حبل وتيد , حبل لا ينقطع لو مر الزمن , لا يهتز بشدة من أثر الرياح العاتية , و تلك تكون صعوبات بينهما فتجعلهما يبتعدان عن بعضهما و لا يبديان تلك المظاهر الحقيقية لحبهما مرة أخرى , للملأ أو لهما في حالة انفراد , و في حالة حبهما في أوقاتها معا , تلك هي الرغبة التي تلح عليهما و تتزايد مع كل يوم ربما لا يفترقان فيه و لكن لا يشعران بشيء علي الإطلاق , هو كان مثل ذلك مها رغم قربهما من بعضهما البعض , الا أنه لا يزال هناك شيء مشتت لم يتبن ملامحه بد , أو يظهر من بين الكثير من المشكلات التي تحيط به و تعوق أبعاده الثلاثة في أن تظهر , أو تتجلي لتعيد ذلك الوثاق من جديد , و لكن ربما أنها لم يؤذن لها بعدف ي أن تظهر و تؤثر فيهما , فقط ما بقي لديه هو أن يشعر بها و يشعر بحركة مقلتيها فيسعد , وي ري جمالها فيبتسم , و بليح له قلبه بقلبها فينفطر , و كان طريق يهدأ في

الكثر من الاوقات , فيزيد منسرعه للحاق بالهواء العليل في النادي
الفسيح , الذي يسمح بمرور مثل ذلك الهواء في اوقات الصباح
المبكرة , فسيجعل من جلوسهم سويا حالة جميلة ما بين التألق و ما
بين الحب الذي يعتمد علي وحي السماء , و تلقيه رسائل تنذر بوشك
الحب علي البزوغ .

فأقتربت السيارة من الباب الضخم للنادي , فوضعها باحترافية في
الخارج و طلب منها بصوته الرخيم :

هلا تهبطي بقدميك الي الأرض لنذهب سويا للداخل !

قالت و قد استعدت لفتح الباب :

حسنا يا محمد !

وضعت يدها علي الباب , و فتحته بهدوئها و خرجت منها في هدوء
ووقع خطواتها جميل و أثاره رائحة في المناخ لذلك اليوم , فداعبت
الرياح ساقها بهواء صعد الي الفستان الذي تتطاير مع الهواء الشديد ,
و حلق معه في تناسق فلم تستطع أن توقفه , فقط تركته هكذا فليفعل ما
يحلو له , و أقترب منها (محمد) و أخذ بيدها و كانت المرة الأولى ,
و لكن كانت رعونته في هذا تتفوق علي خجلها , فقال قبل أن تنطق
بأي حرف :

نحن الان سويا , لا تقلقي !

فقالت بلا رضي عن ما يقول :

و لكن لم أرتدي الفستان لتتخطي حدودك هكذا !

قال :

أنت أقرب مني الان من أي وقت مضى , أنا بمثابة فرد من عائلتك ,

فلا خوف يا عائشة , انت بين يدي الان !

قالت :

و لكن أنت أقتربت كثيرا يا محمد !

قال :

لأن لدي ثقة بك !

ثم أردف :

لأنك أختي الصغيرة !

قالت و قد أحمرت وجنتاها علي غير رغبة :

ولكن ..

قال مقاطعا :

فقط فلنستمتع بهذا الهواء , و لا نتكلم الان !

ثم أردف مبتسما و هما يسيران الي الداخل :

حقا ان يدك دافئة !

قالت و قد أرخت كفها – للمرة الأولى - :

ليست ادفاً من يدك !

قال :

تلك اليد أشعر معها بأنن متصلان بشيء ما سويا و لا يجب لأحد

غيرنا !

قالت :

و ما هو ؟

قال :

أننا و علي يقين قد أصبحنا محبين !

فقالت مقاطعة و كأنها تمزح :

أنت محب !

قال و هو يعاند رأيها :

نحن نحب بعضنا البعض و لا نحاولي اخفاء حبك لي يا سيدتي !

قالت و قد ضحكت :

و لكن كيف لك أن تجزم بهذا يا محمد !

قال :

أنا أجزم بهذا من ملابسك الجميلة تلك , أتعلمين حين قلت لك بارتداء
ملابس أنيقة لتلك الجلسة !

قالت :

نعم , أذكر !

قال بتطلعاته الدائمة :

هي الدليل الحي علي هذا حقا , و أنك تنفيذ ما أقوله لك لأنكي تعلمين
أنني أحبك جدا !

ثم أكمل :

و تعلمين أننا صرنا مثل حبل متين منذ أن جلسنا مع بعضنا البعض
هنا للمرة الأولى !

فقالت :

و لكن هل هذا ما شعرت به حقا في المرة الأولى !

و قد اقتربا من المقعد الذي يجلسان فيه و يمتلئ بالهواء المرسل من
الرياح الجميلة التي تداعب وجهيهما و تنلهم يشعران بذات الشعور ,
فأخذ كرسي و جلست هي الأخرى بهدوء أمامه و ارتقب جلوسها و
فستانها الذي يجلس معها كجسد واحد , فقال لها مكمل الحديث :

نعم كان هذا شعورا جيدا للغاية !

فقالت :

و هل حقا هذا الذي جعلك تتعلق بي هكذا , و لكن ليس حبي !

قال :

تلك المقابلة بالتحديد فهي نعم , لقد تعرفت علي الكثير رمن الأشياء
عنك و قد اكتملت بالأمس حين كنا في منزلي نجلس سويا !

فقالت :

و هل علمت ما أحب أم لا !

فقال ضاحكا :

لا زلت في طور التعلم بعد يا فاطمة .

قالت و قد ابتسمت :

و هل علمت ما أكره ؟

قال :

لا زلت أتعلم منك !

و قالت ثالثا :

و هل علمت ماذا أكرهه في الرجال ؟

قال و قد وضع أذنه بإنصات لهذا الكلام :

يا ليتني أعلم !

قالت و قد وضعت يديها علي الطاولة :

لا أحب رجلا يغار من شيء علي الاطلاق !

قال :

و ماذا بعد , أضيفيني بالمزيد .

قالت :

و لا أحب أن يكون متقلب المزاج أو أن يكون سريع التعصب علي

أي شيء , أريده فقط أن يكون هادئ و هو معي أو مع الآخرين !

قال :

لو أردتني هادئ سأفعل .

قالت بنبرة جادة :

إذن لا يجب لك أن تحبني !

فقال :

إذن الهدوء هو صفة من صفاتي .

فقالت بابتسامة :

الهدوء صفة طبيعية يا محمد , صفة يهبها الله لمن يشاء منذ نعومة

أظفاره , لذلك أريدك أن تقل لي بصدق هل كنت هادئ مع الآخرين

حين كنت صغيرا !

قال :

أتريدون الحقيقة !

قالت :

بالطبع هذا ما نريده جميعنا !

فقال و كأنه يملي حياته بأكملها :

الهدوء كان صفة من صفات , فكنت تقريبا أجلس مع الكبار علي
سبيل المثال و لا أتكلم الا قليلا جدا , و حين كبرت قليلا كان ذلك
ملحوظا علي بآني لا أتدخل في أي شيء يفعلونه . و جل ما أفعله فقط
هو الجلوس و المشاهدة لما يفعلون , و لا شيء آخر كنت أفعله , هذا
ما أذكره عني !

فقالت و قد أثار اعجابها :

بل و كنت لا تتكلم أيضا !! ما شاء الله .

قال بابتسامة :

نعم , و لكن مع مرور الزمن تقلصت قليلا و لكن لا تزال محفوظة
في قلبي !

قالت :

امل أن تظل معك هكذا , و لا تثور علي في اي وقت كما كنت
صغيرا !

ضحك و قال :

لا تقلقي علي هذا الشأن !

ثم أردف الحديث و قد تذكر شيئا :

أنسيتي ما نحن قادين لفعله في الأصل ؟

قالت متسائلة :

أتقصد المكالمة ؟!

قال :

بالطبع !

قالت و كانت تأخذ رشفة من عصير " التفاح " الذي كان أمامها :

ليس الان !

قال محمد :

لما ؟!

قالت و قد وضعت الكوب :

أسترخ قليلا يا أستاذ محمد ! أمامنا الوقت . ثم أننا لا زلنا في بداية

جلوسنا , لم التعجل يا " روميو " !

ضحك و قال :

نريد أن ننهيه مبكرا !

فقالت :

ليس كل الأمور كذلك !

و أخت رشفة أخرى ثم قالت :

هذه تجربة جديدة , لذلك يجب أن نتمهل فيها يا محمد !

قال :

يبدو أنك في أفضل حال اليوم , و ملامح وجهك و جمالك بالطبع

يشي بهذا !

قالت :

لا تعاكسني أرجوك !

فقال مبتسما :

حسنا يا أميرتي !

و جعلت تبتسم لبعض الوقت , و رشفات من العصير تنعش قلبها و

تتخلل في جسدها معاني السعادة السامية , لربما بعض الوقت قد يفي

بتجديد السعادة لديها , فقالت و هي تجيب عليه :

أتدري شيئا !

ثم أردفت بلهجة سخرية :
لا زلت صغيرا علي الحب !!
فقال ممتعضا :

لما يا أستاذة عائشة ؟
قالت و هي تبتسم بضحكات :
لأنك لا تستطيع المغازلة ! لا تقولها بطريقة صحيحة مثلما أري في
الأفلام بين البطل و البطلة !
قال و قد بدا كأنه يسخر منها :
أنت تحاولين أن تكون كالأفلام اذن , لما كل هذا العناء في الحب ,
الحب ليس تمثيلا كالأفلام ؟!
فقالت :

و لكن الأفلام تأخذ من الواقع ؟!
فقال مسرعا :
بل تكذب علي الواقع !

ثم اردف :

الواقع يجب أن يحكي بصدق , لذلك تلك الأفلام لا تأخذ من مجتمعاتنا العربية سوى الاباحة ففك و معذرة فقد أشعلتي صدري و حلقي بما تقولين , أنا اسف !
فقالت :

لا عليك , أكمل الحديث !

فأكمل قائلا :

في الحقيقة أنني أري أن الحب قليل في بلداننا العربية , لأن مشاعرنا متجمد و متعلقة دائما بطموح أبعد لا يتواجد في الاناث عندنا في المنطقة , و هذا ما لا تراه الأفلام العربية , بل هي تري من الغرب فقط , لأن الغرب حقيقة يحيون بالحب , و لكن أين الحب عندنا , أين الحب الذي كنا نحياه في قديم الزمان , منذ عقود فائتة كانت القاهرة تلك مسرحا للغرام و الحب و حالات العشق الوفيرة فيها , و في العصور البعيدة كذلك , , أين نحن منها الان ؟

قالت وقد صدمت من سرده الطويل :

أنت كلامك صحيح تماما يا محمد , و لكن ما كان يجب للأفلام العربية سوى أن تأخذ من الغرب , لأن الغرب رغم (تخلفهم) في الماضي , الا أنهم قد تطوروا في الحب جدا , و رغم أننا كنا في

الماضي (متطورون) عن الحاضر , الا أننا أنحدرنا كثيرا الأنا لا ما
تراه من جلمود الحب الذي لا يتحرك في مكانه , رغم كثرة الضرب
عليه الا انه لا يزال مقتنع بأنه صخرة !

قال و قد أرهقه التفكير في هذا الموضوع :

اذن الحب ليس عندنا !

فأكملت :

الحب في الغرب و ليس في الشرق !

ثم قال :

يا للبوُس !!

صمت الكلام قليلا و أحتل الصمت المنصب لوقت قليل , ثم قالت :

أتدري أين سنجد الحب ؟

قال :

أين ؟

قالت متأملة :

حين نغير ذلك الجمود الذي يسيل في دماؤنا عن أن الحب دائما , و

أن الحب هو دائما يأتي من منابع الغرب الوافدة بلا انقطاع , و حين

تتلقاها يغمرك الحب بالفعل و تشعر به , و لكن مياها هنا هي الأسنة في كل هذا !

قال :

و كيف ستغيرين نظرة الكثير من أبناء العالم العربي !
ثم أكمل :

و خاصة شبة الجزيرة العربية !!

فقالت و هي تنظر لسحابة تسير وحيدة :

أتري تلك السحابة فوق ؟

و أشارت بيدها فنظر ثم قالت :

تسير وحيدة بلا قطيع معها , و كما تري هي لا تعتمد سوي علي

الرياح في كل هذا !

قال وهو يؤكد علي ما تقول :

نعم .

فأكملت :

لو كل منا سار وحده سيصبح مثل تلك السحابة , تموت وحيدة و

تبعث وحيدة و لا تفعل شيئاً في حياتها علي الاطلاق !

ثم نظرت له و قالت :

أفهمت شيئاً !

قال و في عقله الكثير :

متفردين نسقط !

فأكملت هي العبارة :

متوحدين نصمد !

فأكمل محمد مجددا :

ومن أين ستكون نقطة البداية !

فقالت و كان الأمل شاربا لها :

رئيس الجمهورية .

بدا عليه الجد و قال :

هل تظنين حقا بأن الرئيس سيهتم بالحب !

قالت و قد أظهرت خطأ ما قاله :

أتدري ما فعلته (الإمارات العربية المتحدة) لتفشي السلام بين

مواطنيها و تنشر الحب بينهما ,

سألها :

ماذا فعلوا ؟

قالت و قد أبتسمت :

أنشأو (وزارة السعادة) !!

قال :

و لكن هناك فارق بيننا و بين (الإمارات العربية) بالتأكيد !

فقالت جادة تلك المرة :

و أين بلد الحضارة , نحن كنا حضارة عريقة منذ قديم الأزل , يشهد لنا العالم بأكمله في هذا , ما الذي حدث في نفوس المصريين , أنا لست متغطرة في شيء لا يهم , و لكن شعرت بهذا كله الآن ؟

قال محمد :

لا أقصد هذا , الماضي فقد مضي و أين الحاضر , من يعمل بالحاضر فهو الفائز الكبير !

قالت :

و لكن الماضي له تأثير أيضا !

" احترم الحديث السياسي بينهما "

قال منكرًا ذلك :

ليس شرطًا أن الماضي هو ما يحدد هوية الحاضر أو يحدد هوية المستقبل , كل حقبة لها مقوماتها و لا أسبابها الخاصة و لها معاملات لوصفها !

قالت :

و لكن الحاضر مقيت !

فقال :

اذن المستقبل لن يكون مقيت !

ثم أردف بلجة استطلاع كبيرة للمستقبل :

الماضي كانت هناك اختلاف لحالات ضعف و حالات قوة , و
الحاضر أيضا ما يكون فيه حالات ضعف و حالات قوة , و لكن
المستقبل ..

قاطعته :

سيكون ماذا !

فأكمل :

سيكون خليطا أيضا ما بين الضعف و القوة !!

فقالت :

كيف بلغ لك هذا التأكيد !

فقال و نظر اليها بتحدي :

من تحليل الماضي و الحاضر !

فقالت و قد أبتسمت :

و لكن أليس الحاضر مختلفا عن المستقبل مختلفا عن الماضي !
فقال :

المستقبل هو حالة فريدة بين كل هذا , لأنه ستكون هناك حالة تقدم
هائلة في العالم أجمع !
ثم أردف :

و بدايات المستقبل نحن نشعر بها الان و نراها !
قالت :

أتريد التخلف اذن !
قال :

أريد الماضي فقط !
قالت ضاحكة :

اذن الحب سيشتعل بيننا أكثر لو كنا في الماضي !
ثم أكملت :

و سيكون كما تريد يا محمد !
قال مبتسما :

و لكن هذا (يا ليت) , و لأننا في الحاضر فلنبتسم للحياة !
قالت :

اذن ما رأيك في أن نكمل الحاضر الان !

قال :

كما نريد , نعم .

أخرجت الهاتف من حقيبتها و جعلت تقلب في الأسماء و من ثم وضعتة علي أذنها اليمني مباشرة , و بدأت في الحديث بابتسامة علت شفيتها :

أبي !

قال الأب :

عزيزتي عائشة , كيف حالك يا ابنتي , منذ فترة لم تتكلمي معي و لم يصلني صوتك , قلقت كثيرا بخصوصك . كيف حالك يا ابنتي ! قالت بسعادة متبادلة :

و أنا افتقدتك أيضا يا أبي , لا تدري كم أن صوتك الدافئ و كلماتك كنت أفنقدها في زحام العمل الذي كنت أحياء , صوتك الان أبلغني مجلس الراحة يا أبي !

قال :

كيف حال عملك الان ؟

قالت و هي تتنهد :

بخير , أعمل كما ينبغي لأحصل علي ما يكفي للمعيشة هنا , في تلك
(القاهرة) !

قم أردفت :

وكيف حالك أنت يا أبي !

قال :

الحمد لله يا عائشة , لا زلت بينهم و يعاملوني معاملة حسنة , انهم
حقا أشخاص رائعون , و أنا أثق في أن عائلتنا دائما ما تكون من منابع
الاحسان هنا !

قالت :

الحمد لله علي كل شيء !

ثم أردفت و قد ابتسمت إلي (محمد) :

كنت أريد أن أقول لك شيئا يا أبي ؟

قال متفائلا :

قولي أنا أصغي !

قالت بصوت فرح :

هناك من يريد أن يتزوجني يا أبي !

قال الأب :

زواج ؟ و في القاهرة ؟

قالت مبتسمة :

هي ليست صعبة كما كنا نظن !

فقال الأب :

و من سعيد الحظ هذا !

قالت :

شخص تعرفت اليه في المستشفى .

سألها الاب :

هل هو طبيب أيضا ؟

قالت :

لا , هو ليس طبيبا !

فسألها الأب :

من هو اذن ؟

قالت و قلبها بدأ في الدق بسرعة شديدة :

انه محب يا أبي !

قال :

هناك الكثير من المحبين , أقصد هل أنت كنت تعرفيه من قبل ؟

قالت :

تعرفت عليه منذ فترة قصيرة !

قال :

و هل هو شخص ذا أخلاق !

نظرت له مبتسمة و قالت :

نعم .

سألها الأب :

هل سيحافظ عليك !

قالت :

سأعرف هذا عما قريب , و لكننا لان نعم !

ثم أكمل الأب :

و هل يحبك جدا !

قالت :

أظن هذا , و اليقين يراودني أيضا !

قال و بدا عليه الابتسامة :

اذن لا تتأخري عليه , لك ما تريدين يا عزيزتي !

قالت بسعادة غامرة :

حقا يا أبي !

قال بصوت هادئ :

ليس هناك شك في هذا !

قالت :

كم أحبك جدا يا أبي , و لدي رغبة تلح علي في أن أقبلك كثير حين

نتقابل !

قال الأب :

فلتنعم بحياة سعيدة يا ابنتي , و سألقاك قريباً باذن الله !

و نظرت الي _ محمد) و كان يتوق شوقاً لمعرفة هذا السر الذي ظهر

فجأة علي وجهها , و قالت ممسكة بيديه – لأول مرة – تفعلها هي في

البداية :

هو سيكلكم الان يا أبي , ها هو معك 1 و أعطت الهاتف في يد محمد

, فبدأ يقول بصوت دافيء :

السلام عليكم .

قال الأب :

و عليكم السلام يا بني !

ثم أكمل الأب :

قولها لي صريحة , هل تحبها ؟!

نظر لعينيها و تأكد من ما سيقوله , فقال بثقة :

أجزم بالكلية بأنني أحبها !

ثم أردف بنفس وتر صوته :

و تعلقت بها أيضا , و لا أستطيع مغادرة قلبها فالقفل قد أغلقته لذلك

الأمر الحقيقي في ذلك الموضوع هو حبي لها !

قال الأب و قد اطمئن :

ما أسمك يا بين ؟ لأن عائشة لم تقل لي بعد .

قال :

محمد حليل يا أبي !

قال الأب :

أسمك مصطفى في السماء و الأرض يا بني , فكن علي قدر ذلك

الأسم الذي تحمله !

قال بثقة :

بالطبع يا أبي , لأنه أسم خاتم الأنبياء , النبي الخاتم صلوات ربي و

تسليماته عليه !

قال أب مرردا بدفاً :

صلوات الله عليه !

ثم أردف الأب :

ألا تريد أن تعرف أسمى يا محمد ؟

قال بتمني :

هذا ما ينبغي !

قال الأب :

عبد الرحمن !

ثم أردف بضحكات متتابعة :

نحن كأسمان متشابهان في المعني , ألم تلحظ هذا ؟!

قال و قد أبتسم هو الآخر :

هذا أكثر من ملحوظ يا خالي !

أبتسم الأب قائلا :

لن أوصيك عليها مجددا , هي درتي الوحيدة في هذه الدنيا و لا أريد أن يحدث لها مكروه , يكفي أنها أبتعدت عنا لرغبة منا و أنا وافقتها علي هذا , و أنت تعلم القاهرة , فهي مبيدة للناس بالشقاء و العناء , فحافظ عليها و أجعلها درة في قلبك كما هي بالنسبة الي , و لا تقلق هي اذا أحبت شخصا لن تنقطع عنه و لو في (القطب الشمالي) !

ضحك محمد قائلاً :

هي مجنونة اذن !

فضحك الأب و قال :

قد تفعل هذا فقط لو أغضبتها !

ظلاً يضحكان قليلاً , ثم قرر الأب ختم المكالمة قائلاً :

و أين ستقيمان عرسكما ؟

قال محمد :

سنقيمه بيننا فقط , و أنا الان أعد شقة جديدة لنعيش فيها سوياً !

أستفسر الأب :

اذن لن يكون هناك حفلة عرس ؟

قال :

لا , ليس هناك من ندعوه للحضور , فأنا أهلي بعداء عني و ليس

لدي أحد هنا , و أنت يا خالي في الجيزة و لا تستطيع أن تأتي لتحضر

معنا العرس , فلماذا نفعل هذا !

ثم أردف :

نحن فقط سنقوم بها بيننا علي شكل احتفال صغير و سنأتي بالمأذون
و يقضي بالعقد مباشرة ثم نذهب الي بيتنا الجديد , لأنه الأهم في ذلك
كله هو عقد الزواج فقط , و هذا ما يهم !
قال الأب متمتما :

صحيح يا محمد , و لكن هل وافقت عائشة علي هذا !
قال :

لم أقل لها بعد ؟ و لكن بالتأكيد سترضي بهذا فهي واقعية مثلي ,
ستقبل الأمر و سنسعد سويا أيضا .
قال الأب :

حسنا , كما تري يا بين , و اذا أردت رأيي , فقط أتصل بي !
قال مبديا الموافقة :

بالطبع يا خالي سأفعل !
فقال قبل أن يغلق المكالمة :
طاب يومك يا محمد !

قال مرددا :

طاب يومك يا خالي !

و أغلق معه المكالمة بابتسامة , و أحال بصره للنظر اليها , و شعرها
الذي يزداد جمالا كلما مر هواء بجانبه , فیداعب عينيه و یداعب
خصلاتها الرقيقة أيضا , و أمسك بالهاتف في يديه و قال لها :

هل سمعتي ما كنت أقوله لخالي ؟

قالت متسائلة :

عن ماذا كنتما تتحدثان , لاحظت أنكما كنتما تضحكان , ماذا دهاكما

لتضحكان هكذا !

قال مبتسما و هو يعرض رأيه :

لقد قررت شيئا , أو بالأحرى قررنا أنا و أببك شيئا !

قالت :

ما هو ؟

قال :

أن عرسنا سيكون بيننا فقط !

قالت بهدوء :

إذن هذا الذي كان يضحكما هذا الضحك ؟

قال مبتسما :

ليس بالضبط , و لكن الابتسامة كانت مناسبة لذلك الموقف , إذن .
ماذا رأيك في تلك الفكرة ؟

قالت و قد وضعت ذراعيها علي المنضدة و كأنها ستفسر شيئا :
بالطبع فكرة جميلة ,

فقال مفرجا عن ابتسامة واسعة الطرفين :
كما توقعت منك يا عائشة , كنت أعلم انك ستوافقين مثلما قلت !
ثم أكمل بنفس الفرحه :

متي تريدان أن نكتب عقد الزواج و نأتي بالمأذون ؟
قالت و نظراتها تتوجه إلي السحاب من جديد :
الغد سيكون أفضل !

فقال بابتسامة تعبر عن كل ما في قلبه :
إذن غدا إن شاء الله .

قالت بأسلوب توكيد :
بأذن الله , و سيكون يوما جديدا في حياتنا سويا !
قال محمد :

و سيكون يوما لن تشهدي مثله في حياتك .

أبتسمت هي و لم تعلق , جالت بخيالها في مدري الجمال الذي يوضحه
لها في كلماته , جمال لن تري مثله , بالتأكيد سيكون حدثا ضخما تخر
له العيون في البكاء و السعادة في ذات الوقت , و يدهش ما لا يدهش
لأنه مميز و مفضل لها و سيكون في عقلها راسخا إلي أبد الأبدين .

* * *

كان الطقس جيدا في الصباح , و هواء معتدل يطوف بينهما و هما جماد لا يتحرك علي الأرض , يتحسسون سقيعها مثل كل يوم و لا تؤثر فيهم تقلبات الحرارة أو تقلبات ثقب الأوزون المفاجأة و المباغته , لأنهم كالصخر , لا يشعرون بما يحيط بهم , ليسوا في الواقع , جسدهم فقط هو ما يأخذ ذلك الحيز في المكان و لكنهم أرواحهم تحلق و ربما تتطوف بين الأشخاص في مكان آخر , لربما كانت تلك مداعبات أو تسالي (روحية) , لربما كان هذا لا يزال معقولا الي حد ما ؟

و لم يتحركان مع ذلك النسيم الذي يرتفع و يهبط مع نبض قلبيهما , يكاد يقال بأنهما قد توفيا ذاتيا , أو أن جسدهما لم يعد يضخ العضلات بالدماء المناسبة لقوة الحركة , و تجاوز ثابت الجذب العام , و لكن هذا

طبيعي في حالات كالنوم المصطحب بالارهاق و الجهد , فذلك قد يوضح لما النوم كالصخر هكذا هو شيء طبيعي , لبروز عرق متماثل الشكل في المساء فأدي الي التعب الطويل في الصباح , و لكن اين منهم من المتوقع أن يتحرك أولا قبل الاخر , أو حتي بهمس بسيط من فمه المطبق , لا يعرف , و مع بروز الشمس أكثر و امتداد الضوء حتي وصل بحرارته الي عيني " حسن " أولا , فحاول أن يقاوم لدغاته فلم يستطع , فوضع كفه أمام عينيه و هو يفتح ببطأ و معها ارهاق و تثاقل في حركتها , و يبدو أنها قد أصبحت أيضا صخرة لا تقدر علي رفعها أو حتي التحكم فيها , تأخذها الرياح العتيدة , و تنفر منها الرياح الهزيلة , و من ضمنا لرياح الهزيلة ذلك الشخص , و تعبته هذا جعله ضعيفا فلا يقدر علي جفعها لأعلي ليوقظها أو ينشط فيها الخلايا الصغيرة التي تدعمها و تقوي حركتها , و لكن بلا فائدة , فوضع كفه باطباق محكم أمامه و حرك جسده ليقوم من ذلك التصلب الذي كان فيه , فكان من الصعب أن يحرك جسا خاملا أعتاد علي هذا لساعات , و أصبح بلا معاني في أن يكون مجرد بشري نائم في سلام , أو أن يكون هاديء هكذا في نومه , فقد خفي أنه بسبب عدم الحركة هذه , صعوبة الحركة في الصباح و عرقلتها لحياته الصباحية أيضا ,

و جدول كان قد وضع لتنظيمها , و لكن هذا التغير لن يؤثر بالتأكيد
في جدول يمتد لساعات , و ليست سوية كهذه !

حرك جسده و أتجه صوب المرحاض و جلس في الداخل لبعض
الوقت , يزيل أثارا قد ذابت علي وجهه منذ الأمس , و تحجرت و
أصبحت قاسية لازالتها , و لكن مع محاولات و معافرة أصبحت أنيقة
و أكثر جمالا و حيوية من مساء الأمس , و قضي وقتا أيضا لقضاء
حاجته و خرج مبتسما كما الصباح كان يبتسم له بأشعه حارقة تحرق
فيه و في مقلتيه , كأنها تداعبه فقط ليستيقظ , و أقبل بسيره الهاديء
الي النائمة الحالمة التي لا تزال أيضا كالصخرة لا تتحرك , فنادي
بصوت منخفض :

فاطمة , فاطمة !

حركت أذنيها ببطء لتتنصت , و لكن كان تحركا نسبيا ثم قالت :
أستيقظت , توقف أرجوك !

فقامت تحت ساقها علي النهوض , فقال لها حين رأت وجهه :
صباح الخير !

قالت و هي تتأوب :

صباح الخير يا حسن !

قال و هو يضع أملا في جدول اليوم :

أعتقد أننا قد نسينا شيئا بالأمس قبل أن نغفو !

فصاح صوت بكاء يوسف , فأخته من قطعة القماش التي كانت ملفوفة

عليه و احتضنته , ثم قالت :

ماذا نسينا بالأمس !

قال مبتسما :

كان من المفترض أن نتناول العشاء بالأمس , و لكننا لم نتناول تلك

الوجبة !

قالت و قد أدركت ما يشير اليه :

أتقصد الملوخية ؟!

قال و قد أشار بالإيجاب برأسه :

نعم بالضبط .

فقالت :

اذن هل تريد أن نحتسيها علي الافطار , بما انني ليس لدي فكرة

علي الاطلاق بخصوص الافطار لليوم , فهذه ستكون فكرة سديدة !

قال و قد أخذ يوسف من بين يديها :

هيا فلتغسلي وجهك ثم تعدي لنا الافطار !

قالت بابتسامة و هي تغادر :

كما تريد !

فتركتها و دلفت الي المرحاض , و اثبتت أن ظهرت بعض دقائق من جديد تقف بثبات أمام الباب الخاص بالمرحاض , ووجها أصبح أكثر جمالا من ذلك الوجه الذي لم يكن بالجيد في الصباح , فقد كان الذباب يسكوره و يحيط به , فلم تكن جميلة كما يراها , و لكن الان أصبح يقينا علي أنها أصبحت شابة من جديد , و شعرها عاد منسابا أيضا علي ظهرها , تلك الحسناء ! و سؤعان ما اخذت خطواتها للداخل لتعد طعام اليوم , فطار الصباح بوجبة المساء , هذا الخليط قد يكون سببا رئيسيا لضمور في المعدة اليوم و لكن هذا هو اختياره و هذا ما يريد , كانت أمنيته بالأمس أن يحتسي ذلك النبات , و لكن نسانهما لهذا قد سيكر علي الواقع و ناما قبل أن يلتهما قطع الملوخية التي كانت في كيس مغلف في واجهة المطبخ , و لكن لأن لا شيء ينسي في اليوم التالي , فهاهي الان تعده كإفطار و غذاء سيمد طاقة تعد الجسد اعدادا صحيحا ليكمل يومه كما يريد و أن يتحرك بعفوية و إدراك تام لما يفعل , سوي بأخطائه هو فقط !

و تم اعداده في خلال نصف ساعة , و أخرجت قطعتان من الخبز و قامت بتسخينهما في درجة مثالية ووضعتهما في جانب الطبق مع سيادة الطبق الرئيسي لليوم , نبات الملوخية , و دلفت به خارج المطبخ و عينا من ينتظراها تتشوق لأن يحتسب الملوخية بأكملها و لا يتركان شوائب اطلاقا , و شعرت بلهسهما في داخلهما و معدتهما تصدر صوتا لا مثيل له في الطبيعة سوي كنقير البط , و قربت الطبق الكبير منهما الذي كان يأخذ مساحة ليحمل تلك الوجبة علي أكتافه , وضعتهم أمامهما و جلست هي الأخرى , فأعطي يوسف اليها مبررا :

هل أخذ وقتي لأكل ؟

قالت و هي تستلمه من يديه :

هنيئاً مريئاً و لكن لا تنسي أنني ساكل معك و يوسف أيضا !

فأبتسم و قال :

لا أنسي ذلك بالطبع !

فبدأ في أخذ قطع الخبز و يأخذ رشقات من ذلك الطبق ويضعها في فمه بتلذذ شديد و طعم يذوقه و يتحسس كل قطعة فيه , المكونات كلها تذوب في فمه فتعطيه ذلك الشعور مجددا , الشعور بحرارة الطبق مع رائحة شهية لنبات الملوخية , و مع إعداد رائع , تلك كانت وجبة شهية

, و كانت فاطمة تأكل ببطء و تراقب مدي رغبته في ذلك الطعام بشدة
و أخذه القطع واحدة تلو الأخرى بنهم شديد و يضع داخل فمه بتلقائية ,
و كأن يده تعمل من ذاتها بلا أن تتلقي أوامر , و لكن استمرت هي
تأكل بمنوال طبيعي حتي نظر حسن اليها و قد جمدت عيناه و قال
متسائلا :

ما هذا اللون الأحمر يا فاطمة !

تسألت بقلق :

أين ؟

قال و أشار بإصبعه إلي ملابسها :

هناك بقعة حمراء كبيرة علي ملابسك هنا , أنظري !

نظرت كما يشير , فصعقت علي الفور و لم تدري ماذا ستفعل , و
هناك دماء تظهر بشكل قاني علي ملابسها وتأخذ مسارا دائريا مرعبا
, فساورتها أحاديث القلق و مساهمات العقل في هذا كثرت جدا , حتي
وصل بها الحال لأنها جنت في معرفة ماذا ستفعل , و عيناها زاد
الجحوظ فيهما , و كان يوسف يجلس علي ساقها , فحملته بقرار
مفاجيء منه و اعطته بقذف بسيط الي أحمد و ركضت الي الداخل ,
أختبئت خلف جدار المطبخ , و شعرت بالآلام لم تكن تشعر بها من قبل

, يا ليت الصراخ يكفي لوصف ذلك العشور , فتسبب منها العرق كثيرا و حاولت ايقاف صوتها لوقت طويل و فمها سينفجر من كم الكلمات التي تريد أن تعبر بها عن ألم خانق و اللم لا يعبر عنه , فأخرجتها بدفعة واحدة بصرخة دوت في الشقة بأكملها :

!!!!!!!!!!!!!! اه !

يا ليت من يشعر بالمرأة أن يخفف عن حملهن قليلا و يعالجهن من كيدهن الذي يتحول عليهم و لأن الكيد هو الشعور بالألم , فهذا كان كيد كبير من جسدها عليها أنتج هذا الصراخ العالي الذي يصم الأذان لو سمع عن قريب و لكن من بعيد لا ضرر في هذا , و أطلقت معه آلام لا يعبر عنها و تريد منه أن يفعل شيئا سريعا قبل أن يفوت أوانها مبكرا , لم تستطع قداها المرتجفتان علي الوقوف فسقط بسرعة و في لحظة خاطفة علي الأرض , تتاوه و تقص ألامها للأرض و تنزف دما بدأ في التكاثر حولها و في كل بقعة في المطبخ , و كان حسن يجلس في الخارج و ذلك الصوت أخترق قلبه بسرعة فأحس بقلق شديد عليها فأسرع و ترك ولده جالسا , و ركض الي الداخل , فوجدها علي الأرض كبساط لا يتحرك , و الدماء القانية تتميز بمحيط سوداوي من حولها , فأطل بنظراته القلقة و أسرع بالركض و صدمت قدماه بدماء

و لكن لا يهم الان , كثرة الدماء توحى بالقوة , أقترب منها و بدأ
يخاطبها بلهجة منبعثة من قلق مكثف :

ماذا يحدث لك , هيا , تكلمي يا فاطمة , أرجوك !
و بدأت عيناه تبكيان تلقائيا و أخرج الدموع من محرابهما , و أكمل
تقاطع كلماته و عبراته :

أرجوك يا فاطمة , فقط قل لي أي شيء , فقط يا حبيبتي قل لي !
فنظرت له و قد بدا عليها الهدوء و كأن لا شيء يحدث :
أحببتني بسرعة , و فارقتك بسرعة !

ثم أكملت و أنفاسها الأخير تتهدج قبل أن تصعد الي السماء :
حافظ علي يوسف , فهو يستحق أكثر من أب حنون , يستحق أبا
يحافظ علي السعادة في حياته , لا يشعره بأنه هو اليتيم في تلك الحياة
فقط , بل يشعره بأنه هو الغني بحب الله له !

و أغلقت عيناها و مع ذلك أطفأت السماء أمرها , و رحل عزرائيل و
معه أميرة في الدنيا , و بالتأكيد أميرة في الآخرة بين يدي بارئها .

بعد الصدمة التي ظهرت أمامه فجأة , و دمائها التي لا تزال تكسو الأرض و تنتشر كلما خطي بقدميه عليها , و جسدها الذي تحول الي اللون الأبيض في لحظات بعد فراق روحها لجسدها و تركه خاويا و لا يوجد به نبض أو شعور فقط بالموت , و أنها غادرت ما كان بمثابة غرفة لها تسكن فيه و تتكلم فيه , و تخاطب هواها فيه و بداخل أركانه , و لكن أخذت بقوة في بغتة و في لمح البصر , كأها أنتزعت من جسدها و قطعت جميع أوصالها بهذا الجسد , فلم يعد هناك ذراع , و لا أذن تسمع , و لا عين تحمق في أي شخص , و جفون ثقيلة للغاية , ذلك هو جثمانها المقلي باللون الأحمر القاني , لون دماؤها التي بردت تلقائيا مع برودة الأرض , و كان لا يعرف ماذا سيفعل بعد في حياته تلك , أزدادت صدماته و أزداد تعقيد مشاكله , تلقيه وفاتين في أسبوع واحد , كيف لهذا أن يتحملة انسان ؟ كيفيمضي ي حياته بدون أن

ينظر الي طاقة الدفأ التي تنبعث من الخلف , تنبعث من الماضي ,
وتصيح فيه أن هلم لتحزن قليلا , لا بأس في البكاء لأنه سيخرج , لا
بأس في الدموع لأنها تروي الأرض القاحلة , و لا بأس في النحيب
فهو مصدر للصوت , يناديك الماضي بجام صوته الرخيم و المرتفع ,
يقول لك بكل حزن و بأعمق حالة للاكتئاب لا تنسي أنك لديك جثمانان
الي الآن في حياتك , هل تريد المزيد ؟

ليت الحياة تنتهي عند هذا الحد , و لا يكن له أذن لسمع ذلك النداء
الأخري , أو ينصت لذبذباته في الغلاف المحيط به , و يتردد في
مسامعه أثر كبير منه , الماضي , ستسحق , تبا لك !!

و أيضا الواخزات التي لاحقت قلبه من مشهد دماؤها و هي لا تستطيع
أن تحرك ساقها لبرهة لتبعد كل هذا القدر من الدماء , و لكن لا
تستطيع , هي أصبحت جمادا الان , تحولت الي أغلب ما في الكون ,
تحولت الي شجرة , لا تعطي شيئا لأنها قد ذبلت و لم يعد فيها ماء , لا
حياة , لم تعد خضراء زاهية مشرقة , لا ورق فيها , لم تعد تنبت
بالدهن و سبغ للأكلين , لأن هذا هو القدر , و القرد أتي في ظروف لم
تكن لتسمح و لكن لديه قناعته بهذا , و لديه حقوق يأخذها في أي وقت
يريد , و لا يترك للدنيا شيئا منها سوي أن يكون له حق فيها , و من

واجبه فقط أن يسمح بتنفيذها كما يشاء , و أن لا يسمح بحدوثها كما يري في المستقبل , هذه نتيجة و أثر لتلاعب القدر بك , و أنت عميق في الحزن و عندك اكتئاب أيضا , أخذ يبحث حلولا لذلك الموقف , الذي تكرر في حياته و أصبح حالة متتابعة و بالامكان أن تحدث مجددا , لأنه اعتاد علي رؤية مثل تلك الدماء , و الأرض تأخذ منها و تسكنها في باطنها و لا تزال تحتفظ ببرودة دماؤها , قام بعد جلسة طويلة علي الأرض و ساقاه بدأتا في صرعه بألم شديد لم يلحظه و لم يشعر به , فوقف مستقيما و لم يكن لظهره انحناءه و لو بسيطة , سار بشكل بطيء و بلا ادراك لما حوله أو كما يريد هو أن لا يشعر به , و لكن عقله أغمه علي حالة معينة لا زوال عنها , حالة الصكت المطبق الشديد , و عيناه تنتظران للأمام و لا تنتظر الي أي من الجهات الأخرى , اليسار فارغ , السمين فارغ , حتي لاحظ الغرفة التي تذكر أن ضوئها لا يزال ينيروها , و لم يغلق , فأخذ مسارا إليها و دلف الي الداخل , نر من حوله وجدها ركام في كل مكان , كل شيء معلق فوق كل شيء , و السجاد الذي كان يغطيها قد بعثر و لف في دوائر ووضع فوق بعضه بصورة تشي بالانتظام , فأخذ يتحسس بقدميه العاريتين الأرض الباردة و مدي قسرتها في ساقيه المخدرة , و كعبه الذي لا

يشعر سوي بدرجات الحرارة المرتفعة , فأخذ يسير في طريق لا يعرف له نهاية , ول ا بداية سوي برودة الأرض الحارة , كانت عيناه لا تتوقفن عن الذهول لكل ما يراه علي الأرض , هناك تراب منثور في كل مكان , و أشبه ببخيرة صغيرة حول منطقة معينه من الأرض , فواتته فكرة رغم الغموض الذي هو فيه , أقترب بجسده المتهالك من الأرض و أخذ برفق بيده اليمني يزيل ذلك الغبار بعيدا حتي أنتهي منه تقريبا , فوجد قطعة شبه مكسورة من الأرض و أسفلها محيط ن التراب , أكثر من البحيرة التي كانت تغطي الأعلى , نظر الي ذلك التراب الكثيف و شعر بأنه عليه واجب الان ليفعله , رغم جسده وضمور أعضائه الذي يبدو أنها شبة مخدرة من تأثير الاكتئاب , الا أن لا يزال بعض الأدرينالين يتدفق في دمه بصورة منتظمة , قام بعجلة و لكن ببطء , و أخذ مطرقة مدببة كانت في جانب أحدي الأركان بعد عناء في البحث , و أخذ بيديه لأعلي و بكل قوته طرقها بصوت عالي , فانفلقت و أصبحت قطع متفرقة في الحجم , فأخذ بيديه يزيلها تباعا حتي ظهر له فراغ لا يملأه سوي التراب فقط , و أخذ بيديه يغرسها في تلك الرمال العميقة , فهبط كفه بالكامل حتي لم يعد له وجود , فأخرجه ببطء مرة ثانية و رأي أنه لا يزال سليما , و أخذ

المطرقة من جديد , و جعل يضرب الأرض فتصدر هذارات شديدة ,
و بدأت الأرض في الانفلاق , قطعة تلو قطعة , حتي تكون شكل
مستطيل علي الأرض , و الرمال ما اكثرها بداخله , تبطنه بشكل
غائر للغاية و لا يوجد سواها كعنثر في تكوين ذلك المحيط القاحل , و
نظر اليه بعد أن أنهى مهمته ووضع المطرقة جانبا من جديد , و
أخرج ساقيه زاحفا الي المكان الذي كان فيه , المطبخ , و مشهد الدماء
من جديد , و اقترب بجسده بالكامل ووقف ينظر أمام عينيها المغلقتين
, و جسدها القاحل , و لا يوجد به قطرة ماء لترويه , و أخذها من
ذراعيها و حاول رفعها بكل ما أوتي من قوته الهزيلة تلك , و أخذها
علي كتفه و سار بها الي داخل الغرفة من جديد , و كانت قدماها
تصدر حفيفا علي الأرض و الدماء تركض خلفها , تتبعها حيثما ذهبت
, حتي كان يقف أمام ذلك المستطيل الذي قام ينحته بشكل مناسب ,
ووضعها بجانبه و أخذ مقياسا لهذا و هذا , كان مناسبا , و أخرج من
باطن السرير الكبير الذي كان في الغرفة ولا يزال يأخذ حيزا فيها ,
قطعة قماش بيضاء كبيرة , و أمسكها بيديه و أقترب منها , ورفع
جسدها قليلا حتي وضع ذلك القماش أسفل منها , ووضعها بهدوء ثانية
, ووضع يديه علي القماش و قام بالتفافه علي ساقها أولا , ثم أتجه

الي بطنها , حتي وصل الي وجهها , لم يشأ أن تكون نهايتها أمامه
هكذا , فأعطاهها قبلة في فمها و لم يكن يشعر بشيء في تلك اللحظات ,
و أغلق وجهها تماما , فصارت خرقة بيضاء كبيرة و لا يدل عليها
سوي بروز جوان جيدها الحادة فقط , و حملها بين ذراعيه و أخذ
بوضعها ببطء في داخل تلك الحفرة التي قام بتكوينها , وق بل أن
تصل بأزالة الرمال لتكوين حفرة عميقة , وضعها بالداخل و سقطت
معه دموع حزينة علي رءائها الأبيض , و أخذ بالرمال و صار يدفعها
علي جسدها , حتي مر الوقت وهو يجهد بالبكاء بعد أن أسكنها جنتها
في الدنيا , و أعطاهها أخر ذرة من الرمال , فسكنت روحا و جسدا في
نهايتها , كما كانت تتمني !

بعد وضعها في ذلك املكان الضيق الذي أحكم قبضته عليها , الان
أصبح عليه واجب , فسار خارجا من تلك الغرفة بعد وضعه لنبتة
صغيرها علي صدر الحفرة لترعاها في ثباتها , و أغلق خلفه الباب و
لكن الذوؤ لا يزال ينير الغرفة , و ذهب ليبحث عن شيء ما كان

يلحظه في شقته تلك , وجده أخيرا . أخرج ذلك الحبل المغلظ الذي كان موضوعا بعناية داخل احدي المكاتب , و قام يتجهيزه ليأخذ واجبه كما سيكون و علي اكمل وجهه , فقام بالتأكد من ربطه جيدا و عقده علي شكل دائرة و قام بوضعه أمام وجهه ليتأكد من أنه مناسب للشنق !!

و أمسك به من احدي اطرافه السميكة و علقه في الأعلى , في قطعة حديد كانت موضوعة ولا يعرف سبب وجودها الي الان , لكنه الآن عرف لماذا القدر وضعها هنا بالضبط , أخرج كرسيًا ووقف عليه وقام بتثبيته بأحكام في الأعلى , و تأكد من صلابته , فوضع ذلك الكرسي مكانه و أخرج كرسيًا أقوى ليتحمل الصدمة , و لكن لاحظت عينها طفلا صغيرا يجلس علي الأرض , يوسف لا يزال يجلس و بدأ في النظر اليه و كله براءة و كأنه لم يذنب قط , فحمله و كانت يده قد أحيطت بالملوخية , بعد جلسة من اللعب و التسامر بذلك النبات , حمله بين يديه و جعل ينظر له لبعض الوقت , و كأنه يعطي له رسالة أخيرة قبل أن يغادر , أمسك بجواب مغلف كان قد طواه في جيبه و دسه في جيب يوسف , وربط عليه باهتمام , ثم وضع يوسف في مكان امن حتي لا يחדش نفسه , وضعه علي سرير صغير كان قد اعد لمثل له قبل أن يأتي , و كان محاطا من كل الجهات لكي لا يسمح له بالفرار ,

و خرج مودعا إياه بنظرة تكسوها الدموع التي جفت منها بسرعة ,
ووقف علي ذلك الكرسي الصلد يتنفس أنفاسه الأخيرة في الحياة , لا
دنيا و لا آخرة , ذلك هو القدر الحق , وقف صلبا و شامخا , ووضع
رأسه بالكامل داخل تلك الحلقة و قال في سره المنطلق الي أبعد منطقة
في الاكتئاب (أشهد إلا اله إلا الله , و أشهد أن محمد رسول الله) , و
هذا لا يسمى ذنبا ان كان ختامك بشهادة مؤمنة بتوحيده جل و علي , و
قفز قفزة واحدة علي الفور فعلق في الهواء من فوره و لم يتحرك
بعدها أبدا , أرخي جسده بالكامل و لم يعد يتحرك و رأسه كان أبيضاً
فسفوريا , و بذلك أصبح في طي النسيان , كما كانت عائلته جميعا ,
سقطوا جميعهم في فخ الموت , فخ عزرائيل !

* * *

كان قد رجع مبتسما من تلك الزيارة معها , و كان الطريق أيضا يفرج له ابتسامة واسعة عن طريق تمهيد الفراغ له ليفعل ما يحلو له في الطريق , لا سيارات , لا ازعاج , نسبة و تناسب لائقة في كل الطرق , فعاد مجددا الي ذلك الشارع الذي يتماثل الي أن يكون ضيقا , و لكن سار فيه بحزم و هدوء حتي وصل الي العمارة التي يسكن فيها , و كانت علي يساره مباشرة , فخرج من السيارة و أغلقها و أخذ معه المفتاح و دسه في جيبه , و قبل أن يصعد و اتته فكرة لم يعرف كيف و لكنها كانت تلح عليه بجدارة و بكثرة , ماذا يحدث لزوجته مع ذلك الرجل الان ؟ هل فعل فيها شيء ؟ هل أغتصبها بالفعل ؟ و لكن الاختيار الاخير ورد مرة واحدة و لم يظهر مجددا , فقرر أخذ قدميه ليشاهد بعينه ما يحدث , خاصة أنه اليوم الاخير لها في الدنيا , و يجب أن يشاهد هذا عن قرب , سار بهدوء علي درج السلم حتي وصل إلي الطابق الذي اعتاد أن يزوره فيه , و رأي تلك الخدوش التي توجد في جوانب الباب , و أثار بعض الحروق تنتشر حوله بخطوط مستقيم و كأنها حدثت عما قريب , فأقرب من الباب بحذر و وضع يده يطرق بشكل بطيء علي الباب , و دقائقه لا تكاد تسمع من خفتها و قلة

عنصر القوة فيها , كانت كأنها يدا أرنب صغير , و لكن كان هذا اختياره ليقرع الباب , و لم يلحظ أي صوت يأتي من الداخل , و لا نكير أقدام يحف وهو يقبل لفتح الباب , لا صوت , كأنه لا شعور بالحياة في الداخل أو أن شيئاً ما مكظوما , فقرع الباب بقوة بعد أن طال عليه الانتظار , فوجد الباب بعد دقتين فقط هرول الي السقوط و لم تتمالك أعصابه الرخوة قوة الصاعقة التي تلقاها أنفا , فسقط يهوي بصوت ارتطام عالي مع الأرض , و جعل شيئاً واحد فقط هو الذي أخذ بصره بالكامل في تلك اللحظة , لم بهمه سقوط الباب بذلك العنف , و لا القوة التي أضرت بيده اليمني , و لا صوت ارتطامه بالأرض , و كان صوتا موحشا , كان لا يساوي شيئاً في تلك اللحظات , و وقف ليتأكد هل ما يراه صحيحا ؟ أم أن عقله قد أصبح يتخيل هو الآخر بشدة ؟ ليت أحد يسكت ضميري عن النطق و الحديث بالكلام الوفير الذي يمتلئ به و لا ينقص من جوفه , و سار ببطء متوجها نحو ذلك الشخص المتدلي من أعلي , فوجده كما توقع تماما , عيناه جاحظتان , وجه أبيض , شعر مرتب , موت محتم , يا لفضاعة المشهد !!

و قد كان كأنه نظيف الهيئة , عل نحو كبير من النظافة لم يتوقع أن يراه بها مجددا , و شعر بأنه قد تأثر بأحاديثها التي ربما أثرت فيه

بشكل مبالغ فأحالاته من (درويش) إلي (صوفي) في أيام قلائل , و لم يطل عليهم الأمد فتحول بشكل مفرط , و لكن الموت كان يكسوه بشكل مخيف , و بشكل مثير للاهتمام أيضا , و كان هناك حبل قوي يشد برقبته و جسده لكي لا يقع , فأيقن بعد ما رآه منه أن هذه حالة انتحار من الدرجة الأولى , و لكن لم يكن ليطيل النظر عليه كثيرا , فقد كان الأهم هو ما يجول بخاطره مسببا ضجرا في عقله بشكل كبير , أبحث عنها ؟ أين هي ؟ , فأخته قدماه للتجول في الشقة بأكملها , حتي حين دلف الي الغرفة التي تقبع بجانب المطبخ مباشرة , لاحظ أن كل شيء قد وضع فوق الآخر بصورة منتظمة , و أنها كلها متراصة أيض , و كان هناك سرير لا يزال كما هو , لم يمر عليه شيء الي الان أو ظروف طارئة كالتى و اتت باقي أجهزة الغرفة , و لكن قدماه توقفت علي رمال كانت تغطي بقعة معينة تلك الغرفة , فأخذع رقبته لينظر لتلك الرمال و يمسك بيديه بعضها , فوجد انها باردة كما البلاط و ليس هناك شيء مريب فيها , و لكن مع استقامة ظهره لأعلي و علو رقبته , أتت فكرة من " الجحيم " الي عقله , و أخضعت حواسه لتجعلها هي الحاسة الرئيسية التي تجول أمامه الان , الدفن !! يجب أن يدفن ذلك الجل و لا يعود له أثر , مع قدوم تلك

الفكرة السريعة حتي امتصتها عضلاته بذات السرعة و القوة , فإر
الي الخارج , حتي كان يقف أمام الجثمان الرخو , و أصبح يزيل تلك
العقد و يحلها من دائرتها المعقدة , تم حله في النهاية و أصبح حرا , و
صار من السهل إلقاءه بعيدا , و سقط جثمانه متهاويا بقوة و بشكل
عمودي علي الأرض , حتي أن أنفه قد تهشمت أجزاء منه جراء ذلك
الارتطام , و أحدث نزيفا داخليا لذلك الجثمان , و لكن لا أحد يعبا
بجثمان في تلك الدنيا , فكل من يفني يقني , و أمسك بذلك الجثمان
ووضعه علي كتفه بقوة , و حمله بجام منكبيه و القوة التي يتحملها
دالفا الي الداخل , حتي وقف أمام الغبارالمنثور ووضع الجثمان جانبا
, و ظل يفكر بطريقة ليواري به التراب عن طريق تعاليم الاسلام ,
يجب أن توجد خرقة بيضاء لتستر عورته و تستر جسده ولا تظهر
شيئا لأعين الناس الزائغة , ففكر بالنظر حوله ليجد ما يتماثل مع
فكرته , وجد بالفعل خرقة بيضاء منزوية تحت فراش ذلك السرير
الكبير , فأسرع بجلبها و بسطها علي الأرض و أخذ " حسن " من
يديه و قام بوضعه علي تلك الخرقة , و قام بالتفافها حتي أغلقت علي
جسده بالكامل و لم تترك له أثر يلوح , و لو بعين ذات أبعاد رباعية
الشكل , و أخذ بالجثمان بعد أن قام بإزالة قطع من التراب و وضعها

بقوة جانباً , فأظهرت حفرة كبيرة و ليست علي عمق كبير بمثل عرضها , فأخذه علي جتفه و حمله كان ثقيلًا , ووضعه ببطء في تلك الحفرة , حتي يحافظ علي رونقه كمتوقي و عدم تدنيس جثمانه العزيز , و تأكد من خلال نظراته الحادة علي أنه قد أستقر في تلك الحفرة , و ذلك القبر المشيد , و قام باعداه الرمال كما كانت , ووقف ينظر اليه كمرّة أخيرة , لقبره ينظر , لقبر الرجل المجنون كما يحب أن يطلق عليه !

و ترك تلك الغرفة و أغلق خلفه ذلك الباب الخشبي مجدداً , و لكن كانت هناك دلالة مميزة لا تزال محفوظة بالداخل , المصابيح لا تزال مضاءة و بقوة في تلك الغرفة , و قف هو في الخارج يتأمل المشهد قليلاً , حتي أخرج الهاتف من جيبه و أعطي لهاتفه الأمر بالاتصال برقم محدد بأسم في جواله , كان أسمه (النقاش) , قال محمد مرحباً :

السلام عليكم يا حاج محمود !

قال النقاش :

و عليكم السلام أستاذ محمد !

ثم أردف بنفس لهجة السعادة :

ما الذي تريده يا أخي ؟

قال بلهجة طلبية :

أريد أن أعد شقة خاصة بألوان جديدة !

قال النقاش :

لا يوجد أغلي منك يا أخي , الأمر سينفذ ! و لكن أين تلك الشقة ؟

فقال :

في العمارة المواجهة لمنزلي , علي كل أريد أن نتقابل الان ؟

قال النقاش :

أين سنتقابل ؟

قال :

سأنتظرك في النافذة , حين تصل إلي العمارة الخاصة بي قم

بالاتصال علي و سأشير لك بيدي !

قال النقاش :

حسنا أستاذ محمد .

أغلق معه المكالمة شاكرا :

في انتظارك يا حاج محمود .

ثم أغلق معه المكالمة , و أطل بنظرة إلي النافذة ووقف يلتفت يمينا و

يسارا إلي الفراغ الخفيف , و لم يكن هناك مارة كثر ليراقب سيرهم أو

يتدخل في شؤونهم , و كان يكفي لمرور هواء جيد الي وجهه يحيي مسام وجهه التي تصببت عرقا و أجفلت جبينه , فكانت ملائمة للغاية و صار ه يتنفس منها الكثير ليستمتع بها , حتي لاحظ قدوم شخص عريض المنكبين , شاربه كث كما ذقنه , و الشيب يحيط به من كل جانب , و شعر رأسه به بعض اللون السود فقط في الجانب الامامي , حيث يكون واضحا لمن يقف ليتحدث معه , فتلق مكالمة من هاتفه فأخرجه علي الفور , و قال بصوت الي :

انظر لأعلي يا حاج محمود !

تلقي تلك الرسالة عبر سماعة الهاتف , و أجال ببصره للأعلي البعيد حتي وجده يلوح بيده , فأكد له بإشارة بأنه قد راه بالفعل , و أقترب يدلف داخل العمارة , و أخذ يعد علي السلم حتي وصل الي الطابق الذي كان يعرف من حركة يديه , و أقترب ليدق الباب حتي فتح الباب أمامه مباشرة , و قال محمد مرحبا :

تفضل !

أبتسم و هو يدلخ بساقه اليمني :

بسم الله الرحمن الرحيم , شكرا لك أستاذ محمد !

فأكمل (محمد) الحديث قائلا :

أريد أن أحيل تلك الشقة الي طراز حديث خلال خمسة أيام , هل
تستطيع ؟

قال و قد قد حاجبيه :

خمسـة فقط !

قال مؤكدا :

نعم , خمسـة !

فقال النقاش :

هذا قد لا يكفي يا أخي , و لكن سنحاول علي قدر المستطاع أن
نجعله أمرا سريعا بإذن الله !

قال محمد شاكرا :

لو أتممت ذلك بسرعة , فلي عند ضعف المبلغ يا ثديقي !

قال مبتسما بسخاء :

لا مبلغ يا أخي منك , ليس بيننا ماديـات بتلك الطريقة !

أخرج (محمد) من جيبه مال في لفيفة و وضعها في يده مباشرة و
هو يقول :

حقك محفوظ يا أخي !

ثم أردف :

هذه الدفعة الأولى من الأجر , و الباقي بعد اتمام العمل ان شاء الله !
فقال مبتسما :

لا تخجلني هكذا يا أستاذ محمد !
قال محمد و قد ربط علي يده بقوة :
الحق سيظل معك يا أخي , و لن أخذه منك !
فقال شاكرا :

شكرا لك , هل نبدأ الان ؟
قال و قد أفرج عن يديه للهواء :
بالطبع حتي لا يحدث تأخير .
فقال النقاش :

كيف تريد اللون الخاص بها ؟
قال بعد تفكير :
أريد لونا يليق بالسعادة , و يوحي بالسعادة , و يبعث السعادة !
قال ضاحكا :

كما تريد يا أستاذ محمد !
و قال قبل أن يكمل طريقه الي الباب :
و أين رجالك ؟

فقال :

سياتون الان !

و سمع في تلك اللحظات صوت ضحك يأتي من غرفة قد أغلقت و
أوصد عليها , فأسترق السمع من جوانب ذلك الباب , وجد صوت
طفلا يبدو أنه يلهو , فأخذ يامسك الباب من مقبضه و قام بدفعه بقوة ,
حتي وجد ما بقي من ارث تلك العائلة , وجد يوسف يلهو بشيء
صغير في يده , و يبدو أنه قد سعد بهاجدا , فأقبل عليه مبتسما و رفعه
بين ذراعيه و قام بتقبيله من احدي وجنتيه , و دلف به الي الخارج , و
أقترب أكثر من باب الشقة و قام بفتحه و ألقى نظرة خاطفة علي الشقة
مرة أخيرة ثم دلف خارجا منها و لاحظ بكاء يوسف بشدة قبل أن
يخرج , فحاول أن يسكته و لكن لم يستطع فأسرع بالنزول علي درج
السلم حتي لا يصدر المزيد من الصرخات , و يصمت عن هذا
الصوت المزعج , و لكن يوسف كان يبقي بصره علي تلك الورقة
التي سقطت من يده , التي كانت آخر الرسائل التي أعطاهها له والده
قبل أن يغادر دنياه و يجعله وحيدا و يتيما بالكامل , كان ذلك الجواب
قد وقع علي الأرض و لم يره (يوسف) من فرط سرعة ركض ذلك

الرجل الذي يحمله , فبكي في قلبه الصغير , و كتم عبراته مرة أخرى
, و صمت في النهاية !

* * *

في صباح اليوم التالي , أستيقظ مبتسما من علي فراشه و هم بأخذ قدماه و بسرعة الي المرحاض ليجعلهما نضرتان كالأيام السابقة , و بعادة الجمال في كل يوم , حتي حين يخرج يمدح نفسه بالجمال ثم يكمل طريقة الخالي من الأصوات , و الخالي من أجساد بشرية لتعترضه , هو يجلس وحيدا , و قام بأخذ هاتفه من ثباته و أرسل رسالة الي (المحبوبة) كما أطلق عليها ذلك الأسم الميمون , بعث لها رسالة تقول :

صباح الجمال علي خطيبة اليوم !

فأجابت هي :

صباح البستان علي وجهك الفنان !

يتبادلان أشعار الغزل في الصباح و تملئهما كأسا من الحب , فكتب يقول :

اليوم عصرا سأتي لأخذك من منزلك , حسنا ؟

كتبت تقول :

و سأكون في الانتظار , بالمناسبة أي الفساتين تريد . أحمر أم أزرق

؟

كتب يقول :

أزرق بالطبع , الأحمر لون مثير للاشمئزاز هكذا !
فكتبت :

عند حق ! حسنا بإذن الله سأتألق به اليوم كما تريد أن تراني به .
فكتب :

أضع املّي عليك في هذا !
ثم أكمل الكتابة :

سأتي اليك الآن , و نتقابل ثم نأتي لنعقد قراننا في المسجد هنا , في
المسجد المحبب الي قلبي , مسجد بلال !
فكتبت متسائلة :

و لكن كيف سنعقد قراننا بدون شهود ؟!
فكتب :

السلام دين يسر , قال تعالى بأن نأتي فليشهد علي زواجهما أربعة
من المسلمين , حل الأمر !
فكتبت :

أعرف أشخاصا كثر تثق بهم , لأن الآية تقول أيضا بأنهم يجب أن
يكونوا مرضيين بالنسبة لنا !
كتب بثقة :

بالطبع , و هم أتقياء أيضا , لذلك لا حرج في ذلك !
فكتبت بابتسامة :

ألان نحن علي استعداد !
كتب بنفس لهجة السعادة :

و سيكون يوما رائعا بالنسبة إلينا !
و أغلق الهاتف و قال لها قبل إغلاقه :
أنا قادم !

و وضعه جانبا علي منضدة كانت قريبة منه , و جعل ينظر إلي الفتى
الوسيم الذي كان ينام بجانبه منذ الأمس , و أمسك به بيديه و أطمئن
لجلوسه أمامه و الراحة تتنفس في جسده و تأخذ أنفاسها بسخاء و
راحة , فأطمئن لتلك لحالة و أخذه علي كتفه و ذهب ليكمل ارتداء
ملابسه و وضع علي ككرسي صغير أمامه , و جعل يتفنن في 1بط
تلك البذلة السوداء التي ارتداها , و كانت خاصة بالمناسبات فقط , و
هو الان في مناسبة ملائمة لارتداء ملابس أنيقة كهذه , خاصة أنها
بذلة قد اقتناها بمبلغ ثمين , فكانت ثمينة لقلبه أيضا , و أحفظ بها إلي
الساعة , حتي ارتداها و كانت كأنها قد رسمت ببراعة علي جسده من
أعلي لأسفل , و نحتت علي جسده ببراعة و اتقان متلازمين , و أخذ

بيد يوسف و سار به و كان قد رأي بأنه يستطيع الحركة علي قدميه بثبات ولا يترنح , فسعد بهذا و أخذه و ربط علي يديه و سار بجانبه حتي وصلا لي الباب , و قام بتحه و أخذ مفتاح السيارة , و مفتاح الشقة ايضا , و أغلق الباب مجددا من خلفه و غادر و معه ابن صغير له , شعر بهذا كثيرا لعد لقاتهما بالأمس و مضي معه الليل يمرح و يلهو , فأزداد شعور الأبوية لديه و جعله جزء حسنا منه , و حملة و هما علي درج السلم و لكن سرعان ما أنزله للسير علي الأرض حين وصولهم للطابق الرئيسي المؤدي إلي الشارع من الخارج , و كانت السيارة بانتظارهما أمام الباب مباشرة , فوصلا اليها و أستقلها حسن و اخذ بيد يوسف و أجلسه بجانبه , و أغلق الباب و سار بالسيارة ببطء في البداية و لكن ازدادت في لحظات الرغبة في التعجيل من الوصول , فهناك لحظات لا يتم افلاتها من بيد اليدين , و لأجل ذلك قام بالسراع تلبية لرغباته الداخلية التي ظهرت فجأة و انطفأت فجأة أيضا , فكانت حالته مختلفة من ان لآخر , حتي وصل الي بيتها و كان ضخما كما كانت تقول له , الحداشق تحيك به , و من أممه نباتات متناسقة و تلتف حول بعضها البعض مكون دوائر جميلة من ألوان مختلفة و محدثة

نوع من الأناقة و الجمال الزهري الذي يكفي ليعطي رونقا في المكان
 , فأخرج هاتفه و قام بالاتصال علي هاتفها , فاتاه صوتها الدافئ :
 أين انت ؟

قال و هو ينظر الي ضخامة المبني :

أنا أمام منزلك مباشرة !

قالت عائشة :

حقا , بتلك السرعة !

قال ضاحكا :

نعم , فأنت تعرفين عني أنني لا أتأخر علي شيء أبدا !

فقالت :

ساتي اليك علي الفور !

ثم أغلقت معه المكالمة , ووضع الهاتف في دفا جيبه , و أنتظر قدوم
أميرته التي توقع أنها ستكون مثل تلك السحابة التي تسامره في
الأعلي من كثرة مراقبتها له , و زاد تركيزه هو أيضا عليها , و لكن
أخذه جمالها الفاتني في لحظة مرورها الخاطف من أمام السيارة و
استارتها لتفتح الباب ببطء و تظهر بوضوح , و تظهر معالم فستاني
السمائي الذي كان يتوقه , مليء بالنقوش من أعلي لأسفل , و

الجواهر تغطيه من الخارج , و قطع تشبه الماس موضوعة في مناطق متفرقة , و كان كتفيها يظهران بجمال فاتن لعينيه , و جعل ينظر الي التنفة التي أثارته فيه فور أن راها , و لكنها قطعت كل ذلك بجلوسها بجانبه و قالت :

لا تطيل النظر يا عزيزي , لا زلنا في البداية .

قال مبتسما :

انك حقا حسناء براقه !

فقالت و قد أحمرت وجنتها ا:

هلا تركت الغزل هذا الان ؟

قال :

كما تريدین !

و كان يوسف قد جلس علي ساقياها و كان يبتسم لها و ترد له تلك الابتسامة بشكل أكبر , و يظلان يبتسمان حتي يشبعان من بعضهما و يرتويان سعادة , و الطريق يمر من بينهما بسرعة , حتي لم يلحظا أن لحظات السعادة تلك مضت بسرعة و محمد يقول :

لقد وصلنا !

فقالت :

بتلك السرعة ؟

قال و نظر لها بابتسامة حانية :

الجمال لا ينتظر , و العرس لا يتأخر !

فأقبل بالخروج و فتح لها الباب , و هبطت بقدميها علي الأرض و في يدها " يوسف " , كانت ترتدي نعلا طويلا يظهر قامتها المرتفعة , و ظهر بهائها من جديد و جمالا رشاقتها , و انتظام خصرها مع باقي جسدها , و قال و قد أمسك بيديها بدفاً :

هيا الان !

و لحسن حظه كان هوا لآخر طويلا , لذلك لم يكن هناك حرج منا لسير بجانبها , فقالت :

هل أحضرت كل شيء !

قال :

كل شيء مجهز في المسجد .

فقالت :

خير يا عزيزي , فليبارك الله لنا في هذا !

و أقبل بالصعود الي شقته من جديد , التي كان فيها نائما في الصباح و التي ظلت تأويه الي الان , حتي دلفا الي الداخل و جلسا أمام بعضهما

و بعد لحظات سمع صوت دقات الباب , فقام ليفتح لهم , فدخل عليهم
المأذون و حياه بقبلات و مع أربعة من أصدقاء عمره الطويل , و
جلسوا سويا فبدأ المأذون و قد أنتصف بينهما قائلاً :
أريد بطاقة العريس .

أعطاه حسن بطاقته الشخصية بامتنان , ثم جعل يدون المعلومات في
ذلك العقد , ثم قال مشيراً إليها علي يمينه :
و بطاقة الزوجة الشخصية .

فمدت يدها ببطء و أمسك بالبطاقة و تفقدها بعينيه و تفقد وجهها أيضا
, و قال بعد تدوين كل شيء :
ضعا يديكما أسفل تلك المحرمة !

طاوعا كلماته , ووضعت يده الدفيئة فوق يدها الملتهبة و بدأ المأذون
يقول بصوت جهوري :

فليتقرب شخصان من الجالسين ليكونوا وليين في ذلك العقد .
فأقتربا يجلسان بجانب الشيخ , لجل تقي نيابة عن محمد , و رجل تقي
نيابة عن عائشة . ثم قال المأذون الي ولي عائشة :

قل زوجتك ابنتي و انكحتك اياها رغبة منك بهذا تغيبا لا ترهيبا و
علي سنة الله و رسوله !

ثم يقول الي ولي محمد :

قل قبلت نكاحها , و رضيت زوجة لي و هذا علي سنة الله و رسوله
ثم أخرج المحرمة و قال مهناً الزوجين :

بارك الله لكما , و بارك عليكما و جمع بينكما في خير باذن الله !
فأطلت ابتسامة من قبل عائشة الي محمد الذي لا تبرح عيناه عينيها و
لا ابتسامته ابتسامتها المشرقة و البارزة من بين أوجه جميع
الحاضرين , ثم قام مع المأذون يصافحه في حراره و هو يقول :
شكرا لك يا مولانا بصدق , و أتمني لك السعادة كما أيعدتنا !
فقال مبتسما :

هذا واجبي نحوك يا محمد , أنت صديق عزيز !
ثم خرج و ق أعطاه ابتسامة قبل أن يختفي و تبعه أصدقاؤه و قد هنأه
بحرارة أيضا و أغلق خلفهما الباب , و نظر اليها و كانت عينيها
تمتلئان بالدموع من الفرحه و لكن تماالك نفسه من أن تسقط علي
وجنتيه و تثير احمرار وجنتيه و يهبط المزيد , و نظراتهما تبادلا كثير
في تلك اللحظات السعيدة , حتي بلغه اتصال من الهاتف فأخرجه و قد
ظهر أسم (النقاش) و هو يقول و السعادة تظهر عليه :
يا أستاذ محمد !

قال محمد :

مرحبا بك أخي .

فقال مبتسما :

هناك أمر أريد أن أخبرك اياه !

قال :

قل يا صديقي !

فقال :

لقد أنتهينا من شقتك و بإمكانك الان أن تذهب اليها و تتفقدتها , علي

طراز أوروبي حديث !

لم يسعه الصراخ , فقال بصوت هادئ :

حقا ؟

فقال :

هذا مؤكد يا صديقي !

قال له ممتنا للغاية :

حقا لا أدري كيف أشكرك علي هذا , لقد لبيت طلبي بسرعة !

فقال النقاش :

لقد كان عملا متواصلا و لكنه كان يستحق لأنه كان لك !

و قبل أن يغلق معه المكالمة قال في سعادة :

لك الأجر الوفير يا أخي !

ثم دسه في جيبه مجددا , و كانت تنتظر إليه بامعان في فرحته تلك و سروره الذي بدا و كأن هناك حدثا جلا قد جري , و يتوق لرؤيته , فقالت متسائلة :

ما الذي يجعلك مبتسما هكذا ؟

قال و قد نظر الهيا بعينين تشرقان :

لقد تم إعداد شقتنا المستقبلية يا عزيزتي

فأمسك بيدها بسرعة و أخذ يوسف علي كتفه و أسرع و الحماسة تدب في قلبه و تنشده في أن يكمل سيره و لا ينظر خلفه حتي كانت تركض خلفه و التعب قد ظهر علي وجهها , و لكن أكمل ركضه و أمكست هي حافة الفستان حتي لا تقع من طور السرعة, و علي درج السلم كان لا ينقضي من السرعة أيضا , و الباب مزين من الخارج بنقوش غاية في الجمال , و دوائر حلقية مطلية بلون بني قاني , و أذهل عينيه و هو ينظره و يستشعر ذلك اللون بقلبه , و أقترب فرأي مفتاحا جديدا قد وضع في قفل الباب , فأمسكه و قما بتفحه بهدوء و دلف الي الداخل و عيناه تترقبان مشهدا لم يري له نظير , كما طلب , و عائشة تتبعه و

لا تدري ما هذا المكان لكنها تتبعه فقط الي هنا , و لتري ماذا يريد أن يصل اليه , وقعت عيناهما سويا علي الشقة مباشرة فأشرقت مقلتيهما فجأة و برز منهما الإعجاب الشديد من ذلك اللون الزاهي الذي يكسو شقتهم الجديدة , وجدا لونا واحدا يكسوا كل ذلك و معه ألوانا ثانوية تعطي جمالا أكثر له , و تبدي مشهدا أوروبيا , كان لونا بنيا مثل الباب و لكن هذا لون متوسط الدرجة و معه لون أبيض فاتح و النقوش الذي طرزت علي ذلك الحائط ألهمت الحائط و العقول بكلمات تبعث علي الابتسام و الفرحة و البهجة , و تليق بزواج رجل جميل و فتاة حسناء مثليهما , فأطلت بدهشة و قالت و هي تكاد تنفجر من السعادة :

هذا سيكون منزلنا !!

فقال مبتسما :

بالطبع !

وقفت و دهشتها ازداد ظهورا علي وجنتيها , و كانت أكثر إشراقا مع ابتسامتها و ردة فعلها الطفولية , و كأن قلبها تحول الي عهدا القديم مع الطفولة , و مع معني أن تكون عينيك تري البهجة أمامك و لا تتركها تضيع عليك هباء , فقط تحتضنها كأنها رفيقك . و تخلل كل ذلك صوت يوسف و هو يقبل مبتسما الي (محمد) و هو يحمل في

طيات يده ورقة صغيرة و يبدو أنه معجب بها جدا و فأخذها من بين يديه و أظهر له ابتسامة , و فجأة ركض الي الداخل , الي غرفة كانت قريبة من المطيخ المطرز بنقوش جميلة للغاية , و سمع له صوت ضحكات من تلك الغرفة المضاءة بأضواء احتفالية مختلطة بالأبيض و الأحمر .

نفض (محمد) تلك الورقة و أتضح انها كانت جوابا , فأنتبه لما كان مكتوبا بخط رديء , و لكنه استطاع أن يقرأ بصورة واضحة . و كان مكتوب الآتي .

(لا نعرف الحب حقاً سوي حين يري يتيما يلهو وحيدا و لا نجد من لا يلعب معه أو يتسامر مع قلبه , و أنت يا من تقرأ ذلك الجواب الآن لديك فرصة في أن تحظي بذلك , يوسف حسن , أبني العزيز , هو هديتي إليك , و لذلك أطلب منك قبل أن تتحمل مسؤولية أبني الوحيد , أن تتقبل طلبي في أن تهم بالذهاب إلي مستشفى للأمراض العقلية أولاً لتتأكد من هل أنك مناسب لترعي يتيما أم لا ؟ !)

مع خالص تحياتي

حسن

* * *

بعد أن قرأ تلك السطور القليلة , نظر الي زوجته بهدوء ثم قال :

قبل كل شيء يا عزيزتي , يجب أن أذهب الي مكان ما ؟

قالت بقلق :

إلي أين ؟

قال و قد ظهر عليه شبح ابتسامة :

مستشفى الأمراض العقلية , لأتعلم كيف أحافظ علي يتيم , لأتعلم

كيف أحافظ علي يوسف .

تمت بحمد الله

اليتيم هو الروح , هو الجسد , هو جنة الله
في الأرض .

أشكر من وقفوا بجانبى حقا أثناء فترة كتابة تلك الرواية ,
و التي أتمنى من الله أن تنال إعجاب كل من يقرأها , و أن
تكن ضمن مكتبته و من الروايات المحببة لديه , و خاصة
لأن تلك الرواية شهدت شهر رمضان الكريم , و قضيت
أكتبها طوال الشهر الكريم . و أتمنى من الله أن تنال
استحسانكم و حسن تقديركم يا أعزائي القراء , و إليكم يا
أعز الأشخاص لدي تلك الرواية بإخلاص شخص قريب
منكم ..

أبي

أمي

أخي

أختي

أحبكم جدا ..